سلطنة عمان
المنتدى الأدبي
وزارة التراث القومي والثقافة



ندوة العلاقات العمانية المصرية

من ٢ إلى ٤ مارس ١٩٩١م

إشراف
سالم بن محمد الغيلاني
رئيس المنتدى الأدبي

إعداد
محمد علي الصليبي
مساعد مشرف المنتدى الأدبي

الجزء الثاني

يناير - ١٩٩٢م

سلطنة عمان
المنتدى الأدبي
وزارة التراث القومي والثقافة





ندوة العلاقات العمانية المصرية

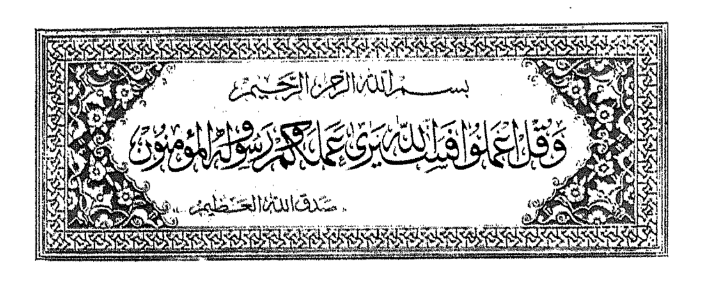
من ٢ إلى ٤ مارس ١٩٩١م

إشراف
سالم بن محمد الغيلاني
رئيس المنتدى الأدبي

إعداد
محمد علي الصليبي
مساعد مشرف المنتدى الأدبي

الجزء الثاني

يناير - ١٩٩٢م


بسم الله الرحمن الرحيم
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
صدق الله العظيم

كلمات مضيئة

ان عمان قد دأبت باستمرار على أن تقوم بدورها كاملا على المسرح العالمي بالتعاون مع كل الدول الصديقة في سبيل الدفاع عن حرية الانسان وعزته وكرامته ، وقد واصلنا أيضا العمل بالتعاون الوثيق وبروح تتسم بالوفاق الأخوي في إطار جامعة الدول العربية دفاعا عن القضايا العربية ، ان هذا الدور الذي يقوم به بلدنا سيبقى دائما حجر الزاوية في سياستها الخارجية .

قابوس بن سعيد



حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم

إهـــــداء

إلى المقام السامي لحضرة صاحب الجلالة السلطان
قابوس بن سعيد المعظم - حفظه الله -

إن ما تحقق على أرض عمان من انجازات يعتبر ملحمة رائعة سوف يسجلها التاريخ بأحرف من نور في سجل المجد ، وأن اسمكم يا صاحب الجلالة سيبقى عالقا في عبقرية الخلود ، ذكرى عطرة تطل من كوّة الدهر تذكرنا بهذا العهد الزاهر وتلك المنجزات العملاقة التي أضحت مضرب المثل للقاصي والداني .

وأن أسرة المنتدى الأدبي إذ ترفع هذا ا لاهداء يا مولاي إلى مقامكم السامي لتدعو الله من أعماق القلوب أن تظل يا سيدي ذخرا لعمان ومعينا لا ينضب لأمتنا العربية والاسلامية ، وأن يحفظك رب البرية برعـايته ، ويكلأك بعنايته ، وأن يتحقق على يديك يا سيدي كل ما تصبو اليه عمان من عزة وسؤدد وأمن ورخاء وطمأنينة .

أسـرة المنتدى

« جانب من فعاليات ندوة العلاقات العمانية المصرية »

تجارة عمان في الكارم وصداها

(على سياسة مصر حتى طليعة القرن السابع الهجري)

بحث من اعداد الدكتوره

سحر عبد العزيز سالم

« مدرس التاريخ والحضارة الاسلامية »

(بكلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية)

(١)

تجارة الكارم في مصر الفاطمية

من المسلم به أن نواخذة عمان وملاحيها كان لهم دور رئيسي هام في تجارة الكارم باعتبارهم همزة الوصل أو الوسطاء التجاريين بين عالمين : عالم الهند والصين وجنوب شرق آسيا ، وعالم الشرق الأدنى الاسلامي وشرق القارة الافريقية ، والغرب الأوروبي .

ويجدر بنا قبل الشروع في عرض هذا الدور الذي جعل لمصر اقتصادا قويا مزدهرا وهيأ لها أن تتبوأ مركزا تجاريا متميزا بحيث أصبحت الوسيط التجاري الثاني بين عالم الشرق الأقصى ، وعالم الغرب الأوروبي ، أن نسلط بعض الضوء على بعض الحقائق المتعلقة بالكارم والكارمية .

يذكر القلقشندي أن الكارم اسم محرف ومأخوذ عن « بلاد الكانم » وهي المنطقة الواقعة بين بحر الغزال وبحيرة تشاد من السودان الغربي[١]، ربما بسبب شهرة بلاد كانم بتجارة الفلفل والرقيق واعتمادها عليها في اقتصادها ، لوقوعها في ملتقى طرق القوافل المارة عبر افريقيا[٢].

---

(١) القلقشندي : « أبو العباس أحمد بن علي » ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، (نص أورده من كتابه ضوء الصبح المسفر) ، طبعة تراثنا في مصر ، جـ٤ ، ص٣٢ ، صبحي لبيب ، التجار الكارمية ، وتجارة مصر في العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، مايو ١٩٥٢ ، ص٦ .

(٢) كانت التجارة العامل الرئيسي في انتشار الاسلام وتعريب هذه المنطقة والمناطق الواقعة جنوبي السودان . وقد لعبت زويلة دورا هاما في التجارة مع زغاوة وهم سكان وحكام كانم (اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، النجف ١٩٦٤ ، جـ١ ، ص٧ ، ص١٦٨ ، الادريسي « أبوعبدالله محمد بن محمد » ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، طبعة مكتبة الثقافة الدينية ، جـ١ ، ص٢٧ ، ٢٨ ـ أمين توفيق الطيبي .
كانم ـ برنو ـ بالسودان الأوسط في العصر الوسيط ، علاقات تاريخية عريقة بالعرب والمسلمين ، بحث في مجلة المؤرخ العربي ، عدد ٣٧ ، سنة ١٩٨٨ ، ص١٢١ . وفي القرن الثاني للهجرة قامت علاقات تجارية بين الدولة الرسمية الاباضية وبين بلاد السودان وكانم ، وتؤكد المخطوطات المحلية وصول عرب فزان الى كانم ، والى جانب تجارة الفلفل اشتهرت كانم بتجارة الرقيق (لمزيد من التفاصيل ارجع الى صباح الشيخلي ، الوجود العربي في كانم في السودان الأوسط حتى القرن السابع الهجري ، بحث بمجلة المؤرخ العربي العدد ، ٣٥ ، ١٩٨٨ ص١٢٢ ، ١٢٣ وما يليها) . وعن كانم وعلاقتهم بالعرب ارجع كذلك الى (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٧ ، جـ٤ ، ص٤٣٢ ـ القلقشندي صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص٢٨١ السلاوي « أحمد الناصري » صاحب كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، طبعة ١٩٥٥ ، ص١٠٣) .

وهناك من يرى أن أصل كلمة « كارم » أمهري[٣]، وتعني « الحبهان » وأن هذا المصطلح شاع وانتشر وأصبح يطلق على تجارة التوابل كلها وعلى تجارها كذلك[٤].

وقد يكون أصل الاسم هنديا فكلمة كاريام الهندية Karyam ، تعني الأعمال أو الأشغال ، ويقصد بها الأعمال المرتبطة بين سكان الساحل الغربي من الهند وتجار الشرق[٥].

ويرجح فريق من المؤرخين العرب أن كارم تتكون من مقطعين ، « كار » ، و « يم » . أما المقطع الأول « كار » فتعني حرفة أو مهنة ، في حين أن المقطع الثاني « يم » تعني النهر الكبير أو البحر أو المحيط ، وبهذا يصبح معنى اللفظة حرفة التجارة في البحر[٦] .

والتاجر الكارمي هو التاجر المتخصص في تجارة التوابل بوجه خاص وسائر سلع الشرق بوجه عام ، وهي السلع التي أصبحت أهم تجارة لمصر مع الغرب الأوروبي بدءا من العصر الفاطمي[٧].

---

(٣) أمهري ، بمعنى حبشي ، وأمهرا منطقة بالحبشة بها مدينة تجولات ، التي اتخذها « يكونوأملاك » مؤسس الأسرة السليمانية بالحبشة عاصمة له بدلا من أكسوم التي ظلت تحتفظ بمكانتها الدينية ، ففيها كان يتم تتويج الملوك والسليمانيين ، ملوك الحبشة بعد أسرة الزاغويه ، ينتسبون الى سليمان الحكيم ، وكانوا يعتبرون انفسهم امتدادا لأسرة (أكسوم السليمانية) التي كانت تحكم الحبشة قبل أسرة الزاغوية (ولمزيد من التفاصيل ارجع الى ابراهيم على طرخان الاسلام والممالك الاسلامية بالحبشة ، بحث بالمجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثامن ١٩٥٩ ، ص١ـ٦٨ ، سعيد عبدالفتاح عاشور ، بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة ، بحث من كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، بيروت ١٩٧٧ ، ص٢٧٩ وما يليها ، ت. تامرات ، القرن الافريقي ، السليمانيون في اثيوبيا ، بحث في كتاب تاريخ افريقيا العام طبعة اليونسكو ١٩٨٨ ، ص٤٢٥ وما يليها) .

(٤) صبحي لبيب ، التجار الكارمية ، ص٦ ، عطية القوصي ، تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص١٠١ .

(٥) عطية القوصي ، المرجع السابق ، ص١٠١ .

(٦) نفسه ، ص١٠٢ ـ الشاطر . بصيلي ، الكارمية ، بحث في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ١٣ لسنة ١٩٦٧ ، ص٢١٧ وما يليها . ويرجح د. صبحي لبيب ان أصل الكلمة محرف من « كانم » اذ كان الفاطميون بمصر يستوردون الشب من كانم (صبحي لبيب ، التجار الكارمية ، ص٦) .

(٧) صبحي لبيب ، المرجع السابق ، ص١٤ .

ويؤكد كثير من المؤرخين أن تجارة الكارم بدأت منذ سيطرة الفاطميين على مصر استنادا الى نص ذكره القلقشندي في سياق حديثه عن الأخطار التي كانت تتعرض لها تجارة الفاطميين في البحر الأحمر نطالع فيه العبارة التالية « وكان لهم (أي الفاطميين) أيضا أسطول بعيذاب يتلقى به الكارم فيما بين عيذاب وسواكن وما حولها خوفا على مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر بحر القلزم هناك يعترضون المراكب فيحميهم الاسطول منهم ، وكان عدة هذا الاسطول خمسة مراكب ثم صارت الى ثلاث ، وكان والي قوص ، هو المتولي لامر هذا الأسطول »[٨].

ويسوق أحد المؤرخين من عصر المماليك رواية ورد فيها ما يشير الى تأخر وصول طائفة التجار الكارمية سنة **٤٥٦هـ** ، وانقطاع الكارم زمن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله قبيل الشدة المستنصرية[٩].

وبهذه المناسبة يجدر بي أن أوضح نقطة هامة ، وهي أن العمانيين والتجار العرب لاسيما في عمان والخليج العربي عرفوا تجارة التوابل وسلع الشرق منذ أقدم العصور ، وكانوا دائما الوسطاء التجاريين بين عالمي الشرق والغرب . وكل ما في الأمر ان اطلاق مصطلح « الكارم » على هذه التجارة ، والكارمية المشتغلين بها ،

---

(٨) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٥٢٠ . كما أوضح في الجزء الرابع أن أحد الوظائف الهامة في مصر كانت نظر البهار والكارمي . (جـ٤ ، ص٣٢) .

(٩) ابن ايبك الدوادار ، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية وهو الجزء السادس من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٦١ ، ص٣٨٠ . وعن بداية ظهور الكارمية في العصر الفاطمي ارجع الى (حسنين محمد ربيع ، وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لموانىء الحجاز واليمن في العصور الوسطى ، بحث في كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الرياض ١٩٧٩ ، ص١٣٦ ، أحمد عمر الزيلعي ، مكة وعلاقتها الخارجية « ٣٠١-٤٨٧هـ » الرياض ، ١٩٨١ ، ص١٨٣ ، صبحي لبيب ، التجار الكارمية ، ص٧ ، عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص٩٢ . وقد أورد د. عطية القوصي ، في ص٩٧ وما يليها مجموعة من وثائق الجنيزة تؤكد وجود تجار « الكارم » منذ العصر الفاطمي) .

انها شاع منذ العصر الفاطمي ، أما الحرفة أو التجارة نفسها فكانت معروفة منذ القدم[١٠] .

وسأركز في بحثي على تجارة « التوابل » التي أصبح يطلق عليها منذ العصر الفاطمي اسم « تجارة الكارم »[١١]، رغم جنوحي في بعض الأحيان الى الحديث عن هذه التجارة في عصور سبقت العصر الفاطمي تلبية لما تقتضيه الدراسة .

---

(١٠) يتفق رأيي في ذلك مع ما ذكره د. عطية القوصي في كتابه « تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية » ص٩٢ ، ١-٨٣ . فد ذكر في الجزء الأول من كتابه أن حاصلات الشرق الأقصى والهند من توابل وبخور وحرير ومسك وكافور كان هدفا تجاريا لمصر منذ أيام البطالسة والرومان .
وقد عرف التجار العرب وخاصة تجار عمان والبحرين طريقهم الى الهند وشرق افريقيا منذ عصور ما قبل الاسلام ، وكانت سفنهم تنقل السلع والمتاجر من الهند الى موانىء الجزيرة العربية ، ومنها الى مكة التي كانت العاصمة الدينية للوثنية العربية ، وملتقى طرق القوافل التجارية الى مختلف أرجاء شبه الجزيرة العربية ، ومن موانىء شبه الجزيرة العربية كانت مصر تحصل على حاجتها من هذه السلع الشرقية . ولم يغير الفتح العربي لمصر من وضعها التجاري الذي كان سائدا أيام البيزنطيين وازداد نشاط موانىء مصر المطلة على ساحل البحر الأحمر . وقد اهتم (الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان) بميناء جدة لكي يكون المنفذ التجاري لبضائع الشرق المتجمعة في مكة كما اهتم بميناء الجار . وأصبحت موانىء شرق افريقيا وجزيرة لامو الى جانب ثغور الحجاز في العهد الأموي من أهم المراكز التي تنقل منها متاجر الشرق الأقصى الى مصر ، ولعب التجار ، اليهود الراذانية دورا كبيرا في نقل تجارة الشرق الأقصى الى الغرب الأوروبي . ويواصل د. القوصي حديثه عن تجارة الشرق ووسائل وصولها الى مصر وأهم الموانىء المصرية التي نشطت نتيجة لهذه التجارة وأهمها الفرما والقلزم والفسطاط في عصر الولاة وزمن الطولونيين والاخشيديين .
ولمزيد من التفاصيل عن تجارة عمان واليمن مع الهند والشرق الأقصى في العصر القديم ارجع الى جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٣ ، جـ٣ ، ص٣٥٢ . فهو يذكر أن البرتغاليين عثروا في صحار ومسقط بعمان عام ١٦٠١م على كميات كبيرة من النقود الرومانية المضروبة أيام طيباريوس ، وهذا يشير الى اشتغال أهل عمان بالتجارة ، ربما في مصر الرومانية في ذلك الوقت .
وعن تجارة ميناء عمانة مع الهند في العصر القديم ، ارجع الى جـ٨، ص٩٩ .
وعن تجارة موانىء اليمن مع الشرق وافريقيا ، أنظر نفس المرجع ، ص٦٦ وما يليها ، ص٩٨ ، ٩٩ .
وعن مكة كمركز تجاري هام وملتقى تجارة الشرق الأقصى في العصر القديم ، ارجع الى جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، جـ٤ ، ص١٩٠ ، عطية القوصي ، المرجع السابق ، ص٣٣ .
ومنذ نهاية القرن السادس الميلادي احتكرت قريش بمكة تجارة الهند ، بفضل جهود هاشم بن عبد مناف الذي يعتبر أول من سنّ رحلة الشتاء الى الشام ورحلة الصيف الى الحبشة (السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الطبعة الأولى ، ص٢١٠) .

(١١) عن التجار الكارمية ارجع الى نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، طبعة ١٩٧٣ ، ص٣٠١ وما يليها .
صبحي لبيب ، التجار الكارمية ، ص١١ وما يليها .
عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص٩٠ وما يليها .
السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، الاسكندرية ص٢٠٤-٢٠٨ ، ص٢٥٧ وما يليها .
W. Heyd, Histoire du commerce du Levant au moyen age, 1967.
Vol,I, P.378-388

كان نواخذة العرب وتجارهم في عمان بالذات والمدن المطلة على الخليج بوجه عام يخرجون في مواسم معينة من السنة برحلات تجارية الى الهند وجنوب شرق آسيا والصين للحصول على الفلفل والبهار والخلنجان والدار صيني (القرفة) والزنجبيل والقرنفل والهال وجوزة الطيبة والزعفران والعود والمسك والصندل ، والعنبر واللادن والمستكى وغيرها من سلع الشرق التي كان لها سوق نافقة في مصر في كل العصور ، وزاد الاهتمام بهذه السلع في العصر الفاطمي ، وكانت الاسكندرية أهم مركز في مصر لتصدير التوابل وهي تجارة مصر الأولى مع أوروبا المسيحية .

ويرجع سر اهتمام مصر الفاطمية بهذه التجارة الى أنها أصبحت الدعامة الرئيسية للاقتصاد المصري آنذاك . وكانت مصر تأخذ من هذه التوابل المجلوبة اليها من الشرق الأقصى عبر البحر الأحمر ، ما تحتاج اليه ثم تصدر ما يفيض عنها إلى الغرب الأوروبي الذي كان يتهلف على هذه السلع مما أتاح لمصر أن تكون حلقة الوصل بين تجار الكارم من العمانيين والسيرافيين ، واليمنيين ، وبين عالم أوروبا الوسيط[١٢] .

ومما يؤكد اهتمام مصر الفاطمية بالكارم ، أن احدى خزائن القصر الشرقي الكبير ، خصصت لحفظ كميات هائلة من التوابل[١٣] .

ويزودنا المقريزي في الخطط بنصوص هامة ذكر فيها أن خزائن الجوهر والطيب الفاطمية كانت مليئة بالعود الهندي ، وأن كل عود منها كان يتراوح طوله ما بين تسعة وعشرة أذرع ، وكذلك بالكافور القنصوري الذي تبلغ زنة كل حبة من خمسة مثاقيل الى مادونها ، وبقطع العنبر التي تبلغ زنة القطعة ثلاثة آلاف مثقال[١٤] .

---

(١٢) راشد البراوي ، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٨ ، ص٢٥٥ وما يليها .

(١٣) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، طبعة ١٩٦٤ ، ص٦١٥ .

(١٤) المقريزي (احمد بن علي) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبعة لبنان ، ص٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢ .

وكانت خزائن الطيب التي كان يحتفظ بها الوزير الأفضل شاهنشاه تحتوي على أسفاط لا حصر لها من العود وأواني المسك والكافور والعنبر ، ويذكر أيضا ما يشير الى أن تركة ست الملك كانت تضم جرات مليئة بالمسك[١٥] . كل ذلك يؤكد مدى اهتمام الفاطميين بسلع الشرق وحرصهم على اقتناء العديد منها ، ويعدد ابن اياس ما اشتملت عليه ثروات الوزير أبي عبدالله الأقمر ، الذي صادره الوزير المأمون البطائحي ، ويذكر من بينها مائة جرة مملوءة بالكافور القنصوري نادر الوجود وكميات كبيرة من العود القماري تصل الى مائة مَن[١٦] .

وكان الفلفل أكثر محل اهتمام الدولة الفاطمية من بين جميع أصناف الكارم ، وقد أثارت الأحمال الكبيرة منه دهشة ابن جبير[١٧] عندما وصل الى ثغر عيذاب المطل على البحر الاحمر حتى انه تصور لكثرته أن قيمته لا تتجاوز قيمة التراب ، وكذلك كان الحال بالنسبة الى القرفة (الدار صيني)[١٨] .

وإذا كان الفاطميون قد وضعوا الفلفل والقرفة في المكان الأول من التجارة الكارمية ، فقد اهتموا كذلك بالبخور واللبان لأهمية استخدام هذه المواد في المساجد والمشاهد وفي الدور والقصور بالقاهرة والأقاليم ، كما كانت من أهم المواد المصدرة من مصر الى الغرب الأوروبي حيث كانت تستخدم في الطقوس الدينية في الكنائس[١٩] . وكان الغرب يقبل أيضا على اقتناء المواد العطرية لاستخدامها في علاج بعض الأمراض وفي صناعة الخمور وحفظ الطعام .

---

(١٥) راشد البراوي ، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، ص٢٥٧ وما يليها .

(١٦) محمد بن أحمد بن اياس الحنفي ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص٢٢٣ .

(١٧) ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد البلنسي) ، رحلة ابن جبير ، تحقيق وليم رايت ، ليدن ١٩٠٧ ، ص٦٧ .

(١٨) المقريزي ، الخطط المقريزية ، جـ١ ، ص٣٥٦ .

(١٩) راشد البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص٢٥٦ ، حسنين ربيع ، وثائق الجنيزة ، ص١٣٨ .

ومن الجدير بالذكر أن أفضل أنواع اللبان ما كان يستخرج من عمان[٢٠] ، وبلاد مهرة وقصبتها الشحر التي كان يعتبرها كل من الاصطخري وابن حوقل ضمن اقليم عمان ،[٢١] وكذلك الكافور الذي كان أفضل أنواعه ما يستورد من شحر عمان ، ولعل في ذلك ما يشير الى وجود علاقة تجارية مباشرة بين كارمية عمان وبين مصر في العصر الفاطمي .

ونستدل من المصادر العربية أن الفاطميين كانوا يحرصون على جلب كميات هائلة من التوابل والعطور والكارم ، كانت قيمتها في العام الواحد تصل الى خمسين ألف دينار ، وكانت التوابل والعطور توزع على الحمامات كل يوم جمعة ، كما كان الطيب والأفاوية يوزع على قصور الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة . ونستدل من نص أورده المقريزي على مدى انتشار الطيب والمسك لدى الخاص والعام ، من ذلك أن قاضيَ الاسكندرية في عهد الآمر بأحكام الله وهو أحمد بن عبدالمجيد بن حديد ، أهدى الى والي الاسكندرية أبي تراب حيدرة أخي المأمون بن البطائحي وزير الآمر مداف بلور فيه ثلاثة بيوت ، كل بيت عليه قبة ذهب شبكة ، مرصعة بياقوت وجوهر : بيت دهن بمسك ، وبيت دهن بكافور ، وبيت دهن بعنبر طيب يبلغ قيمته خمسمائة دينار .[٢٢]

---

(٢٠) أبو الفضل جعفر بن عبدالله الدمشقي ، الاشارة الى محاسن التجارة ، القاهرة ١٣١٨ ، ص٢٢ .

(٢١) الاصطخري (أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي) ، المسالك والممالك تحقيق محمد جابر الحيني ، ١٩٦١ ، ص٢٧ .
أبو القاسم بن حوقل النصيبي ، صورة الأرض ، طبعة بيروت ، ص٤٤ .
وقد أمدتنا وثائق الجنيزة بمعلومات قيمة عن أنواع المتاجر التي كان يجلبها الكارمية العرب والعمانيون من الهند والصين والساحل الشرقي من أفريقيا ، والتي كانت تعتمد عليها مصر في تجارتها مع الغرب الأوروبي . (ارجع الى حسنين ربيع وثائق الجنيزة وأهميتها ، ص١٣٨ وما يليها ، أحمد الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، الجزء الخاص بوثائق الجنيزة ، ص١٨١ ، ١٨٤) .

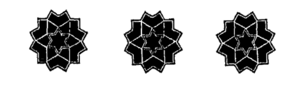
(٢٢) المقريزي ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٢ .

El Sayed Abdel Aziz Salem, Des Grecs Aux Ottomans : Grandeur Et Misere D'un Mythe, Dans Le Miroir Egyptien, Marseille, 1984

El Sayed Abdel Aziz Salem, D'Alexandrie A Almeria Une Famille Alexandriene Au Moyen Âge : Les Banu Khulaye Dans Alexandrie Entre Deux Mondes, Aix En Provence, 1987, P. 60.

ولقد كان قصر الخليفة الفاطمي يستهلك في الشهر الواحد مثقالا من الند ، ومائة وخمسين درهما من العود الصيني وخمسة عشر درهما من الكافور وعشرة مثاقيل من العنبر الخام وعشرين درهما من الزعفران وثلاثين رطلا من ماء الورد .[٢٣]

ومن خلال العرض السابق ، يتبين مدى اهتمام مصر بالكارم منذ العصر الفاطمي ، وسنبرز في الصفحات التالية الدور الهام الذي قام به نواخذة عمان وكارميتها في نقل هذه السلع التجارية الى مصر ، وسنوضح كذلك الى أي مدى أثرت هذه المواد في اقتصاد مصر وفي سياستها الخارجية ، كما سنحدد الطرق التجارية التي كانت هذه التجارة تصل عبرها من العمانيين الى تجار مصر ، وما إذا كانت هذه الطرق التجارية مباشرة بين مصر وعمان أو غير مباشرة وعبر وسيط ثالث .



(٢٣) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦١٦ وانظر كذلك ما أورده المقريزي بهذا الصدد ، في جـ ٢ ص ٢٧٣ .

(٢)

دور عمان في تجارة الكارم

أسهم العمانيون طوال العصر الاسلامي بنصيب وافر في تجارة التوابل والكارم ، واشتهر العديد من موانىء عمان بمكانة تجارية رفيعة ومتميزة في العالم في ذلك العصر . وكانت صحار ، قصبة عمان تعد أهم مدن عمان التجارية مع الشرق الأقصى وافريقيا ويصفها المقدسي بأنها (دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن) ، [٢٤] وقد نقل عنه ياقوت الحموي في معجم البلدان هذا الوصف[٢٥] .

وكذلك قامت مسقط بدور هام في تجارة الشرق الأقصى ، فقد كان لها بئر من الماء العذب ، كانت تتردد عليه السفن التجارية للتزود بمياهه[٢٦] . ومن أشهر أسواق عمان التجارية التي كان يتم فيها تصريف منتجات الشرق الأقصى دبا[٢٧] ، وجلفار ، [٢٨] وازكي وشبا وكلبا .

كما كان لجزيرة قيس « كيش » الواقعة في بحر عمان دور تجاري هام إذ كانت مقر صاحب عمان ، مالك هذا البحر ، ومرفأ مراكب الهند وبر فارس[٢٩] . ومن

---

(٢٤) المقدسي البشاري ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليمك ، ليدن ١٩٠٦ ـ ص ٩٢-٩٣ .

(٢٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، طبعة بيروت ١٩٥٧ ، جـ ٣ ، ص ٤٩٤ .

(٢٦) ابن الفقيه الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٣٠٢ ، ص ١١ ، المسعودي خروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق الاستاذ محمد محى الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٥٨ ، جـ ١ ص ١٤٩ . وعن مسقط وما اشتهرت به من ثروة سمكية ارجع الى ابن بطوطة ، الرحلة ، طبعة بيروت ١٩٦٠ ، ص ٦٤٨ .

(٢٧) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٢ ص ٤٣٥ ، سيدة كاشف ، عمان في فجر الاسلام ، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ١٩٧٩ ، ص ٣٢ حاشية ٢ .

(٢٨) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١٥٤ ، ولمزيد من التفاصيل عن دور عمان في تجارة الخليج العربي ارجع الى (شوقي عبدالقوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية ٤١-٩٠٤هـ/ ٦٦١-١٤٩٨م سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، يوليو ١٩٩٠ ، ص ١٧٦ وما يليها) .

(٢٩) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٤٢٢ .

المعروف أن قيس شغلت المكانة التجارية مع بلاد الشرق الأقصى حتى القرن الثامن الهجري عندما بدأ نجم هرمز في التألق والسطوع .[٣٠]

ومما لاشك فيه أن التجار الكارمية العمانيين ، ونواخذة عمان تمرسوا في سلوك الطريق البحري الموصل الى بلاد الشرق الأقصى من جهة وشرق افريقيا من جهة أخرى الى حد أنهم توصلوا الى معرفة مواطن الضعف فيه ، ومواسم مده وجزره ، وأوقات هبوب الرياح والعواصف والأنواء ، وخصصوا في جزره محطات ومراسي للتمير والاستراحة .[٣١]

وقد زودتنا المصادر العربية بتفاصيل وصفية عن هذا الطريق البحري الذي كان يسلكه نواخذة عمان وتجارها الكارميون . ولقد أمكننا بفضل النصوص التي أوردها كل من ابن خرداذبه في « المسالك والممالك »[٣٢] واين الفقيه في « مختصر كتاب البلدان »[٣٣]وصاحب كتاب « سلسلة التواريخ »[٣٤] التعرف على أهم ملامح الرحلة البحرية التجارية ، من عمان الى الهند والصين سعيا لجلب التوابل والكارم . وكانت تبدأ من البصرة بخروج السفن الصغيرة متجهة نحو سيراف

---

(٣٠) كانت قيس تتأرجح بين السيادة الفارسية والعربية ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى قيس بن عمارة من آل عمارة المعروفين بآل الجلندى (فاروق عمر فوزي ، انتشار العرب في أقاليم الخليج العربي الشرقية في العصور الاسلامية الأولى) ، بحث مقدم الى مؤتمر مكانة الخليج العربي في التاريخ الاسلامي الذي عقد في جامعة الامارات العربية المتحدة ، ١٩٨٨ ، ص ٦٦ ، وقد اطلق ياقوت الحموي عليها « فرضة الهند » (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٢٩٥) . وعن انتقال مكانتها التجارية الى هرمز ارجع الى ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٢٧٣ .

(٣١) أسرف الجغرافيون العرب في الاشارة الى ذلك ، ومنهم ابن الفقيه الهمذاني ، وابن رسته والمسعودي . ويصف المسعودي بحر فارس والمحيط الهندي بقوله : « بحر فارس تكثر أمواجه ، ويلين بحر فارس ، وتقل أمواجه ، ويسهل ركوبه عند ارتجاج بحر الهند ، واضطراب أمواجه ، وظلمته وصعوبة مركبه ، فأول ما تبتدىء صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة ، وقرب الاستواء الخريفي ، ولايزال في كل يوم تكثر أمواجه الى أن تصير الشمس الى برج الحوت » . . (المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص١٤٨) .

(٣٢) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص٦٤-٧٢ .

(٣٣) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١١-١٣ .

(٣٤) سلسلة التواريخ ، ص١٥-٢١ .

حيث تفرغ شحناتها في سفن أكبر حجما يمكنها أن تتحمل مياه المحيط الهندي ، ومن هناك تتجه الى صحار ومنها الى مسقط آخر أعمال عمان وهناك تتزود بالمياه العذبة من بئرها المشهورة ، ثم تبحر السفن من مرساها الى كولم ملي الواقعة جنوبي ساحل الملبار بالهند . وكانت السفن التجارية تقطع المسافة من مسقط الى كولم ملي في نحو شهر ، ومن كولم ملي تتابع السفن رحلتها الى جزيرة سرنديب[٣٥] فتغادر بذلك بحر لاروى لتبدأ في الدخول في مياه بحر هركند ، فإذا ما اجتازت مياهه فإنها تصل الى جزر لنجبالوس ،[٣٦]ولما كان أهلها لا يعرفون اللغة العربية فقد كانوا يتفاهمون مع التجار العمانيين بالاشارة . ثم تنطلق السفن الى (كله) على الساحل الغربي لشبه جزيرة الملايو ، حيث تتزود بالماء من الآبار العذبة ثم تواصل ابحارها الى موضع يقال له بتومة[٣٧] يتوفر فيه ماء عذب وكانت السفن التجارية تقطع المسافة من كله الى بتومة فيما يقرب من عشرة أيام ثم تعبر بعد ذلك مضيق شلاهط في طريقها الى بلاد الصنف حيث المياه العذبة والعود الصنفي ، ومن الصنف تبحر السفن الى موضع يقال له صندرفولات ، وهي جزيرة بالبحر تبعد كثيرا عن بلاد الصنف . وكانت السفن تقطع المسافة بينهما في نحو عشرة أيام ،

---

(٣٥) سرنديب أكبر جزر بحر هركند ، ثالث بحار المحيط الهندي ، وهي بأقصى بلاد الهند ، ويتوفر فيها الياقوت الأحمر والماس ، كما يجلب من شواطئها العنبر واللؤلؤ وبجبالها مناجم الذهب والفضة (ياقوت الحموي ، معجم البلدان . مادة سرنديب .
سلسلة التواريخ ، ص١٧٢-١٧٣ الحميري « محمد بن عبدالمنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق د. احسان عباس ، طبعة بيروت ١٩٨٤ ، ص٣١٣ » .

(٣٦) سلسلة التواريخ ، ص٩ ، ويسميها المسعودي جزر النجبالوس (المسعودي مروج الذهب ، جـ١ ، ص١٤٢) .

(٣٧) سلسلة التواريخ ، ص١٨ .

وبالوصول الى بحر صنجي[٣٨] أو بحر الصين تقترب الرحلة العمانية من نهايتها حيث ترسو في ميناء خانفو[٣٩] .

كان ذلـك هو الخط الملاحي التجاري الرئيسي ما بين عمان والشرق الأقصى ، وان كان يتفرع منه خط آخر يبدأ من جزيرة كله الى جزيرة الزابج وجاوه ، هذا بخلاف الخط الملاحي المباشر الذي كان يربط المدن المطلة على الخليج العربي بالديبل وبلاد السند .

وفيما يتعلق بالطريق البحري الذي كان يسلكه تجار التوابل العمانيون الى شرق افريقيا ، فكان يبدأ من صحار أو مسقط وينتهي بسفالة . فكانت السفن العمانية تبحر بمحاذاة الساحل ولا تتعمق داخل مياه المحيط بهدف التنقل بين أكبر عدد ممكن من الجزر المتناثرة قبالة الساحل الشرقي لافريقيا سعيا وراء التبادل التجاري مع أهلها[٤٠] .

وكانت سفاله[٤١] هي أقصى المناطق الافريقية التي تصل اليها الرحلة

---

(٣٨) يعد الخليج العربي شعبة من بحر الهند العظيم أو المحيط الهندي كما نطلق عليه اليوم ، فهو يشتمل على ثلاثة بحار ، بحر فارس وبحر البحرين وبحر عمان ، ويتصل الخليج العربي شرقا ببحر لاروي أكبر بحار المحيط الهندي . ويطل على بحر لاروي بلاد صيمور وسوبارة وتابه وسندان وكنبايه وغيرها من السند والهند ، ثم بحر هركند الذي يفصله عن بحر لاروي عدة جزر تعرف بالدبيحات آخرها جزيرة سرنديب ، ليليها شرقا جزيرة الراين ثم جزر لنجبالوس ، ثم بحر كلاهبار في شبه جزيرة الملايو ويليه بحر شلاهط ، فبحر كردنج فبحر الصنف الذي ينتهي ببحر الصين أو بحر صنجي الملىء بالجزر (المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص١٤٩ .
السيد عبدالعزيز سالم ، التجارة البحرية في الخليج في صدر الاسلام ، بحث مقدم الى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ، بقطر ١٩٧٦ ، جـ١ ، ص٤٠٠) .

(٣٩) لمزيد من التفاصيل عن علاقة عمان بالهند وجزر جنوب شرق آسيا ، والصين ارجع الى شوقي عبدالقوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية ، ص٤٦ ، ٤٧ ، ٨٩ وما يليها .
ويذكر د. عبادة كحيله أن سرنديب تقابل سريلانكا الحالية ، وبحر هركند يقابل خليج البنغال وأن جزر لنجبالوس هي نيكوبار NICO BAR وشلاهط هي مالقة ، وبلاد الصنف هي مملكة تشابا CHAMPA الواقعة شرقي الصين الهندية وجزيرة الزابج هي سومطرة (عبادة كحلية ، العرب والبحر ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص٦٠ .

(٤٠) عبادة كحيله ، المرجع السابق ، ص٥٥ .

(٤١) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٧ .
وسفاله لفظة أصلها سامي تعني الأرض المنخفضة ، وسميت في المصادر العربية بسفالة الذهب لتوافر معدن الذهب في أرضها (السر سيد أحمد العراقي ، معالم الحضارة الاسلامية في ساحل شرق افريقيا في العصور الوسطى ، مجلة دراسات افريقية ، الخرطوم ، العدد الثاني ، ابريل ١٩٨٦ ، ص١٠٢ .

التجارية العمانية ، وذلك لتوقف الرياح الموسمية عن الهبوب جنوبي رأس كورينتس Corrientes وعنف التيارات المائية وكثرة العواصف البحرية والأنواء .

ومن بين الجزر التي كان العمانيون يترددون عليها في رحلاتهم التجارية بحرا الى شرق افريقيا جزيرة قنبلو ، وزنجبار(٤٢) . وكان العمانيون يقيمون مستوطنات عمانية تجارية في هذه الجزر الافريقية المقابلة للساحل الشرقي لافريقيا ، بهدف حماية مصالحهم التجارية .

وفيما يتعلق بأهم أنواع التوابل التي كان الكارمية العمانيون يجلبونها من بلاد الشرق الأقصى ، نذكر من الصين ، المسك الصيني والتبتي والعود الدراصيني والخولنجان(٤٣) ، ومن الهند العود والصندلان والكافور والقرنفل والقاقلة والنارجيل (جوز الهند) والطيب والعنبر والفلفل(٤٤) .

ومن جزيرة كله اعتاد التجار العمانيون وسق سفنهم بالعود والكافور والصندل والبقم والأفاوية .(٤٥) كما كانوا يجلبون الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوز والبسباسة والقاقلة والكبابة من جزر الصنف ،(٤٦) ومن قمار ، العود المعروف بالقماري ،(٤٧) ومن جزيرة سرنديب(٤٨) ، الكافور ومن جزيرة

---

(٤٢) عبادة كحيله ، العرب والبحر ، ص٥٥ وما يليها .

(٤٣) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص٧٠-٧١ .

(٤٤) سلسلة التواريخ ، ص٢٩ ، ٣٠ ، ١٢٩ ، ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص٢٥١ .

(٤٥) سلسلة التواريخ ، ص٩٠ .

(٤٦) المسعودي ، مروج الذهب جـ١ ، ص١٥٤ ، وارجع الى سلسلة التواريخ ، ص١٧٢ ، ١٧٣ .

(٤٧) ابن خرداذبه ، المسالك الممالك ، ص٦٨ .

(٤٨) ابن خرداذبه ، المسالك الممالك ، ص٦٤ .

الكلب النـارجيل ومن قنصور الكافور القنصوري[٤٩]، ومن جزر الدبيحات ، العنبر والنارجيل .

كما كانـوا يجلبون من افريقيا الفلفل ، ومن جزيرة سقطرى[٥٠] الصبر . وكانت سقطرى على مقربة من كل من شبه جزيرة العرب ، ومن الساحل الشرقي لافـريقيا . وقـد هيأ لها هذا الموقع الجغرافي الفريد ان يمر بها التجار العمانيون المتجهون الى الساحل الشرقي والجنوبي الشرقي من افريقيا ، الأمر الذي ساعد على نشر الاسلام في هذه الجزيرة وساعد على ذلك أن بعض القبائل العربية من مهـرة كانت قد هاجـرت اليهـا قبـل الاسـلام ، ودانت بالمسيحية ، فلما ظهـر الاسلام ، وأقبلت اليهم طوائف من التجار العمانيين المسلمين ، بدأت تتقاطر عليها هجرات متتابعة من القبائل العمانية ، ثم نزلها الشراة الاباضية ، ونشروا فيها المذهب الاباضي منذ طليعة القرن الثاني للهجرة[٥١] .

وكـان ذلـك من أهم العوامل التي نشطت تجارة عمان مع سقطرى حتى النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، مما سهل عليهم الحصول على العنبر السقطري الذي كان يعد من أهم أصناف الكارم وكانت له سوق رائجة في مصر .

وعلى هذا النحو توثقت الصلات التجارية بسبب التبادل التجاري القائم بين عمان وبين بلاد الشرق الأقصى من جهة ، وشرق افريقيا من جهة أخرى ،

---

(٤٩) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٦ . وعن السلع الهندية في الأدب العربي ارجع الى القاضي أطهر مبار كبوري الهندي ، العرب والهند في عهد الرسالة ، ترجمة عبدالعزيز عزت عبدالجليل ، طبعة الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص٣١ وما يليها .
وعن علاقة عمان بغنضور والخط الملاحي بينهما ارجع الى شوقي عبدالقوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي الملحق السادس ، ليلة من الحكاية الثانية من حكايات السندباد ، ص٣١٦ ، ٣١٧ .

(٥٠) سلسلة التواريخ ، ص١٣١ ، ١٣٤ .

(٥١) فاروق عمر فوزي ، الخليج العربي في العصور الاسلامية ، دبي ، ١٩٨٣ ، ص٢٩٦ وما يليها .

وبينما توافد التجار العمانيون على هذه البلاد كان التجار الهنود والصينيون والافارقة (الزنج) يترددون بدورهم على أسواق عمان سعيا لشراء أهم المنتجات العمانية والعربية .

وتؤكد ذلك النصوص التي زودتنا بها المصادر العربية الجغرافية والتاريخية . وكان لهذه الصلات التجارية العمانية الافريقية آثار عميقة انعكست على العلاقات التجارية بين مصر وعمان ، فقد نتج عن التبادل التجاري بين عمان وبلاد الزنج أن أقام العمانيون مراكز تجارية لهم على الساحل الشرقي الافريقي (كما سبق أن ذكرنا) أقام فيها بعضهم . وكان تجار مصر[٥٢] يتعاملون مع هؤلاء العمانيين المقيمين في افريقيا . مما يدعونا الى الاعتقاد بوجود صلات تجارية مباشرة في كثير من الأحيان بين الكارمية العمانيين في شرق افريقيا ، وتجار مصر ، دون الحاجة الى وسطاء تجاريين .

ونستشهد لتأكيد ذلك بفقرات من نزهة المشتاق ، فمن ذلك على سبيل المثال قول الادريسي « ليس للزنج مراكب يسافرون فيها وانما تدخل المراكب من عمان وغيرها الى جزائر الرانج[٥٣] فيبيعون بها متاعهم[٥٤]، ويشترون متاع الزنج ،

---

(٥٢) سنوضح ما يثبت وجود علاقات تجارية وتلك المناطق الافريقية التي استوطنها العمانيون على الصفحات التالية .

(٥٣) الرانج ، تقابل بلاد الزنج الساحلية ، وهي مجموعة جزر كثيرة ، أرضها واسعة وأهلها شديدو السمرة (الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص٦٠) .

(٥٤) أهم السلع التي كان يصدرها التجار الكارمية العمانيون الى اهالي شرق افريقيا والشرق الأقصى تتمثل في اللؤلؤ العماني مستوي الجسد (الجاحظ البيان والتبيين ، طبعة بيروت ، جـ٢ ، ص١٧) .
ولؤلؤ البحرين الذي كان يسمى باللؤلؤ القطري (ابن رسته « أبو علي أحمد بن عمر » ، الأعلاق النفيسة ، طبعة مكتبة المثنى ، بغداد ، ص٨٧ ، السيد عبدالعزيز سالم ، التجارة البحرية في الخليج ، ص٤١٢) .
ولؤلؤ دهلك ، ومغاص الشرجة باليمن ، وكيش ، وأوال ، وخارك (ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص٦٢ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٠١ ، السيد عبدالعزيز سالم ، المرجع السابق ، ص٤١٤) .
والعنبر المجلوب من شحر عمان ، والتمور العمانية ، واللبان والكندر من حضرموت ، والشب اليماني والورس اليمني ، والخيول العمانية ، والظفارية .
(عن التمور انظر ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص٣٠ ، ٢٥٣ ، وعن اللبان ارجع الى المقدسي ، احسن التقاسيم ص٨٧ ، وعن الورس ارجع الى ابن الفقيه ، المصدر السابق ، ص٣٦ ، وعن الخيول ارجع الى رحلة ابن بطوطة ، ص٣٢٨ ، ٢٥٩) .

وأهل جزائر الرانج يسافرون الى الزنج في زوارق ومراكب صغار ، فيجلبون منها أمتعتها لأنهم يفهم بعضهم كلام بعض ، وللعرب في قلوب الزنج رعب عظيم ، ومهابة ، فلذلك كانوا إذا عاينوا رجلا من العرب تاجرا أو مسافرا سجدوا له »(٥٥) .

وفي موضع آخر يذكر أن صاحب جزيرة كيش من بحر عمان يغزو بمراكبه بلاد الزنج فيسبي منها خلقا كثيرا ، ويوضح في موضع ثالث أن للموز ، وكان من المحاصيل التي عرفت بها جزر الزنج ، خمسة أنواع أحدها يعرف « بالموز العماني »(٥٦) ، مما يؤكد اقامة جاليات عمانية على الساحل الشرقي الافريقي للاتجار مع الزنج ، وقد علم هؤلاء العمانيون أهالي البلاد طريقة زراعة الموز العماني ، فأجادوها .

ويؤكد القلقشندي تلك العلاقات التجارية المتبادلة بين عمان ، وشرق افريقيا ، فيذكر نقلا عن المهلبي في وصفه لعمان « وهي مدينة جليلة بها مرسى السفن من السند والهند والزنج وليس على بحر فارس أجل منها »(٥٧) .

ومما يؤكد على عمق تلك العلاقات التجارية ، واقامة جاليات عمانية في شرق افريقيا تعمل بالتجارة ، لاسيما تجارة الكارم ، انتشار المذهب الاباضي في زنجبار واستمراره حتى يومنا هذا(٥٨) ، بل ان أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة

---

(٥٥) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص٦١ .

(٥٦) المصدر السابق ، ص٦١ .

(٥٧) القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص٥٥ .

(٥٨) الشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي السمائلي ، ازالة الوعثاء عن أتباع ابي الشعثاء ، تحقيق وشرح د. سيدة اسماعيل كاشف ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص٥١ . أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، القاهرة ١٩٣٦ ، جـ٣ ، ص٣٣٦ .

البصري التميمي بالولاء[٥٩]، وكان واحدا من كبار الائمة الاباضية في عمان ، بل المؤسس الحقيقي للمـذهب الاباضي في العالم الاسلامي ، كان من أصل افريقي ، وكان يعمل قفافا بعمان مما يؤكد بلا شك وصول العنصر الافريقي الى عمان عن طريق التجارة .

ومن الجزر المجاورة لساحل شرق افريقيا جزيرتا خرتان ومرتان المواجهتان لحاسك باليمن ، وكانتا ترتبطان بصلات تجارية وثيقة مع عمان ، وكان يسكنهما على حد قول الادريسي قوم من العرب ونرجح أن يكونوا من عمان لأن الجزيرتين كانتا تقعان بمحاذاة بلاد الشحر ، وقد أكد الادريسي أن أهل هاتين الجزيرتين كانـوا يركبون مراكبهم الى ارض عمان وعدن وساحل اليمن للاتجار[٦٠]، وشراء سلع الشرق الأقصى التي تخصص العمانيون في شرائها ومنها التوابل والكارم بطبيعة الحال .

(٥٩) سالم بن حمد بن سليمان الحارثي ، العقود الفضية في أصول الاباضية طبعة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ، ١٩٨٣ ، ص١٣٩ .
السمائلي ازالة الوعثاء ، ص٣٣ وما يليها .

(٦٠) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص٥٢ ، ٥٦ . وقد استمرت الرحلات التجارية العمانية الى شرق افريقيا طوال العصر الاسلامي . ومن أمثلة ذلك ما أورده د. شوقي عبدالقوي عثمان انه في حوالي عام ٥٤٥هـ أبحر العرب العمانيون ، والهنود ، والشيرازيون على طول الشاطىء الافريقي.(شوقي عبدالقوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي ، ص٦٣) .

Richard W. Hull. Munya Kare, African Civilizution before the Batuuree, New York, 1971, P.66 .

وعن موعد الرحلة التجارية العمانية الى شرق افريقيا ومواسمها ومحطاتها ارجع الى شوقي عبدالقوي عثمان ، المرجع السابق ، ص٢٩٤ وما يليها ،

التطورات التي لحقت بتجارة التوابل العمانية

اهتم العباسيون منذ قيام دولتهم اهتماما خاصا بتأمين اقتصاد قوي ومحكم لدولتهم . ولما كانت تجارة التوابل في الخليج العربي ، التي يتحكم فيها العمانيون ، موردا رئيسيا من أهم موارد الدولة العباسية ، فقد حرص خلفاء بني العباس طوال عهودهم بسبب ذلك العامل الاقتصادي بالاضافة الى عوامل أخرى سياسية ومذهبية ، على إحكام سيطرتهم على عمان .(٦١)

وربما يفسر ذلك ان الخليفة العباسي أبا العباس السفاح افتتح عهده بصدام مسلح بينه وبين الامامة الاباضية الأولى بعمان : ففي سنة ١٣٤ هـ سير الخليفة أبو العباس السفاح جيشا قويا بقيادة خازم بن خزيمة(٦٢) الى عمان بهدف بسط النفوذ العباسي عليها . وقد أسفرت هذه الحملة عن هزيمة العمانيين في معركة جلفار ومصرع امامهم الجلندى بن مسعود ودخول عمان في فلك الدولة العباسية(٦٣) . وعلى الرغم من محاولات العمانيين العديدة للتخلص من سيطرة

---

(٦١) لم تخضع عمان لنفوذ الامويين منذ قيام دولتهم الا لفترة قصيرة في عهد عبدالملك بن مروان ، ويعود الفضل في ذلك الى الحجاج بن يوسف الثقفي واليه على العراق وقد تسبب هجومه على عمان في هجرة سليمان وسعيد ولدي الجلندى واتباعهما من بلادهما الى شرق افريقيا ، حيث استقروا جميعا حول منطقة ارخبيل لامو وفي جزيرة مافيا المواجهة لمصب نهر الروفيجي Rufiji أو جزيرة بتاء Pate في الشمال .

ويعتبر أبناء الصومال هذه الهجرة الاسلامية العمانية أكبر حدث تاريخي في شرق افريقيا ، كما يرون انها الدعوة الاسلامية الأولى المنظمة في الصومال (حمدي السيد سالم ، الصومال قديما وحديثا ، طبعة وزارة الاستعلامات بالصومال ، جـ١ ، ص٣٥١ ، عبادة كحيله ، العرب والبحر ، ص٥١ ، السر سيد أحمد العراقي ، معالم الحضارة الاسلامية في ساحل شرق افريقيا ، ص٨١ ، حسين علي المصري ، العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق ومنطقة الخليج العربي ، رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة الاسكندرية ١٩٨١ ، ص٤٨ ، فاروق عمر فوزي الخليج العربي في العصور الاسلامية ، ص١٢٤) .

(٦٢) هو خازم بن خزيمة النهشلي ، من صخر بن نهشل ، ويكنى ابا خزيمة ، ولي خراسان ، ثم ولي عمان ، وتوفي ببغداد . (وعن علاقة ابن خزيمة السيئة بأبي العباس السفاح وقتله لأخوال الخليفة من بني الحارث بن كعب ارجع الى الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، طبعة لبنان ، جـ٩ ، ص١٤٩ .
عزالدين بن الاثير ، الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٦٥ ، المجلد الخامس ، ص٤٥ ، حسين المسيري ، العلاقات السياسية والاقتصادية ، ص٩٨-١٠٢) .

(٦٣) عن معركة جلفار سنة ١٣٤ هـ ارجع الى فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص١٧٩ وما يليها .

العباسيين الذين اطلق عليهم أهالي البلاد اسم « الجبابرة »[٦٤]، ومن اتخاذ العباسيين من عمان قاعدة عسكرية تخرج منها الجيوش الى الهند[٦٥]، فإن تجارة عمان لاسيما تجارة التوابل مع الشرق الاقصى وشرق افريقيا ، لم تتوقف آنذاك ، بل ازدادت نشاطا وقوة في العصر العباسي ، بحيث يمكننا القول بأن العباسيين نجحوا بحق في نقل مركز الثقل التجاري في الدولة العباسية الى الخليج العربي وأمكنهم في ذات الوقت شل الحركة التجارية في البحر الأحمر[٦٦] .

وبهذا يكون العمانيون قد سيطروا على تجارة التوابل ابان القرن الثاني للهجرة ، وساعد على تفوقهم التجاري هذا خلال هذا القرن قيامهم بثورة عارمة على الولاة العباسيين في عمان سنة ١٧٧ هـ ، انتهت بعودة الامامة العمانية . ونجح العمانيون في تنصيب الامام محمد بن عبدالله بن عفان اليحمدي على أنفسهم . وفي سنة ١٧٩ هـ خلفه على الامامة الامام الوارث بن كعب الخروصي الشاري ، وتسجل جميع المصادر التاريخية التي عنيت بالتاريخ العماني فضل الوارث بن كعب في اعادة الهدوء والأمان والاستقرار الى نفوس أبناء عمان مما كان له أكبر الأثر في ازدهار التجارة في الخليج العربي .

---

(٦٤) أطلق أهل عمان على الامويين والعباسيين بالاضافة الى كل من يخالف شريعة الاسلام لقب « الجبابرة » (فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص١٢٧) .
وعن المذهب الاباضي ورفضه الخضوع لسلطان الجور ، ارجع الى سليمان محمد الغنام ، الوجود البرتغالي في عمان في المصادر المحلية البرتغالية ، بحث في كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الرياض ١٩٧٩ ، جـ٢ ، ص١١٦ .

(٦٥) كانت الدولة العباسية تخطط لفتوحات جديدة في الهند ووسط آسيا ، وكان هذا يحتم عليها أن تؤمن طرق مواصلاتها العسكرية عبر الخليج العربي فكان لابد لها لهذا السبب السياسي الى جانب الأسباب الاقتصادية الأخرى أن تسيطر على عمان (حسين المسيري ، المرجع السابق ، ص٩٧) خاصة وان عمان كان لها دور هام في فتوحات الهند والسند والديبل ابان ولاية عثمان بن أبي العاص الثقفي عليها وعلى البحرين ، فقد أغار بسفنه العمانية على سواحل الهند عند تانه بالقرب من بومباي ، كما وجه أخاه المغيرة . . الى خور الديبل عند مصب نهر السند سنة ١٥هـ . وفي العصر الأموي أمر الحجاج بن يوسف الثقفي قائد عمان أن يرد غارات القراصنة الهنود (البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، جـ٣ ، ص٥٣٠ ، عبادة كحيله ، العرب والبحر ، ص٤٩ وارجع كذلك الى) :

H.G. Raw Linson, India, London 1948

(٦٦) عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص٤٦ .

ولم يطل العمر بهذا الامام فقد توفي غرقا في سنة ١٩٢ هـ ، وخلفه على الامامة غسان بن عبدالله اليحمدي ، من الفجح . ويذكر الحارثي ان عمان في عهده خصبت « وصارت خير دار » . ويؤكد جميع المؤرخين والمستشرقين أن عهد كل من هذين الامامين يستحق أن يطلق عليه « العصر الذهبي لعمان »(٦٧)، فقد ازداد ثراء العمانيين بسبب تفوقهم التجاري وسيطرتهم على تجارة الشرق الأقصى وشرق افريقيا (التوابل) . وتشير المصادر إلى أن الامام غسان اهتم بتأمين تجارة عمان الى جنوب شرق آسيا وشرق افـريقيا اهتماما خاصا فعمل على وضع حد لأخطار القراصنة الهنود الذين كانوا يترصدون للسفن العمانية ويهددون سواحل عمان في الفترة السابقة المضطربة التي كانت تخضع خلالها عمان للعباسيين ، وذلك قبـل قيام الامـامة الاباضية سنة ١٧٧ هـ . وكان من أبرز أعمال الامام غسان لمواجهـة الخـطر قيامـه بإنشاء أسطول بحري لحماية سواحل بلاده . وقد أطلق الأزكوي والرقيشي على هذه السفن العمانية التي كانت تطارد بوارج القراصنة اسم الشذاوة .(٦٨)

---

(٦٧) حميد بن محمد بن رزيق ، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، عمان ، ص٢٧-٣٧ .
وفي الامام وارث يقول ابن رزيق :

ووارث وارث علما وحلما امـام سـعيه بالعـدل طـابـا

وفي الامام غسان بن عبدالله يقول :

وغسـان الهمـام امـام عـدل بنـار وعـن أعاديـه أذابـا
وقـد قطـع البـوارج عن عـمـان فمـا منهـم لهـا بالشـر آبـا

الحارثي ، العقود الفضية في أصول الأباضية ، ١٩٨٣ ، ص٢٥٣ وما يليها .
حسين المسيري ، المرجع السابق ، ص١٠٣-١٠٧ .
فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٢٠١ وما يليها .

J.C. Wilkinson, Sources for the early History of Oman
بحث في كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية باللغة الانجليزية ، جـ٢ ، ص٨٩ وما يليها (طبعة الرياض ١٩٧٩) .

(٦٨) فاروق عمـر ، الخليج العـربي ، ص٢١٦ . وكان الامام وارث بن كعب قد أبدى اهتمامه بالأساطيل ، ولكن اسطوله البحري الذي كان يتكون من ثلاثمائة مركب لقي هزيمة نكراء على يد سليمان الهامشي (فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٢٠٨) .

واحتفظت عمان باستقرار أحوالها الاقتصادية والسياسية زمن الامام عبدالملك بن حميد (٢٠٨-٢٢٦هـ) الى أن بلغ ازدهارها الاقتصادي والسياسي ذروته في عهد الامام المهنا بن جيفر اليحمدي (٢٢٦-٢٣٧هـ)[٦٩]. فقد أصبح أبناء عمان يمتلكون زمام الملاحة في مياه الخليج العربي ويجوبون البحار الى الهند والصين وافريقيا ، ويحتكرون تجارة التوابل في العالم طوال القرن الثاني للهجرة ومعظم القرن الثالث الهجري .

وبفضل نشاط العمانيين التجاري وتمرسهم في الملاحة أصبحت تجارة العالم تنقل من الشرق الاقصى الى العراق عبر الخليج العربي ، ومن العراق تنقل الى البحر المتوسط ثم الى سائر أنحاء اوروبا ، ولولا قدرات نواخذة عمان العالية وسيادتهم للبحار الجنوبية لفقد البحر المتوسط أهميته في هذه الفترة الزمنية .

ولكن منذ ألربع الأخير من القرن الثالث الهجري تعرضت تجارة التوابل العمانية في الخليج العربي لظروف وعوامل سياسية ومذهبية وطبيعية غير مواتية أسفرت في النهاية عن تراجع مكانة الخليج العربي التجارية ، وانفسح المجال للبحر الأحمر لأن يصبح المنافس الجديد لطريق الخليج العربي ، وانتهى الأمر بمنافسة كارمية عدن ومصر لكارمية عمان منذ القرن الرابع الهجري وحتى أواخر عصر دولة المماليك الجراكسة في طليعة القرن العاشر الهجري .

وأول هذه العوامل ، اضطراب الأمور السياسية في عمان ، عقب عزل الامام الصلت بن مالك (٢٣٧-٢٧٣هـ) وانقسام أبناء البلاد ونشوب الخلافات فيما بينهم وتدخل العباسيين والقرامطة وبني بويه وتفصيل ذلك أن بعض أهل عمان أقدموا في سنة ٢٧٣هـ على عزل الامام الصلت بن مالك لكبر سنه وضعفه ، بيد أن هذا

(٦٩) حميد بن محمد بن رزيق ، الشعاع الشائع ، ص٣٩ وما يليها ، فاروق عمر ، المرجع السابق ، ص٢٢٣ وما يليها .

العزل لم يفد عمان شيئا بل أضر بها اضرارا بالغا ، فقد تعرضت عمان بعد عزله لسلسلة من الفتن والاضطرابات الداخلية ونشب صراع بين النزارية واليمنية في عهد الامام راشد بن النضر اليحمدي (٢٧٣-٢٧٧هـ) وأسفر هذا الصراع عن انتصار اليمنية ، وعزل راشد بن النضر، ونصب مكانه على الامامة عزان بن تميم الخروصي (٢٧٧-٢٨٠هـ) .

ولم يلبث الصراع أن تجدد بين الطائفتين ، وحدث أن دارت معركة ضارية بينهما في سنة ٢٧٨هـ عرفت بموقعة القاع ،[٧٠]انهزم فيها النزارية هزيمة نكرا وخاصة بني سامة بن لؤي ففروا الى البحرين واستنجدوا بواليها محمد بن نور الأمر الذي أتاح الفرصة لتدخل العباسيين في شؤون عمان ، وانتهى الأمر بدخول محمد بن نور عمان سنة ٢٨١هـ واستولى على جلفار والسر ، وحاصر نزوى مقر الامامة واحتلها ، ثم قتل الامام عزان في سمد الشأن واسند ابن نور امارة عمان لأحمد بن هلال من قبل الخلافة العباسية وقتل وهو عائد الى البحرين . ودامت السيطرة العباسية على عمان نحوا من أربعين عاما[٧١] . وكان العدد الأعظم من اباضية عمان قد احتموا خلال هذه الفترة بالمناطق الجبلية ، واستمروا يختارون أئمة لأنفسهم ، ولم يتوقف الصراع آنذاك بين هؤلاء الأئمة وبين عمال الدولة العباسية على عمان ، بالاضافة الى الخلافات الداخلية التي سرعان ما دبت بين أهل عمان .

---

(٧٠) الحارثي ، العقود الفضية ، ص٢٥٦ حميد بن محمد بن رزيق ، الشعاع الشائع ، ص٥٤-٥٥ .
حسين المسيري ، المرجع السابق ، ص١٠٧ .
فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٢٩٢-٣٢١ .

Wilkinson, Source for the early History of Oman, P 85 - 90

(٧١) فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٣٢٧ .
أما سمد فقد كانت مركزا اداريا تابعا لنزوى مقر الامامة الاباضية ، وقد وصف المقدسي سمد بقوله انها « منبر لنزوى » وتقع سمد على الجانب الايسر لوادي سمد في الحجر الشرقي ، وهي واحة تتوافر فيها المياه والمزارع . والشأن هي احدى التوابع لسمد واليها نسبت المعركة (المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٩٣ .
فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٣٢٤) .

وفي أثناء ذلك تعرضت عمان لهجوم القرامطة الذين كانوا قد أحكموا سيطرتهم على البحرين ، فأخذوا يشنون هجماتهم على البصرة ، وعمان ، وبدأت تحرشاتهم بعمان في سنة ٣٠٥هـ ، ولم يحل عام ٣١٧هـ حتى كان القرامطة قد بسطوا نفوذهم على عمان وتم ذلك في عهد أبي طاهر القرمطي ، واستمرت السيطرة القرمطية على عمان حتى سنة ٣٧٥هـ . وان كانت هذه السيطرة تتأثر خلال هذه الفترة بالأوضاع القائمة في عمان وفي الدولة العباسية فتارة تقوى وتارة أخرى تضعف(٧٢) .

واتفق أن تغلب على عمان في العصر البويهي يوسف بن وجيه الذي يرتفع نسبه الى بني سامة بن لؤي ، بفضل المساعدات التي كان يقدمها العباسيون له ضد أئمة عمان . وحاول ابن وجيه الاستيلاء على البصرة في سنة ٣٣١هـ ولكنه أخفق ولم يثنه هذا الفشل عن معاودة الكرة بعد نحو عشر سنوات (٣٤١هـ) مستغلا توتر العلاقة بين قرامطة البحرين ومعز الدولة البويهي مما دفع معز الدولة الى التفكير جديا في غزو عمان .

وفي سنة ٣٤٢هـ اغتيل ابن وجيه على يد مولاه وتسجل هذه السنة بداية دخول عمان في سلسلة من الاضطرابات الجديدة انتهت بخضوع عمان للنفوذ البويهي في ظل الخلافة العباسية وزوال السيطرة القرمطية عنها .(٧٣)

---

(٧٢) وعن القرامطة يقول جمال الدين عبدالله بن علي بن مقرب : -

سل القرامط من شظا جماجمهم ... فلقا وغادرهم بعد العلا خدما
من بعد ما اربح بالبحرين حالهم ... وارجعوا الشام بالغارات والحرما
ولم تزل خيلهم تغشى سنابكها ... أرض العراق وتغشى تارة أدما
وحرقوا عبد قيس في منازلهم ... وصيروا العز من ساداتها خدما

(ارجع الى حميد بن رزيق ، الشعاع الشائع ، ص٥٩ ، ٦٠ وما يليهما) . حسين المسيري ، المرجع السابق ، ص١١٣ .

(٧٣) المرجع السابق ، ص١١٣ وما يليها .

وعلى الرغم من ذلك فإن العمانيين لم يفقدوا الأمل في اعادة امامتهم الاباضية فتجمع حملة العلم في عمان حول اليحمد التي بدت وكأنها الأمل الوحيد أمامهم لعودة الامامة ، وتم اختيار الخليل بن شاذان الخروصي اماما لعمان في مطلع القرن الخامس الهجري (سنة ٤٠٨هـ) ، وحاول ابن شاذان أن يوحد قبائل عمان تحت راية الاباضية ونجح خليفته الامام راشد بن سعيد اليحمدي في تحريرها من السيطرة البويهية ، ومع ذلك فلم تستطيع يحمد أن تعيد للاباضية ولعمان عصرها الذهبي ، فقد هاجم السلاجقة عمان في منتصف القرن الخامس الهجري وحكموا عمان زهاء ثمانين سنة وكان ولاة عمان يتولون خلالها من قبيل سلاطين السلاجقة في بغداد .[٧٤]وفي سنة ٦٦٠هـ سيطر أمراء هرمز العرب على عمان .[٧٥]

ومن هذا العرض التاريخي السريع يتبين لنا أن ظروف عمان السياسية منذ أواخر القرن الثالث للهجرة كانت غير مستقرة على الاطلاق مما أدى الى اضطراب الاحوال الاقتصادية لاسيما تجارة التوابل ، وذلك بدءا من منتصف القرن الرابع الهجري . وفي هذه الفترة حدثت تغييرات سياسية في منطقة الشرق الأدنى الاسلامية ، تعرضت لها مصر والشام ، وتتمثل في ظهور الخلافة الفاطمية التي نجحت في جعل البحر الأحمر ، بحيرة فاطمية تجارية ، منافسة للخليج العربي ،

---

(٧٤) فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٣٣٤ .

(٧٥) وفي ذلك يقول ابن بطوطة عند زيارته لعمان « ثم ركبت البحر فوصلت الى مسقط وهي بلدة صغيرة بها السمك الكثير المعروف بقلب الماس ثم سافرنا الى مرسى القريات ، ثم سافرنا الى مرسى شبة ثم الى مرسى كلبة ولفظها على لفظ مؤنث الكلب ، ثم الى قلهات وقد تقدم ذكرها ، وهذه البلاد كلها من عمالة هرمز ، وهي محسوبة من بلاد عمان » (ابن بطوطة ، الرحلة ، ص٦٤٨) .
ويختلف د. حسين المسيري مع د. فاروق عمر في سرد تفاصيل الاحداث التي أعقبت وفاة الامام الصلت بن مالك ، ربما لاضطراب تاريخ عمان في هذه الفترة وتشابك الأحداث ، خاصة اذا عرفنا أن المؤرخين العمانيين لم يهتموا بتدوين الأحداث التاريخية لذاتها ، وانما كانوا يعنون بسير الأئمة ، وما يتعلق بها ، وهذا في حد ذاته يفسر سر صعوبة تدوين تاريخ عمان .
(سليمان الغنام ، الوجود البرتغالي ، ص١١٦ ، فاروق عمر فوزي ، التاريخ المحلي لاقليم عمان ، بحث في كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الرياض ١٩٧٩ ، ص١٠٥ وما يليها .

بل انها بدأت تفكر في احتكار تجارة الكارم دون العمانيين وكارمية الخليج العربي كما سنوضح على الصفحات التالية .

وثاني هذه العوامل : هجوم مملكة الحبشة المسيحية على سقطرى ووقوع هذه الجزيرة منذ منتصف القرن الرابع الهجري تحت سيطرة قراصنة الهنود. ففي عهد الامام الصلت بن مالك (٢٣٧-٢٧٣هـ) هاجم الأحباش المسيحيون جزيرة سقطرى ونقضوا المعاهدة المعقودة بينهم وبين أهلها المسلمين . ولم يتردد الصلت بن مالك في ارسال أسطول عماني يتألف من مائة سفينة لاستعادة الجزيرة وطرد الأحباش ، وان كان قد أمر أجناده بالتزام تعاليم الاسلام السمحة في معاملة الأحباش ، فلم يتعرض جنده لنساء الحبشة أو أطفالهم أو شيوخهم ، ومع ذلك فقد أمر الصلت باخلاء الجزيرة من أهلها من المسلمين ونقلهم الى عمان خشية أن يتعرضوا مستقبلا لانتقام النصارى ، ثم أمر بمطاردة العدو حتى الساحل الشرقي لافريقيا عند المنطقة المسماة برأس الزنج . ثم خرجت هذه الجزيرة من سيطرة العمانيين منذ منتصف القرن الرابع الهجري وأصبحت مأوى لبوارج القراصنة الهنود الذين كانوا يهاجمون السفن العمانية المتجهة الى الهند والصين وشرق افريقيا ، مما أثر كثيرا على تجارة التوابل والكارم العمانية وعلى مكانة الخليج العربي التجارية[٧٦] .

وثالث هذه العوامل ، تضافر بعض الكوارث الطبيعية في عمان مع الظروف السياسية المضطربة والتي سبق أن أوضحناها ، فقد تعرضت عمان في منتصف

(٧٦) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٢٠ .
فاروق عمر ، الخليج العربي في العصور الاسلامية ، ص٢٩٦-٣٠١ .
شوقي عبدالقوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي ، ص١٠٩ ويسوق لنا د. شوقي عبدالقوي خبرا طريفا ذكره ماركوبولو في رحلته ، وهو انه إذا نهب أحد القراصنة السفن الخاصة بأهالي سقطرى ، فإنهم وكانوا يؤمنون بالسحر والشعوذة ، كانوا يصنعون له ولسفنه سحرا بحيث لا يستطيع القرصان مواصلة رحلته البحرية الا بعد أن يعوضهم عما حل بهم من أضرار ، حتى لو رزق ريحا مواتية ومساعدة له في طريقه فإن لأهل سقطرى القدرة على تغيير اتجاهها لاجبار القرصان على العودة الى الجزيرة .

القرن الثالث الهجري لسلسلة من السيول الجارفة اكتسحت ما قابلها من عمران وأسفرت عن تخريب مناطق عمانية عديدة ، وكانت هذه السيول من العنف والسرعة بحيث لم تترك للأهالي أي فرصة للنجاة ، فراح ضحيتها أعداد كبيرة من الأهالي ، فكان الرجل يغرق مع أولاده وعياله ويتخرب منزله وماله ، وحملت البحور أبدانهم ، وقلعت العواصف الأشجار وانتسفت المزارع وأدى ذلك الى اتلاف المحاصيل .

وكانت هذه السيول قد تركزت في منطقة الباطنة وسمائل ودما وصحار الا ان صحار كانت أكثر تأثرا بهذه السيول ، فقد دمرتها تدميرا شاملا مما أثر على اقتصاديات البلاد ، اذ كانت صحار أكبر الأسواق التجارية في عمان وأهمها على الاطلاق . وظلت عمان تعاني من آثار هذه السيول سنين طويلة مما أدى الى تدهور الأوضاع التجارية في الخليج العربي لفترة طويلة لا تقل عن نصف قرن .(٧٧)

ورابع هذه العوامل التي أدت الى زحزحة الخليج العربي عن مكانته في تجارة التوابل بدءا من منتصف القرن الثالث الهجري ، اضطراب أحوال الدولة العباسية بسبب الثورة المعروفة بثورة الزنج التي احتدمت نارها في الاراضي الممتدة بين البصرة وواسط ، واستغرقت خمسة عشر عاما (٢٥٥-٢٧٠هـ) . قام بهذه الثورة ، الرقيق الزنوج المستخدمون في استصلاح الأراضي السبخة حول البصرة عن طريق كسح السباخ والأملاح المجتمعة في بطائح العراق الجنوبي ، وانضم اليهم العبيد من القرى المجاورة وقد ادعى زعيم هذه الثورة المعروف بصاحب الزنج ويدعى علي بن محمد بن أحمد ، انه ينتسب الى علي بن أبي طالب ، واتخذ

(٧٧) فاروق عمر فوزي ، الخليج العربي في العصور الاسلامية ، ص٢٩٣ وما يليها . وكان قد سبقتها في عمان في أواخر القرن الثاني للهجرة سيول جارفة مشابهة لها ، وهي التي غرق في احداها الامام وارث بن كعب الذي توفى غريقا سنة ١٩٢هـ ، وكان معه سبعون من أتباعه . (فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص ٢١٠) .

من الآية الكريمة ﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا﴾ .. شعارا له ، وقال لاتباعه من الزنج انهم قد اشتروا أنفسهم ، ولم يعودوا بعد عرضة للرق .(٧٨) فالتف حوله عالم كبير من الرقيق التعساء يحدوهم الأمل في التحرر من الرق أو العبودية .

وقد عاصرت ثورة الزنج السنوات الأولى لظهور الحركة القرمطية التي انتشرت في جنوبي العراق وبادية الشام وفي اليمن وجنوبي فارس والبحرين وتمكنت من التسلل الى عمان في الفترة من سنة ٣١٧هـ الى سنة ٣٧٥هـ كما سبق أن ذكرنا .

وقد عاث القرامطة فسادا في كثير من المناطق الآمنة فكانوا يهاجمون القرى وقوافل الحجاج والتجارة والمساجد ، كما هاجموا مكة المكرمة والكعبة المشرفة في سنة ٢٧٧هـ ونهبوا الحجر الأسود(٧٩) .

ويربط العديد من المؤرخين بين الحركة القرمطية وحركة صاحب الزنج من حيث ادعاء النسب العلوي باعتبار أن شعار التشيع هو الشعار المعارض

---

(٧٨) عن ثورة الزنج ارجع الى الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ١١ ، احداث سنة ٢٥٥ ، ص١٨٧ وما يليها .
المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٤ ، ص١٩٤ .
عبدالرحمن بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب اللبناني ، جـ٥ ، ص٦٦٧ وما يليها .
ولمزيد من التفاصيل ارجع الى عبدالحميد عابدين ، القرماطيون ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١١ ، ١٩٦٣ ، ص١٦٧ وما يليها .
حسن محمود وأحمد الشريف ، العالم الاسلامي في العصر العباسي ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص١٤٦-٣٥٢ ، حسين المسري ، المرجع السابق ، ص١٤٧-١٦٤ .

(٧٩) فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٢٦٣ .
ولمزيد من التفاصيل عن القرامطة ، (وهم بخلاف القرماطيين ، وهم جنس من الأفارقة قدموا من الصومال وعملوا في الزراعة وسبخ الأراضي بالعراق في عصر الدولة العباسية) ارجع الى محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني ، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، طبعة القاهرة ١٩٨٨ .
وارجع الى الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ١١ ، ص٣٣٧ وما يليها .
وارجع الى المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا نشر وتحقيق د. جمال الدين الشيال طبعة دار الفكر العربي ، مصر ١٩٤٨ ، ص٢٠٤ وما يليها .
عارف تامر ، القرامطة ، بيروت ١٩٧٩ .
وعن هجوم القرامطة على مكة ونقلهم الحجر الأسود الى عمان ارجع الى احمد عمر الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٨١ .

للعباسيين[٨٠] . ولا يهمنا الحديث عن الآثار السياسية التي ترتبت على حركة القرامطة فهذا الحديث يبعدنا بطبيعة الحال عن موضوع البحث وفي تصوري أن هذه الحركة القرمطية تضافرت مع ثورة الزنج في أمر واحد يتمثل في الاثر السلبي الذي ألحقته هاتان الحركتان بتجارة عمان مع الهند والصين وشرق افريقيا ، فقد أفلحت هاتان الحركتان في افساح المجال للدولة الطولونية في مصر ومن بعدها الاخشيدية والفاطمية لاعادة ازدهار البحر الأحمر الذي أصبح منذ ذلك الحين منافسا تجاريا خطيرا للخليج العربي .

وهكذا اجتمعت مجموعة من العوامل منذ اواخر القرن الثالث الهجري لتضع حدا لسيطرة العمانيين على تجارة التوابل المجلوبة من الشرق الأقصى وشرق افريقيا ، ولم يكد ينتصف القرن الرابع الهجري ، حيث بدأ النشاط التجاري الفعلي لتجارة الكارم مع مصر يتضح بجلاء ، حتى أصبح هناك طريقان بحريان تجاريان يتنافسان للسيطرة على تجارة الكارم :

طريق الخليج العربي ، وكان العمانيون أبرز رواده .

وطريق البحر الأحمر الذي كان يرتاده تجار عدن وزبيد باليمن وتجار الحجاز وشرق افريقيا ومصر .

وساعدت سيطرة الصليبيين على مواقع هامة من السواحل الشامية في أواخر القرن الرابع الهجري على ابراز الدور التجاري الهام الذي يقوم به طريق البحر الأحمر على حساب طريق الخليج العربي ، فقد أصبح الطريق القديم بين الموانىء المصرية وبين عسقلان آخر المعاقل الفاطمية في الشام (حتى سنة ٥٤٨هـ) محفوفا

---

(٨٠) صاحب هذا الرأي هو د. فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٢٨٤ .

بالأخطار لتعرضه للاعتداءات الصليبية مما دفع الفاطميون والكارمية الى تحويل الطريق التجاري الى البحر الأحمر[٨١]. وقد أدى هذا الوضع الجديد الى ظهور عدد من المـوانىء والمـدن في اليمن والحجـاز ومصر ، قامت بدور هام في نقل تجارة الكارم ، ومن أبرز هذه المدن عدن التي أصبحت تشكل منذ طليعة القرن الرابع الهجري منافسا عتيدا لمدن عمان ، كما برزت كل من جدة والسرين من موانىء الحجاز ، وعيذاب في مصر .

أما عدن فقد ظفرت بنصيب وافر من كتابات الجغرافيين والرحالة العرب وتسجل هذه الكتابات ، المكانة التجارية الكبيرة التي أصبحت تشغلها منذ القرن الرابع الهجري ، والتي أهلتها لمنافسة صحار قصبة عمان وأكبر أسواقها .

فابن حوقـل يذكر أنها « فرضة على البحر ، ينزلها السائرون في البحر ، وباليمن مدن كبرى منها ليست كشهرتها » .[٨٢]

والادريسي يؤكد فيما ذكره عنها في زمنه تفوقها الاقتصادي على غيرها من الثغـور العـربية فيذكـر انها « مرسى البحرين ومنها تسافر مراكب السند والهند والصين واليها يجلب متاع الصين مثل الحديد الفرند والكيمخت والمسك والعود والسروج والغضار والفلفل والدار فلفل والنارجيل والهرنوة والقاقلة والدار صيني والخولنجان والبسباسة والأهليلجات والأبنوس والذبل والكافور والجوزبوا والقرنفل والكبابة والثياب المتخذة من الحشيش »[٨٣].

---

(٨١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٦٠٢ وما يليها ، راشد البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص٢٣٨-٢٤٢ .

(٨٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٤٤ .

(٨٣) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص٥٤ .

ونستدل من هذا النص على أن سفن الكارمية العمانيين والهنود والصينيين القادمة من الشرق الأقصى محملة بالتوابل والعود والمسك ، كانت ترسو في ميناء عدن .

وقد أكد القلقشندي ذلك فقد ذكر أن « عليها ترد المراكب الواصلة من الحجاز والسند والهند والصين والحبشة ، ويختار أهل كل اقليم منها ما يحتاج اليه اقليمهم من البضائع قال صلاح الدين بن الحكيم : « ولا يخلو اسبوع من عدة سفن وتجار واردين عليها وبضائع شتى ومتاجر منوعة والمقيم بها في مكاسب وافرة وتجائر مربحة ، ولحط المراكب عليها واقلاعها مواسم مشهورة »(٨٤) .

وقد ورد ذكر عدن كثيرا في وثائق الجنيزة بعد أن أصبحت منذ القرن الرابع الهجري من أهم موانىء شبه الجزيرة العربية . وتحتوي وثائق الجنيزة على العديد من المراسلات المتبادلة بين التجار الكارمية المقيمين بعدن وبين ذويهم أو شركائهم خارجها سواء كانوا بمصر أو عمان أو بلاد الهند والشرق الأقصى(٨٥) .

وساعد على ازدهار عدن التجاري سعي الأسرة الزيادية باليمن الى تشجيع تجار التوابل على القدوم الى بلادهم . واستمرت عدن محط رحال تجار التوابل والكارم من عمانيين وهنود وصينيين بعد أن آل حكم اليمن الى الصليحيين الذين

---

(٨٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص١١ .
وارجع الى ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مجلد ٤ مادة عدن ، ص٨٩ .

(٨٥) من هذه الوثائق رسالة هامة أرسلها أحد التجار الى شريك له يعمل بالتجارة في احد موانىء الساحل الغربي لبلاد الهند ، ويخبر كاتب الخطاب شريكه أنه قضى بضع سنوات في الهند قبل قدومه الى عدن سنة ٥٤٤ (لمزيد من التفاصيل والأمثلة ارجع الى حسنين ربيع ، وثائق الجنيزة وأهميتها ، ص١٣٥ وما يليها ، عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٢٥ وما يليها .
وارجع كذلك الى) :

Heyd, Histoire du Commerce du levant, V.I, P. 381 H

وعن وصف ماركوبولو لعدن ارجع الى :

Heyd, Op. Cit, P. 382

كانوا يختارون لعدن ولاة يثقون فيهم ، وكان هؤلاء الولاة يرسلون اليهم المكوس والأرباح الوفيرة من تجارة الكارم واستمر الوضع على ذلك الحال حتى حكم عدن بنو زريع نيابة عن الصليحيين فعندما اشتد نفوذ هؤلاء الزريعيين استقلوا بعدن واستأثروا بأرباح الكارم .

وبلغت عدن قمة ازدهارها وثرائها زمن بني زريع ، فقد عمل حكامها انفسهم ومنهم بلال بن جرير (٥٣٤-٥٤٧هـ) بالتجارة الهندية الكارمية . وعندما تعهد بنو زريع أن يؤدوا للملكة السيدة الحرة أروى الصليحية نصف خراج عدن كل عام ، كانوا يدفعون لها ٦٠٠ ألف دينار ، وهو مبلغ كبير من المال يدل على مدى ثراء هذه المدينة بعد أن أصبحت منافسا لعمان في تجارة الكارم[٨٦] .

ويورد الادريسي خبرا هاما يذكر فيه أنه ولي كيش عامل من اليمن « فحصنها ، واحسن الى أهلها ، وعمرها ، وأنشأ بها أسطولا فغزوا به بلاد اليمن الساحلية ، فأضر بالمسافرين والتجار ، ولم يترك لأحد مالا وأضعف البلاد وانقطع بذلك السفر من عمان وعاد الى اليمن . وصاحب جزيرة كيش يغزو بهذا الاسطول مدينة الرانج ويصل الى بلاد القامرون وأهل الهند يخافونه ويهابون شره » .[٨٧]

وعلى الرغم من أن الادريسي لم يحدد عند ذكره هذا الخبر سنة معينة أو تاريخا معينا ، فإننا نعتقد أنه عاصره أو سمع عنه وفي تصوري أن هذا التحول حدث فى حياة الادريسي في النصف الأول من القرن السادس .

---

(٨٦) عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٢٥ .
ومن مظاهر اهتمام بني زريع (٤٦٨-٥٧٠هـ) بعدن أنهم أقاموا حولها أول سور لحمايتها . وقد أقام الايوبيون فيها بعد سورا ضخما آخر حولها ينفتح منه ستة أبواب ، كما أقاموا بها (دار الفرضة) ، وهي تشبه الديوان الجمركي ، كذلك أنشأوا العديد من المنازل والمخازن والأسواق مما أنعش أحوالها انتعاشا كبيرا في عهد دولة بني أيوب (ولمزيد من التفاصيل عن الأيوبيين واصلاحاتهم في عدن ارجع الى محمد عبدالعال ، الأيوبيون في اليمن ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص٨٩ ، ١٩٥ ، فاروق عثمان أباظة ، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ١٩٧٦ ، ص٢٨ ، محمد جمال الدين سرور ، دولة بني قلاوون في مصر ، طبعة دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص٣٢٨) .

(٨٧) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص١٥٦ ، ١٥٧ .

ونستنتج من هذا النص مدى التنافس الذي كان قائما بين مدن عمان والجزر التابعة لها والتي كانت تمثل تجارة الكارم في الخليج العربي وبين عدن وموانىء الحجاز التي كانت تمثل تجارة الكارم في البحر الأحمر .

وتؤكد الأحداث التاريخية صحة هذا الاستنتاج ففي أوائل القرن السادس الهجري وبالتحديد في سنة ٥٣٠هـ ، يذكر ابن المجاور في تاريخه وكذلك وثائق الجنيزة أن حاكم كيش واسمه ولد العميد انتهز فرصة الخلاف الذي دب بين حاكمي عدن وهما مسعود وعباس من بني زريع وكانا ولدي عم ، فأغار على عدن رغبة منه في احتلالها للاستفادة من عائد التجارة الضخم الذي كان يعود عليها من تجارة الكارم ، خاصة وان سعر البهار كان قد ازداد بمقدار الثلث في ذلك الوقت . وقد كان الرحالة الاسباني بنيامين التطليلي قد زار كيش في منتصف القرن السادس الهجري ، في الوقت الذي بدأت تتعرض فيه مكانتها التجارية للاهتزاز بسبب منافسة عدن لها ولعمان في التجارة الكارمية . ولقد استمر حصار ولد العميد لعدن مدة شهر ، ولكنه أسفر في النهاية عن هزيمة أسطوله أمام عدن هزيمة مروعة الى حد أنه أطلق على مكان المعركة اسم « الجماجم » لكثرة ما وجد فيها من رؤوس القتلى من أهل كيش .[٨٨]

وتتمثل أهم ثغور الحجاز المطلة على البحر الأحمر والتي بدأ ازدهارها في مطلع القرن الرابع الهجري في جدة والسرين .

جـــــدة :

أما جدة فهي كما يذكر كل من ابن خرداذبه والادريسي وياقوت الحموي

(٨٨) ابن المجاور ، تاريخ ابن المجاور ، نشر لوفجرن ، جـ ١ ، ص٥٠-٥٢ ، عطية القوصي ، المرجع السابق ، ص١٢٦ .

والقلقشندي « فرضة مكة »[89]على ساحل بحر القلزم أو البحر الأحمر . والمسافة بين جدة ومكة أربعون ميلا ، وقد اتخذت جدة ثغرا لمكة منذ سنة **٢٦** هـ في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه . وكان ميناء مكة قبل ذلك هو الشعيبة الذي يقع جنوبي جدة[90] مقابل وادي المحرم .

لقد اجتمعت كل العوامل التي جعلت من جدة ميناء من أهم موانىء البحر الأحمر لعدة قرون ، فقربها من عيذاب أهم موانىء مصر المطلة على البحر الأحمر ، لاسيما في العصر الفاطمي ، وقربها من ميناء عدن واتساع مينائها عن باقي موانىء الحجاز ، كل ذلك أهلها لشغل مكانة تجارية مرموقة[91] وكان يحكم جدة وال يعينه شريف مكة ينوب عنه في ادارة شؤون المدينة وتجارتها ، ويتولى عنه جباية الرسوم والاستقبال الرسمي للشخصيات الكبرى .[92]

لقد ذكرنا فيما سبق أن تجارة الكارم والسلع الأخرى كانت تصل الى عدن من الحبشة وساحل افريقيا واليمن والهند وعمان ، باعتبار أن عدن كانت الشرع المؤدي الى البحر الأحمر ، ومن عدن كانت تنقل الى جدة ، ومن جدة كانت توسق بها السفن المصرية الى عيذاب . وهكـذا بدأت جدة منـذ طليعة القرن الرابع الهجري تلعب دورا تجاريا هاما فيما يتعلق بنقل تجارة الكارم .

السـريـن :

ويلي ميناء **السرين** ، في الأهمية ، ميناء **جدة** ، إذ كان السرين يمثل الواجهة البحرية الثانية لمكة المكرمة ، ولم نستطيع في الوقت الحاضر أن نحدد على

---

(٨٩) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص٢٣ .
الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص١٣٦ .
ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١١٤ .
القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٤ ، ص٢٥٨ .

(٩٠) أحمد عمر الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٧٤ .

(٩١) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٢٣ .

(٩٢) الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص١٣٩ .

وجه الدقة موقع السرين ، وان كان د. أحمد عمر الزيلعي يرجح أن تكون في المنطقة المعروفة بالسرير ، ففي تصوره أن هذه اللفظة محرفة من السرين[٩٣] .

ويصف الادريسي ما كانت تنعم به السرين من ازدهار تجاري بسبب السلع التي كانت ترد اليها من اليمن بقوله « والسرين حصن حصين موضعه كثير مياهه ، ولواليه وجابيه شيء معلوم ورسم ملزوم على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن بالتجارات والمتاع والرقيق »[٩٤] . ولكن تجارة السرين لم تكن تضارع في الأهمية تجارة جدة ولـذلك فقد وصفت بأنها ميناء داخلي لمكة المكرمة يمكن عن طريقه تموين الشقة الجنوبية لامارة مكة المكرمة[٩٥] .

عيـــذاب :

أما عيذاب فكانت أهم موانىء مصر المطلة على البحر الأحمر ، ظهرت على استحياء كميناء بحرية متواضعة بادىء ذي بدء ، وكان أهلها يعيشون على صيد الأسـماك واستخـراج اللؤلؤ من قاع البحـر الأحمـر ، كما اشتغل بعضهم برعي الأغنـام . ثم أخذت تنمو شيئا فشيئا حتى أصبحت تنافس ميناء القصير التي كانت تؤدى قبل القرن الخامس الهجري دورا تجاريا هاما . ولم تلبث عيذاب في العصر الفاطمي أن أصبحت الميناء المصري الأول على البحر الأحمر وازدهرت منذ منتصف القرن الرابع الهجري ازدهارا أخذ يزداد تدريجيا حتى بلغ ذروته في القرنين الخـامس والسـادس للهجـرة . وكـان التجـار والحجـاج يفضلون عيذاب على القصـير ، خاصـة في أيام الشـدة العظمى في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر

---

(٩٣) الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٨٤ .
(٩٤) الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص١٣٦ .
(٩٥) الزيلعي ، المرجع السابق ، ص١٨٤ وما يليها .

بالله[٩٦] ، بعد خراب الدلتا وتحول القوافل التجارية والحجاج عن طريق شبه جزيرة سيناء الى طريق النيل حتى قفط أو ادفو أو اسوان ومنها عبر الصحراء الشرقية الى عيذاب كما كان الكارمية يرسون بها عند قدومهم من عدن أو من جدة والسرين بسبب عمق مياهها وغزارتها هذا الى جانب خلوها من الشعاب المرجانية التي تعترض سبيل السفن في البحر الأحمر وتشكل أعظم الأخطار الملاحية[٩٧] .

ويبرز ابن جبير في رحلته أهمية عيذاب التجارية ، فقد وصف أحمال الفلفل والبهار التي كانت ملقاة على شواطئها بكميات لا حصر لها ويعبر عن ذلك بقوله « ورمنا في هذه الطريق احصاء القوافل الواردة والصادرة فما تمكن لنا ولاسيما القوافل العيذابية المحتملة لسلع الهند الواصلة الى اليمن ثم من اليمن الى عيذاب وأكثر ما شاهدنا من ذلك أحمال الفلفل فلقد خيل الينا لكثرته انه يوازي التراب قيمة ومن عجيب ما شاهدناه بهذه الصحراء انك تلتقي بقارعة الطريق احمال الفلفل والقرفة وسائرها من السلع مطروحة لا حارس لها تترك بهذه السبيل إما لاعياء الابل الحاملة لها أو غير ذلك من الاعذار وتبقى بموضعها الى ان ينقلها صاحبها مصونة من الآفات على كثرة المار عليها من أطوار الناس . »[٩٨]

وقد نقل المقريزي عن ابن جبير هذا الخبر في كتابه الخطط المقريزية[٩٩] .

ونستدل من هذا النص على حجم المعاملات التجارية لمدينة عيذاب والذي تميز بالضخامة والتنوع ، فقد تعامل تجارها مع كارمية الهند واليمن والحبشة . كما

---

(٩٦) المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٥٧ .

(٩٧) عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٢٨ .

(٩٨) ابن جبير ، الرحلة ، تحقيق وليم رايت ، ليدن ١٩٠٧ ، ص٦٧ ، ٦٨ ، حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص٦٠٢ .

(٩٩) المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٥٦ .

يوضح لنا المقريزي مدى قوة العلاقة التي كانت تربط بين عيذاب ومدينة قوص التي برزت كميناء نهري داخلي في نفس الفترة الزمنية التي ازدهرت فيها عيذاب .

قـــوص :

وتـرجـع اهمية قوص الى انها تقـع عند نهاية طريق القوافل الممتد ما بين عيذاب والنيل ، وكان يفد عليها بدورها العديد من الحجاج والكارمية اليمنيين والهنود والأحباش(١٠٠) .

ويصفها الحميري بأنها « كبيرة بها منبر واسواق جامعة وتجارات ودخل وخرج والمسافر اليها كثير ، والبضاعات نافقة والمكاسب رائجة والبركات ظاهرة »(١٠١) .

وتتمثل أهمية قوص اداريا واقتصاديا في انها كانت احدى مدن مصرية ثلاثة كانت بها دور ضرب للعمـلات ، واحدة بالقاهرة والثانية بالاسكندرية والثالثة بقوص .(١٠٢) وربما يرجع السبب في ذلك الى وفرة ذهبها .

وكثيرا ما تعرضت سفن الكارمية لاعتداءات القراصنة الأحباش وغيرهم الأمر الذي دفع حكام مصر الفاطميين الى اعداد أسطول بعيذاب ليتلقى الكارم فيما بين سواكن وعيذاب وما حولها . وكان عدة هذا الاسطول خمسة مراكب ثم صارت ثلاثة ، وكان والي قوص هو الذي يتولى أمر هذا الأسطول(١٠٣) .

---

(١٠٠) ابن جبير ، الرحلة ، ص٦٥ ، المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٥٦ .

(١٠١) الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٨٨ .

(١٠٢) المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص١٩٥ .

(١٠٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٣ ، ص٥٢٠ ، وكثيرا ما كان الأحباش يعترضون طريق السفن التجارية ، من ذلك على سبيل المثال هجومهم على سواحل جدة سنة ٨٣هـ مما دفع الخليفة الأموي الى ارسال سفنه للاستيلاء على جزر دهلك .

ولنا أن نتساءل هل كان ظهور طريق البحر الأحمر التجاري كمنافس قوي لطريق الخليج العربي في تجارة الكارم ، وظهور عدن كمنافس خطير لصحار ، وموانىء عمان يعني أن تجارة التوابل والكارم العمانية توقفت تماما أو أن نشاطها فتر على الأقل ؟؟ هل كان ذلك يعني أن العمانيين أسلموا ابتداءا من القرن الرابع الراية الى كارمية عدن والحجاز ومصر عبر البحر الأحمر ؟؟ وهل كانت مصر تحصل على حاجتها من الكارم عن طريق عدن وموانىء الحجاز فقط دون أي صلة مباشرة أو غير مباشرة بكارمية عمان ؟؟

يرى كثير من المؤرخين أنه مع بداية العصر الفاطمي في مصر حدث انقلاب في عالم تجارة الكارم نتيجة لظروف متعددة أسفرت في النهاية عن تحويل هذه التجارة من الخليج العربي الى البحر الأحمر ، فأصبحت عدن المركز الأول في تجارة الشرق الاقصى(١٠٤).

ولكنني أرى أن عمان لم تفقد على الاطلاق مكانتها التجارية التي كانت تنعم بها منذ أقدم العصور ، رغم كل ما سبق أن أوضحناه من ظروف سياسية وطبيعية غير مواتية مرت بها . وفي تصوري أن التغيير الذي حدث انما يقتصر على مجرد ظهور منافس جديد لعمان في تجارة التوابل والكارم ، وللخليج العربي ، ولا يعني ذلك أن نشاط عمان المتخصص الأول في تجارة الكارم قد فتر وأصيب بنكسة ، فقد ظل العمانيون يقومون بدورهم كوسيط تجاري رئيسي بين عالم الشرق الأقصى ، وعالم الشرق الأدنى على خير وجه بل انني أعتقد أن ثمة علاقات تجارية مباشرة كانت قائمة بالفعل بين مصر وكارمية عمان في الفترة موضوع البحث كما سنوضح

---

(١٠٤) عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٢٤ ، ١٢٥ ، أحمد عمر الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٨١ ، حسنين ربيع ، وثائق الجنيزة ، ص١٣٤ وما يليها .

Heyd, Op. Cit, P. 381

على الصفحات القادمة .

وسنؤكد الآن بالأدلة التاريخية استمرار قيام كارمية عمان بدورهم التجاري المعهود في القرن الرابع الهجري وفيما تلاه من قرون فلو أننا رجعنا الى كتابات **المقدسي** على سبيل المثال ووصفه لعمان وتجارتها في القرن الرابع الهجري وقوله من انه « دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن » يتأكد لنا استمرار مكانة عمان التجارية في القرن الرابع الهجري(١٠٥) .

ويؤكد **المسعودي** أنه خرج الى بحر الزنج في احدى رحلاته من صحار بعمان مع جماعة من البحريين والتجار ، وكان ذلك في أوائل القرن الرابع الهجري وبالتحديد في عام ٣٠٤هـ وصل الى جزيرة قنبلو ، وركب من هناك في طريق عودته سفينة الى عمان ، وكان ذلك في زمن الأمير أحمد بن هلال(١٠٦) . ويؤكد **المسعودي** في كثير من مواضع كتابه « مروج الذهب » على « مهارة نواخذة وتجار عمان وعلى سيادتهم في بحر الصين والهند والسند والزنج واليمن والقلزم والحبشة » . (١٠٧) . كل ذلك يوضح استمرار تجارة عمان في القرن الرابع الهجري .

هذا وقد ورد في **السجلات الصينية** الخاصة بأسرة سانج الحاكمة (٣٤٩-٦٧٨هـ)(١٠٨) وهي المعروفة بسانج - شي أو (تاريخ أسرة سانج) اسم مزون (مسقط) باللغة الصينية Ma - Jum كما ورد اسم صحار وعمان .

---

(١٠٥) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٠٦ ، ص٩٣ .

(١٠٦) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص١٠٨ ، ١٢٨ .

(١٠٧) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص١٠٧ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، جـ٢ ، ص٦ ، ٧ . وانظر بحث د. السيد عبدالعزيز سالم ، العمانيون سادة البحار الجنوبية في العصر الاسلامي ، بحث تحت الطبع .

(١٠٨) حكمت الصين خمس أسرات صينية فيما بين آخر سنة (٢٩٥هـ) ٩٠٧م ، عندما سقطت أسرة تانج وحتى سنة ٩٦٠م (٣٤٩هـ) ليبدأ عهد من الاستقرار خلال فترة حكم أسرة سانج الجديدة (٩٦٠-١٢٧٩م) (٣٤٩-٦٧٨هـ) .

وتقرر هذه السجلات أن مزون (مسقط) سيرت سفارتين عمانيتين لأسرة سانج ، الأولى في عام ٤٠٢هـ (١٠١١م) والثانية في عام ٤٦٥هـ (١٠٧٢م) . وفي السفارة الأولى زارت سفينة عمانية يقودها قائد عماني اسمه ابو القاسم عاصمة اسرة سانج[١٠٩].

أما السفارة العمانية الثانية فقد كان يمثلها شخص يدعى هاشم بن عبدالله أهدى ملك الصين هدية تشتمل على مجموعة لآلىء وتمور وماء ورد وأقمشة وأشياء أخرى ، ورد ملك الصين على تلك السفارة العمانية بهدايا قيمة[١١٠].

وفي ذلـك ما يوضح تجاوز العمانيين في تجارتهم للكارم بلاد الهند وجنوب شرق آسيا الى الصين في القرن الخامس الهجري الى حد قيامهم بسفارات رسمية نالت احترام وتقدير ملك الصين .

---

(١٠٩) Yajima Hikoichi, Martime Activities of Gulf people and the Indian Ocean in the 11th and 12th Century, P. 56, 57.

بحث مقدم الى ندوة قطر ١٩٧٦ ، جـ٣ .

ويؤكد هذا المؤرخ الذي يعمل استاذا بجامعة طوكيو أن الخليج العربي استمر في تجارته المتفوقة طوال القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر الميلاديين (الخامس والسادس الهجريين) رغم ظهور الدولة الفاطمية ، ورغم الآراء التي تقول بانتقال مركز الثقل الى طريق البحر الأحمر ، ويعبر عن ذلك بقوله :

"Some scholars assert that with the decline of the Abbasid supermacy and the rise of the fatimids in Egypt in the latter part of the tenth century, the centre of Muslim maritime activities in the Indian Ocean shifted from the arabian Gulf to the red sea.
But as mentioned above we should not neglect the importance of the continuation of trade and communication among the Arabian Gulf, East Africa and India even after some changes of political and economic conditions in the lands of the eastern caliphate."

(١١٠) Ibid, P. 58

ويؤكد ياجيما هيكاوش أن اتساع معرفة أهل الصين وجغرافيهم بمدن الخليج العربي وعلى رأسها عمان وكيش ومزون في القرنين الخامس والسادس الهجريين قد ساعد على مزيد من التعاملات التجارية مع دول الخليج .

"In the 11th and 12th Centuries, Chinese Geographical knowledge on the Gulf countries suddenly increased. Chinese people for the first time became acquainted with such place names as al Qatif, Mirbat (Zafar), Uman, Bahrayn..."

ويذكر المؤرخ الصيني Chau - Ju - Kua (تشاو ـ جو ـ كوا) في مدونته التي كتبها بين عامي ٦٤٠ و٦٥٦هـ (١٢٤٢-١٢٥٨م) أسماء الشعوب والأقطار التي كانت لها تجارة مباشرة مع الصين كما تحدث عن أنواع التجارات المتبادلة بينهم وبين تلك الأقطار . وقد ورد اسم صحار وعمان وجزيرة قيس في هذه المدونة ، مكتوبا باللغة الصينية[١١١] .

وواصلت عمان صلاتها التجارية مع مدن الصين حتى القرن الثامن للهجرة ، وذلك في عهد أسرة مينج الصينية (٧٧٠-١٠٥٤هـ) (١٣٦٨-١٦٤٤م) . والتاريخ يشير إلى وصول التاجر العماني أبي عبيدة إلى الصين في منتصف القرن الثامن الميلادي .

هذا وقد وصف الادريسي تجارة عمان في مواضع عديدة من نزهة المشتاق مما يدل على استمرار التفوق التجاري[١١٣] لعمان حتى زمنه ، وكذلك وصفها القلشندي في القرن التاسع الهجري بأنها « فرضة بلاد البحرين واليها تنتهي مراكب السند والهند والزنج »[١١٤] .

ونحن اذ نستشهد بأدلة تاريخية لعصور تلي فترة البحث ، انما نريد من ذلك أن نؤكد استمرار تفوق العمانيين في تجارة الكارم ، كما نريد أن نثبت في الأذهان أن عمان لم تتراجع عن دورها التجاري المعروف . لقد استمرت عمان تنقل جزءا من التوابل المجلوبة من الشرق الأقصى الى شرق افريقيا ، ولكن الجديد في الأمر أنها كانت توصل الى عدن جزءا آخر من هذه التجارة الكارمية لتقوم عدن بايصاله الى موانىء الحجاز ومصر .

---

(١١١) نقولا زيادة ، الجزيرة العربية في أخبار المؤلفين الصينيين ، بحث في كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، جـ٢ ، ص٣٣ وما يليها .

(١١٢) السيد عبدالعزيز سالم ، التجارة البحرية في الخليج ، ص٤١٠ .

(١١٣) الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص١٥٦ ، ١٥٨ .

(١١٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٢٤٣ ، جـ٥ ، ص٥٥ .

(٤)
طرق حصول مصر على الكارم ومدى صلتها بعمان

ارتبطت مصر منذ القرن الرابع الهجري مع عمان بعلاقات تجارية مباشرة وأخرى غير مباشرة عبر وسطاء يتمثلون في كارمية عدن والحجاز والعراق .

(١) العلاقات التجارية العمانية ـ المصرية المباشرة

يرجح العديد من المؤرخين أن مصر منذ العصر الفاطمي كانت تحصل على احتياجاتها من التوابل والأفاويه عبر السفن الكارمية من موانىء الحجاز مثل جدة والسرين أو من عدن . ولم تشر معظم المراجع الى وجود علاقة تجارية مباشرة كانت تربط مصر بكارمية عمان .

وأعتقد أن علاقات تجارية مباشرة بين تجار مصر وكارمية عمان كانت قائمة بالفعل وأنه كان يصلها بفضلها بعض احتياجاتها من هذه التجارة .

ونستند في رأينا هذا على نص أورده القلقشندي في صبح الأعشى يصف فيه الطرق التي تربط مصر بمدن الجزيرة العربية والتي تنتهي بعمان ويذكر صراحة أنه كان هناك طريقان مباشران من مملكة مصر الى عمان .

الأول من مصر الى البصرة ومن البصرة الى (عباران) ثم الى (الحدوثة) ثم الى (عرفجاء) ثم الى (الزابوقة) ثم الى (المغز) ثم الى (عصا) ثم (المعرس) ثم الى (خليجة) ثم الى (حسان) ثم الى (القرى) ثم (مسيلحة) ثم الى (حمص) ثم الى (ساحل هجر) ثم الى (العقير) ثم الى (القطن) ثم الى (السبخة) ثم الى (عمان) .

والطريق الثاني من مكة الى عمان على الساحل مرورا بجدة فموانىء اليمن الى عمان ، وهي طريق بعيدة على حد قول القلقشندي .(١١٥)

وهذا يؤكد أن مصر كانت تحرص على الحصول على جزء من توابلها من عمان والا لكانت قد اكتفت بالوصول الى عدن والى موانىء اليمن دون حاجة الى استكمال الطريق البحري الى عمان ، ولكن اصرار تجار مصر على الوصول الى نهاية الطريق ، انما يوضح استفادتهم تجاريا من هذه الرحلة الشاقة الطويلة . . وإذا كان هذا النص الذي أورده القلقشندي يؤكد قيام علاقة تجارية مباشرة بين مصر وعمان ، فإنني أعتقد بل أرجح أن العلاقات التاريخية المصرية / العمانية ربما ترجع الى العقد الثالث من القرن الأول الهجري في أعقاب فتح العرب لمصر ، فمن الثابت أن عددا كبيرا من الأزد شاركوا في جيش الفتح(١١٦) . ولما كانت عمان موطنا للأزد منذ عصر ما قبل الاسلام(١١٧)، ولما كان عمرو بن العاص قد عاش بعمان مدة ثلاث سنوات منذ أن أرسله النبي ﷺ رسولا الى ولدي الجلندى سنة ٨ هـ

---

(١١٥) المصدر السابق ، جـ٥ ، ص٥٧ .

(١١٦) ابن عبدالحكم (عبدالرحمن بن عبدالله) ، فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ١٩٣٠ ،ص ١١٠ .
ابن دقماق ، (ابراهيم بن محمد بن أيدمر) الانتصار بواسطة ، عقد الأمصار ، طبعة بيروت ، القسم الأول ، ص٣ .
وعن شخصيات من الأزد في مصر ، ارجع الى جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، طبعة باب الخلق ، جـ١ ، ص٩٠ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٤ .
ولمزيد من التفاصيل ارجع الى سحر عبدالعزيز سالم ، القبائل اليمنية في الاسكندرية والبحيرة ، بحث مقدم الى ندوة العلاقات اليمنية/المصرية الذي نظمته منظمة الشعوب الآسيوية/الافريقية في فبراير ١٩٩٠ .

(١١٧) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص١٠٧ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص٥٥ .
(الهمداني) كتاب صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن عبدالله بلهيد النجدي ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص١١ .
السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الاسكندرية ١٩٧٣ ، ص١٤٠ .
حسين المسري ، العلاقات السياسية ، ص٤٠ .

ليدعوهما مع أبناء عمان الى الاسلام[118]، فإنه من المنطقي أن يكون عمرو الذي ترك عمان سنة ١١هـ قد فكر في الاستعانة بأبنائها من الأزد لثقته بهم واطمئنانه اليهم[119]، عندما أسندت اليه مهمة فتح مصر خاصة وأنه تحرك لفتحها سنة ١٨هـ أي بعد سبع سنوات فقط من رحيله من عمان .

ونستدل من المصادر العربية أن طوائف عمانية نزلت مصر واستقرت بها في فجر الاسلام .

فالسمائلي يؤكد أن عبدالله بن اباض التميمي مؤسس الفرقة الاباضية، كان له عدد لا يحصى من التلاميذ انتشروا من خراسان الى مصر[120].

ويؤكد الحارثي أن الامام الكبير أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة البصري كان له تلاميذ ومريدون في كل أنحاء العالم الاسلامي ومن بينهم تلاميذ من مصر ، وكان للامام أبي عمرو الربيع بن حبيب بن عمر الفراهيدي ، تلميذ ابن أبي

---

(١١٨) ورد في بعض المصادر أن النبي ﷺ أرسل عمرو بن العاص سنة (٦ هـ) الى جيفر وعبد ولدي الجلندى ، ملكي عمان لدعوتهما للاسلام ، وفي رأي آخر أنه أرسله بعد فتح مكة (ابن هشام ، السيرة النبوية طبعة ١٩٣٦ ، جـ٤ ، ص٢٥٤) .
ولمزيد من التفاصيل ارجع الى البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، قسم ١ ، ص٩٢ .
سالم بن حمد الحارثي ، العقود الفضية في أصول الاباضية ، ص٨ ، ١٢ .
سيدة كاشف ، عمان في فجر الاسلام ، ص٢٠ وما يليها .
فاروق عمر فوزي ، الخليج العربي في العصور الاسلامية ، ص٤٠ .
أحمد الطوخي ، شرق الجزيرة العربية في العصور الوسطى في كتابات الرحالة المسلمين ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص١١ ، ١٢ .

(١١٩) من الدلائل على ثقة عمرو بن العاص بأهل عمان واطمئنانه اليهم ما ذكره الحارثي من أن عمرو بن العاص خرج بأهل عمان الى المدينة عند وفاة الرسول ﷺ فلما اجتمعوا بأبي بكر الصديق قام فيهم خطيبا فقال بعد أن حمد الله « معاشر أهل عمان انكم اسلمتم طوعا ، لم يطأ رسول الله ساحتكم نجف ولا حافر ، ولا جشمتموه باجشمة غيركم من العرب ولم ترجعوا معها بفرقة ولا تشتت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم ، ثم بعث اليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتموه اذ دعاكم على بعد داركم ، وأطعتموه اذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم ، فاي فضل أبرّ من فضلكم ، وأي فعل أشرف من فعلكم » . (الحارثي ، العقود الفضية ، ص١٢) .

(١٢٠) السمائلي ، ازالة الوعثاء ، ص٥١ .

عبيدة ، مريدون من مصر.[١٢١] وفي ذلك ما يشير الى أن أبناء مصر كانت لهم علاقات علمية واجتماعية مع عمان منذ القرن الأول للهجرة ، وهذا في حد ذاته مؤشر على وجود علاقات تجارية مباشرة بين مصر وعمان ، فكثيرا ما اقترن العلم بالتجارة ، واشتغل بعض طلاب العلم بالتجارة والتكسب . وبالاضافة الى ما سبق أتاحت المراكز الاسلامية التجارية التي أقامها التجار العمانيون على سواحل شرق افريقيا فرصة قيام علاقات مباشرة بين تجار عمان ومصر .

وقد سبق أن أوضحنا على الصفحات السابقة مدى عمق العلاقات التجارية بين تجار ونواخذة عمان ، وبين شرق افريقيا ، بحيث انهم وصلوا الى سفالة الزنج وجزيرة قنبلو وزنجبار ، وكانوا ينقلون اليهم بضائعهم وعلى رأسها الكارم والتوابل ويستوردون منهم العاج والرقيق .[١٢٢]

وبالاضافة الى هذه المراكز التجارية التي أسسها العمانيون على ساحل شرق افريقيا لحماية مصالحهم التجارية ، أدت الهجرات العمانية المتتابعة الى سواحل الصومال الحالية الى قيام مجتمعات عمانية اسلامية كاملة هناك . ومن أشهر هذه الهجرات هجرة آل الجلندى في القرن الأول للهجرة وهجرة سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني صاحب عمان الى بتاء في مطلع القرن السابع للهجرة . وقد تزوج سليمان من أميرة مسلمة في شرق افريقيا هي ابنة الملك اسحق من سلالة الشيرازيين في مملكة كلوه .[١٢٣]

---

(١٢١) الحارثي ، العقود الفضية ، ص١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٣ .

(١٢٢) الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص٦١ .

(١٢٣) مملكة كلوه ، تأسست عام ٣٤٦هـ ، عقب هجرة فارسية شيرازية الى ساحل شرق افريقيا برئاسة حسن بن علي وابنائه الستة . وكان حسن بن علي أحد أبناء سلاطين شيراز ، وكانت امه افريقية الاصل . ولم تحدد المصادر السبب الرئيسي وراء هجرته ، وقد وصل في سبع سفن على ساحل القرن الافريقي . وامتدت هذه السلطنة من بمبا في الشمال الى سفالة في الجنوب . وكانت عاصمتها كلوة . ولاتزال آثار مسجد كلوة قائمة حتى الآن ، وسقطت آخر مدن هذه السلطنة في أيدي البرتغاليين سنة ١٥١٢ .
(لمزيد من التفاصيل ارجع الى حمدي السيد سالم ، الصومال ، جـ١ ، ص٣٥١ ، عبادة كحيله ، العرب والبحر ، ص٥٢ ، السر سيد أحمد العراقي ، معالم الحضارة الاسلامية في ساحل شرق افريقيا ، ص٨٣ ، سيد حامد حريز ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحيلية في شرق افريقيا ، دار الجيل بيروت ١٩٨٨ ، وقد قام بتلخيص الكتاب وعرضه الاستاذ عبدالرحمن احمد عثمان في مجلة دراسات افريقية ، العدد الخامس - اكتوبر ١٩٨٩ ، ص١٢٢ ، شوقي عبدالقوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي ، ص١٦٩ ، ١٧٣) .

ومن الجدير بالذكر أن اسحق ملك كلوه تنازل عن الحكم لزوج ابنته سليمان النبهاني وشيئا فشيئا اتسعت تلك المملكة العمانية بحيث شملت الساحل الشرقي لافريقيا في أواخر القرن السابع للهجرة فضمت براوة ومقديشو وقسمايو. أما مالندي فقد هاجر اليها كثير من العمانيين، واستقروا بها، وكانت وظيفتهم الأولى هي الاشتغال بالتجارة، وكانوا من الكثرة بحيث أطلق على مالندي حينا « عمان الصغيرة ». [(١٢٤)]

كما انتشر المذهب الاباضي في زنجبار نتيجة لتأثر أهلها بتجار الكارم العمانيين.

ومن الثابت تاريخيا ارتباط مصر بهذه المناطق الافريقية تجّاريا. فقد ذكر الادريسي أن مراكب مصر كانت تصل الى المندب، وهو « جبل يحيط به البحر من جميع جهاته وطرفه الأعلى مما يلي الجنوب ويمر الى جهة الشمال مع تغريب يسير وطوله نحوا من اثني عشر ميلا وظهره مما يلي بلاد الحبشة ».. ويستطرد قائلا

---

(١٢٤) أسس مقديشيو وبراوة الاخوة السبعة المهاجرون من البحرين والذين كانوا ينتمون الى قبيلة « الحارث » وقد قدموا الى شرق افريقيا على ثلاثة سفن ومعهم الكثير من سكانها هربا من اضطهاد حاكم الاحساء. وقد كان هؤلاء المهاجرون على المذهب السني فاختلفوا مع من سبقوهم الى الهجرة الى القرن الافريقي من اليمنيين الزيدية الشيعة فاضطر الزيدية الى الانسحاب الى داخل البلاد مما ساعد على نشر الاسلام داخل اراضي القرن الافريقي. وقد امتد نفوذ المهاجرين من البحرين حتى جنوبي ممبة.

اما براوة التي أسسها هؤلاء المهاجرون فتعني بالصومالية (الفضاء المتسع).

ومقديشيو كلمة مكونة من كلمتين (مقطعين) أحداهما عربية وهي مقعد والاخرى فارسية وهي شاه لي المكان المفضل للحاكم.

(لمزيد من التفاصيل ارجع الى حمدي السيد سالم، الصومال جـ١، ص٣٥٨، الشريف عيدروس بن الشريف علي العيدروس، بغية الآمال في تاريخ الصومال، طبعة ١٩٥٥، ص٥٨-٦٤، ص٢٢١، ٢٢٩.

وعن أثر هذه الهجرات في نشر الاسلام في شرق افريقيا، ارجع الى محمد امين، تطور العلاقات العربية الافريقية في العصور الوسطى، فصل من كتاب العلاقات العربية الافريقية، ١٩٧٧، معهد البحوث والدراسات العربية، ص٤٨، عرض عبدالهادي العطا، الاسلام في سواحل البحر الاحمر الغربية، مقال بمجلة دراسات افريقية، العدد الثالث، ابريل ١٩٨٧، ص٤٨، جمال زكريا قاسم، دولة (بوسعيد) في عمان وشرق افريقيا، طبعة مكتبة القاهرة الحديثة، ص١٢، ١٤).

وعن ما لندى ومن بها من العمانيين ارجع الى (شوقي عبدالقوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية، ص١٦٧). وتقع مالندى الى الجنوب من مقديشيو (في تنزانيا الحالية)، أهلها مسلمون، ومنازلها ذات طابع مميز فهى مبنية من الحجر والكلس الابيض. وكان لها علاقات تجارية واسعة مع الهند ومصر وجميع جزر المحيط الهندي.

« وليس لشىء من مراكب القلزم الصاعدة الى اليمن بد من أن تمر به في مسيرها ورجوعها لأن البحر يضيق هناك حتى يرى الرجل صاحبه من البر الثاني من اليمن »[١٢٥].

ونستدل من هذا النص على وصول مراكب تجارية مصرية الى جنوب البحر الأحمر والسواحل الشرقية من افريقيا ، فعبارة « صاعدة الى اليمن » تؤكد أن سفن مصر كانت تبحر جنوب اليمن في رحلة تجارية الى الشرق الافريقي ، ولو كانت اليمن مصدر التوابل الوحيد لمصر ، لما نزلت سفن مصر الى جنوبي باب المندب .

ونستدل كذلك الى نص آخر أورده **الادريسي** يؤكد به وصول سفن مصر الى جزيرة قنبلو التي كان العمانيون قد وصلوا اليها بتجاراتهم للتوابل ، يقول **الادريسي** « جزيرة قنبلا وهي في ناحية المغرب من هذا الجزء وهي خالية . . وربما سقط الى هذه الجزيرة من أحرم اليها من بلاد اليمن أو من مراكب القلزم أو من مراكب الحبشة »[١٢٦].

ونعتقد أن الادريسي كان يقصد بسفن القلزم ، السفن المصرية القادمة من القلزم فقد حدد في هذا النص السفن القادمة من اليمن وسفن الحبشة وواضح أنه كان يعني بمراكب القلزم السفن المصرية .

ثم ان الادريسي يذكر في سياق وصفه لمدينة زالغ في الصومال الحالي ان مراكب القلزم (مصر) كانت تصل اليها للاتجار[١٢٧].

---

(١٢٥) الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص٥٠ .

(١٢٦) المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٩ .

(١٢٧) نفسه ، ص٤٤ .

ويؤكد القلقشندي علاقة مصر التجارية مع تلك المراكز الاسلامية في مملكة الحبشة بقوله انه لم يوجد بأوفات ، احدى امارات الطراز السبعة « سكة تضرب بل معاملاتهم بدنانير مصرية ودراهمها الواصلة اليها صحبة التجار ، وذلك أنه لو ضرب أحد منهم سكة في بلاده لم ترج في بلد غيره » .(١٢٨)

وكان بمصر عدد كبير من التجار الأحباش .

ويتضح لنا مما سبق أن علاقات تجارية كانت قائمة بين مصر ، والمراكز والامارات الاسلامية بالحبشة . وكانت بعض المدن مثل عدل وزيلع مراكز تجارية هامة ومجمعا لتجار الكارم من العمانيين(١٢٩) والهنود . بل أن نفس مواطني هذه الممالك الاسلامية التي عرفت بدول الطراز لم يكونوا سوى نتاج الزواج المختلط بين العمانيين المهاجرين واليمنيين أو بين أبناء البلاد المفتوحة . ونرجح أن تكون مصر قد حصلت مباشرة على بعض احتياجاتها من التوابل من المراكز التجارية العمانية المقامة على الساحل الشرقي الافريقي .

---

(١٢٨) القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص٣٣١ .

(١٢٩) حدثت في مطلع القرن الرابع للهجرة هجرة عربية جديدة الى سواحل الصومال الحالي ، اختلطت بالعناصر العربية التي كانت قد نزلت هناك (سواء كانت تلك العناصر عمانية أو يمنية أوبحرانية) وكونت ما يعرف باسم « امارات الطراز الاسلامي » التي سميت بهذا الاسم لامتدادها على الشريط الساحلي بمثابة الطراز الفاصل بين البحر الاحمر والمناطق الداخلية في الحبشة . وقد تكونت هذه الامارات من سبعة ممالك أو قواعد أهمها اوفات أو (حبرت) التي ينتسب اليها الجبرتي امام المؤرخين في مصر في العصر الحديث ، ومن أهم مدنها زيلع . ومن امارات الطراز كذلك امارة هدية ، ودوارو ، وشرحا ، وداره وبالي وأرابيني . وكانت كل امارة بمثابة مملكة مستقلة لها ملك مستقل .
(لمزيد من التفاصيل ارجع الى القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص٣٢٥ وما يليها .
ابراهيم طرخان ، الاسلام والممالك الاسلامية في الحبشة ، بحث في المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثامن ، سنة ١٩٥٩ ، ص١-٦٨ .
حسن ابراهيم حسن ، انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ، ١٩٥٧ ، ص١١٥ وما يليها .
محمد عبدالعال ، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما ، ١٩٨٠ ، ص٤٣١ .
ت. تامرات ، القرن الافريقي ، السليمانيون في اثيوبيا ، ص٤٢٥ وما يليها .
سعيد عاشور ، بعض أضواء جديدة ، ص٢٨٣ وما يليها .
شوقي عبدالقوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي ، ص١٨٤) .

(٢) العلاقات التجارية العمانية ـ المصرية غير المباشرة

أ ـ عدن وسيط تجاري بين عمان ومصر :

ذكرنا فيما سبق أن تجار الكارم من العمانيين والهنود والصينيين كانوا في معظم الأحيان يقومون بجلب كميات كبيرة من التوابل والكارم الى عدن . وكانت عدن تقوم بدور الوسيط بين هؤلاء الكارمية ، وبين تجار مصر ،[١٣٠] عبر أحد طريقين :

الأول ، أن يقوم تجار عدن بايصال الكارم بسفنهم عبر مياه البحر الأحمر الى جدة[١٣١] أو السرين ومن هناك توسق السفن المصرية القادمة من ميناء عيذاب بحاجتها من الكارم ، وتعود الى عيذاب مرة ثانية . وهناك تحمل التوابل على ظهور الابل ، وتبدأ القوافل المصرية رحلتها عبر الصحراء الشرقية حتى تصل الى

---

(١٣٠) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٤٤ .
الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص١٥٩ .
عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٠٤ وما يليها .
راشد البراوي ، الحياة الاقتصادية ، ص٢٣٤ ، ٢٣٥ .
حسنين ربيع ، وثائق الجنيزة وأهميتها ، ص١٣٥ وما يليها .
نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ، ص١٣٧ .

Heyd, Op. Cit, P. 379

Lewis (Bernard) Egypt and Syria, The Cambridge History of Islam, 1970, Vol. I, P. 223.

وقد اثيرت مناقشات وتساؤلات عديدة حول دور كارمية مصر وتجارها ، وما إذا كانوا قد اكتفوا بكمية التوابل التى حصلوا عليها عبر وسطاء تجاريين يتمثلون في كارمية عمان وعدن أم أنهم وصلوا بأنفسهم الى الصين نفسها .
ويرجح د. راشد البراوي أن يكون التجار المصريون قد وصلوا الى الصين ويستند في ذلك على أن المصادر الصينية أوردت اسم القاهرة والفسطاط والاسكندرية (راشد الباوي ، المرجع السابق ، ص٢٤٠ .
نقولا زيادة ، (الجزيرة العربية في اخبار المؤلفين الصينيين جـ٢ ، ص٣٤) .
ولكن الثابت تاريخيا فيما نعتقد أن مصر كانت تحصل على تجارتها من الكارم عبر وسيط تجاري يتمثل في تجار عمان وأقطار الخليج العربي ، الذين كانوا يوصلون تجارتهم الى المصريين اما عن طريق عدن أوعن طريق موانىء ساحل شرق افريقيا .

(١٣١) ابن جبير ، الرحلة ، ص٦٧ .
القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٣ ، ص٤٦٤ .
حسنين ربيع ، وثائق الجنيزة ، ص١٣٧ .
احمد الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٨٠ .

قوص ، فتحمل التوابل للمرة الثانية في السفن النهرية الى الفسطاط فتأخذ مصر حاجات أهلها من الكارم وتحفظ في فندق الكارمية أو في خزائن الطيب والتوابل بالقاهرة .(١٣٢) أما الباقي المعد للتصدير فيحمل في سفن نهرية تبحر إلى الاسكندرية عبر خليجها ، ومن هناك تحملها سفن البنادقة والجنوية الى المغرب الاسلامي والغرب الأوروبي .(١٣٣)

أما الطريق الثاني ، فإن تجار عدن يقومون بتوصيل الكارم والتوابل الى مكة عبر الطريق البري (القوافل) ومن مكة يصل الكارم الى جدة أو السرين ، ومن هناك الى مصر(١٣٤) .

ب ـ امارة مكة وسيط تجاري بين عمان ومصر :

كان هناك طريقان بريان يصلان مكة مباشرة بعمان .

أما الطريق الأول فشرقي يمر بواحة يبرين فاليمامة ثم مكة .(١٣٥)

---

(١٣٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٣ ، ص٤٦٤ ، ٤٦٥ .

(١٣٣) المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص ٣٠٠ .
وعن موعد ارتفاع مياه النيل في خليج الاسكندرية ، ارجع الى ابن مماتي ، كتاب قوانين الدواوين ، جمعه وحققه د. عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، ١٩٤٣ ، ص٢٥٧ .
السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، ١٩٨٢ ، ص٣٥٨ وما يليها .

(١٣٤) أحمد عمر الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٨٧ .
وكان هناك طريق بري يربط بين مكة ومصر بخلاف طريق البحر الاحمر (جدة ـ عيذاب ـ قوص ـ القاهرة) . وكان هذا الطريق البري يبدأ من مكة إلى أيلة ، ومن هناك يتجه الركب المصري الى صحراء سيناء مارا بنخل أو وادي سدر وعيون موسى ومنها الى القاهرة مرورا بعجرود وشيخ التكروري والحمرا (محمد أمين صالح ، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المهاجرة ، من أبحاث الاسبوع العلمي الثالث ١٠ـ١٥ مارس ١٩٧٩ بجامعة عين شمس ، ص١٥٩ ، ١٦٠) .

(١٣٥) الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص١٦٠ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص٥٧ .
وربما كان هذا الطريق يلتقي بالطريق البري الذي كان يسلكه القادم من مصر في طريقه الى عمان .

والثاني غربي يتجه من عمان مخترقا بلاد حضرموت الى عدن ثم يلتقي بالطريق اليمني الذي يتجه الى الحجاز[١٣٦].

ولقد لعب هذان الطريقان دورا هاما في تجارة عمان مع مكة المكرمة ومع مصر عبر موانىء مكة الرسمية .

ومما يؤكد هذه الروابط التجارية بين مصر والحجاز ما ذكره القشتالي في « تحفة المغترب ببلاد المغرب » في سياق حديثه عن كرامات الولي الصالح أبي مروان عبد الملك بن ابراهيم بن بشير القيسي اليحانسي (نسبة الى بلدة يحانس Ohanes في اقليم المرية بالأندلس) . يقول على لسان هذا الشيخ « انه انفصل عن رفاقه فرحل برا الى الاسكندرية ومنها الى عيذاب ، ثم ركب مركبا صغيرا من عيذاب كانت متجهة الى جدة » .

ونستدل من هذه الرواية على أن الصلة بين عيذاب وجدة بحرا كانت وثيقة للغاية في زمن هذا الولي الذي عاش في القرن السابع الهجري وتوفي سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨-١٢٦٩م) .[١٣٧]

وكان يصل الى مكة مع القوافل العمانية الكارم والعطورات مثل المسك واللبان والزعفران والبقم والساج والنارجيل والصبر والصندل . وكانت بعض هذه التوابل عمانية والبعض الآخر صينية وهندية ، من تجارات العمانيين مع هذه الأقطار .

ويذكر الادريسي أن الطريق بين عمان ومكة كان شديد الوعورة « لكثرة القفار وقلة السكان » وكان يفضل سفر المراكب من صحار الى عدن ومن عدن الى مكة .[١٣٨]

---

(١٣٦) أحمد عمر الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٨٨ .

(١٣٧) القشتالي (أحمد بن ابراهيم بن يحيى الازدي) تحفة المغرب ببلاد المغرب ـ تحقيق د. فرناندو دي لاجرانخا ، مدريد ، ١٩٧٤ ، ص٢٢، ٢٣ .

(١٣٨) الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص١٥٩ .

أثر تجارة الكارم على حضارة مصر وسياستها الخارجية

حتى مطلع القرن السابع الهجري

كان من أهم نتائج تعامل مصر الفاطمية مع كارمية عمان والخليج العربي أن أصبحت مصر حلقة الوصل الثانية بين عالمي الشرق الأقصى والغرب الأوروبي . وكان لذلك أعظم الأثر في انتعاش الاقتصاد المصري في العصر الفاطمي ، وعلى الأخص في العصرين الايوبي والمملوكي ، مما جعل مصر منتجعا لجميع التجار الكارمية على اختلاف أجناسهم ، كما أدت هذه التجارة الى ازدهار عدد من المدن والموانىء المصرية ازدهارا كبيرا مثل عيذاب الواقعة على البحر الأحمر ، والاسكندرية على البحر المتوسط ، وقوص في مصر العليا على نهر النيل .

وأصبحت الاسكندرية منذ العصر الفاطمي القاعدة الرئيسية لهذه التجارة ومنفذها الوحيد الى الغرب .(١٣٩) وترتب على ذلك توسعها العمراني الذي فاض خارج نطاق أسوارها وأصبح لها أرياض تمتد من جهة الشرق والجنوب ، وتدفقت الثروات على أهلها ، وأقام المياسير منهم القصور الفخمة والمنشآت الرائعة وانتجعها التجار وطلاب العلم اذ أصبحت أهم مراكز مصر الاقتصادية والعلمية والفنية ، وأصبحت مقرا دائما لأسر كاملة من تجار الكارم المصريين واليمنيين

(١٣٩) حسين مؤنس ، اثر ظهور الاسلام في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البحر الابيض المتوسط ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، مايو ، ١٩٥١ ، ص٥١١ .

والأحباش ،[١٤٠] والعراقيين .[١٤١]

وفي العصر الفاطمي ، أصبح لمصر ولمينائها الأول الاسكندرية علاقات تجارية مباشرة مع الغرب الأوروبي ، والمدن الايطالية مثل أمالفي التي أصبح لتجارها في مدن مصر وعلى الأخص الاسكندرية فنادق عديدة ،[١٤٢] وكذلك مع جنوة والبندقية اللتين كانت لكل منهما جالية كبيرة بالاسكندرية ، وبيزه التي كانت شديدة الحرص على الاحتفاظ بالعلاقات التجارية الودية مع الدولة الفاطمية ، ويتمثل هذا الحرص في السفارة التي أرسلتها هذه الجمهورية (٥٤٩هـ/١١٥٤م) برئاسة Ranieri Botachi الى بلاذ الخليفة الفاطمي الظافر لتسوية بعض المشاكل

---

(١٤٠) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٦١٥ وانظر أيضا :

Aziz Soryal Atiya, The Crusade in the later middle ages, London, 1938, P. 260, 261 - Al-Sayed Abdel Aziz Salem, Des Grecs aux ottomans grandeur, P. 60

Al Sayed Abdel Aziz Salem, D'Alexandrie à Almeria une famille Alexandrie, P. 60.

(١٤١) عاشت أسر بأكملها من تجار الكارم العراقيين في الاسكندرية في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، وطوال القرن السابع ، ومن أشهر هذه الاسر أسرة الكويك التكريتيين العراقيين ، وقد لمع أفراد هذه الأسرة كتجار للكارم ، كما عملوا بالادب والعلوم المختلفة الى جانب عملهم ككارمية ، وقام بعض أفراد هذه الأسرة بتأسيس مدارس ومنهم محمد بن الحسين بن محمود بن الكويك الذي ابتنى المدرسة الكبيرة بمصر وخصصها لتدريس الحديث واوقف عليها الأوقاف ، (ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، طبعة القاهرة « دار الكتب الحديثة » ، جـ٤ ، ص٥٠ ، ترجمة ٣٦٧٠) . كما أنشأ عبداللطيف بن رشيد التكريتي دار الحديث بالاسكندرية لتدريس الفقه والحديث على المذهب الشافعي .
ومن الكارمية العراقيين بمصر أيضا رضى الدين ابراهيم بن البرهان عمر الواسطي التاجر ، الذي ولد بواسط سنة ٥٩٣هـ ، وعمل بتدريس الحديث في الاسكندرية الى جانب عمله بالتجارة (ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ، ١٣٥١ ، جـ٦ ، ص٣١٤ .
السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص٤٧٨ .
ولمزيد من التفاصيل عن تجار الكارم العراقيين في مصر في أواخر القرن السادس الهجري والقرن السابع الهجري ارجع الى سحر عبدالعزيز سالم ، العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري ، بحث مقدم الى ندوة العلاقات العراقية/المصرية التي عقدت في القاهرة في فبراير ١٩٩٠ ، جـ١ ، ص٣١٣ ، ٣١٤) .

(١٤٢) لمزيد من التفاصيل ارجع الى راشد البراوي ، المرجع السابق ، ص٢١٥ ، ٢١٦ .
حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٦١١-٦١٦ .
عطية القوصي ، تجار مصر ، ص١٤٠ .
السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص٢٠٤ ، ٢٥٨ وما يليها .

الناشئة عن اعتداء بعض الركاب البيزيين على سفينة مصرية بالنهب والسلب ، ونجحت هذه السفارة الرسمية في مهمتها ، وصدر من والي الاسكندرية كتابا نوه فيه بما كان يتمتع به تجار بيزا من امان بالاسكندرية ، وتضمن الكتاب ما يشير الى أن التجار الأجانب كان يسمح لهم بالتغلغل أيضا داخل البلاد المصرية والاقامة بها .(١٤٣)

وقد ازدادت هذه العلاقات التجارية بين مصر والجمهوريات الايطالية توثقا في العصر الايوبي ، رغم ما واجهه الايوبيون من مصاعب اقتصادية ناجمة عن اضطرابات الأحوال في أواخر عصر الدولة الفاطمية وبداية الحكم الأيوبي . وكان فشل حركة المقاطعة الأوروبية لتجار المرور التي تتولاها مصر بين الشرق والغرب عبر الأراضي المصرية ، وعودة سفن تجار الجمهوريات الايطالية الى التعامل التجاري مع مصر ، أكبر الفضل في استعادة مصر لازدهارها الاقتصادي .

وعلى الرغم من حالة الحرب القائمة بين صلاح الدين وبين الصليبيين ، فإن صلاح الدين كان يرحب بالتجار الايطاليين ، ويحرص على التعامل التجاري معهم .

ونستدل على ذلك من المعاهدات التي عقدها مع ممثلي البندقية وجنوه وبيزه سنة ٥٦٩هـ .(١٤٤) ومن كتابات الرحالة الذين زاروا مصر في العصر الأيوبي من الأوروبيين أمثال بنيامين الطليطلي، وبرخارد الذي قدم الى مصر سنة ٥٧١هـ (١١٧٥م) سفيرا للامبراطور فريدريك بارباروسة ، ومن المغاربة أمثال ابن سعيد الأندلسي ، وقد سجلوا في كتاباتهم ما شاهدوه من رخاء مصر الاقتصادي ،

---

(١٤٣) راشد البراوي ، المرجع السابق ، ص٢٢٢-٢٢٤ .

(١٤٤) عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٤٥-١٤٧ .

وأشــاروا الى الكميات الكبـيرة للتـوابـل التي كانت ترد على الاسكنـدرية من الفسطاط ، وتوسق بها السفن الى الغرب الأوروبي .

ويذكر المقريزي أنه كان بالاسكندرية سنة ٦٠٨هـ في سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب نحو ثلاثة آلاف تاجر من الفرنج . ويذكر بنيامين الطليطلي أن الاسكندرية كانت بلدا تجاريا من الطراز الأول « يؤمه الناس من جميع الشعوب والأمم المسيحية فمن بلاد الغـرب : البنـدقية ولمبـارديا وتسكـانـه ، وأبـوليه ، وأمـالفي ، وصقلية ، وكالابريا ، ورومانيا ، وكازاريا دياتزيناكيا ، وهنغاريا ، وبلغاريا وراكوفيا ، وكرواتيا ، واسكلافونيا » .

كما ذكـر بنيامين الطليطلي أمثلة لتجـار المشرق الاسلامي الذين قصدوا الاسكندرية في العصر الأيوبي ، ومنهم تجار « الاندلس والمغرب وافريقية وبلاد العرب ، والهند والحبشة وليبيا واليمن وبابل وسوريا » . . وكان لكل تجار بلد ، فندق .(١٤٥)

وارتبـطت مصر الفـاطمية والايوبية مع المغـرب والاندلس تجاريا ارتباطا وثيقـا ، فقـد كانت مصر هي المصـدر الرئيسي للغرب الاسلامي والأندلس ، لغـلات بلاد العـرب والحبشـة والهنـد والشرق الأقصى . وكانت السفن طوال العصرين الفاطمي والايوبي تنقل بصفة مستمرة بين مدن الأندلس وموانيها مثل مالقة وبلنسية وعلى الأخص المرية ، والى موانىء المغرب وبرقة مثل قصر طلميثة وطرابلس وسوسة والمهدية وتونس ، وبين الاسكندرية ودمياط وتنيس في مصر ، حاملة الى مصر منتجات وتجارات هذا الشطر الغربي من العالم الاسلامي ، مثل

(١٤٥) السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص٢٥٨ .

Heyd, Histoire du Commerce, Vol. I, P. 388.

الزيتون من المهدية والزيت من برقة وصفاقص ونابس والمرية ، والثياب والعمائم السوسية وجلود اللمط والورق .[١٤٦] ومن مصر ، الكارم والتوابل والسكر والمسك والصمغ والكهرمان والنسيج الاسكندراني والخزف المصري .

وهكذا ربطت تجارة الكارم المجلوبة من الشرق الأقصى منذ بداية العصر الفاطمي بين موانىء مصر وبين كل الموانىء المطلة على البحر المتوسط بحيث أصبح هناك ما يعرف باسم « وحدة البحر المتوسط » مما دفع بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن البحر المتوسط استرجع مجددا وحدته التي كان يتميز بها في العصر الروماني .[١٤٧]

وبفضل الكارمية العمانيين وغيرهم من عرب الخليج والعراق أصبح بحر الاسكنـــدرية ينتهي عنـــد المغـرب الأقصى والأنـدلس ، فقـد كان يربط بين الاسكندرية والموانىء الاندلسية والمغربية خط ملاحي مباشر ،[١٤٨] ونتيجة لذلك بدأت تتوافد على مصر أعداد كبيرة من تجار المغرب والأندلس وطلاب العلم .

---

(١٤٦) راشد البراوي ، المرجع السابق ، ص٢٣٠-٢٣٢ .
وارجع الى كتاب الرحلة لابن جبير ، ص٣٩-٤٠ لمراجعة وصفه لديوان الاسكندرية ، وارجع كذلك الى سعد زغلول عبدالحميد ، ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة في القرنين السادس والسابع الهجري ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، مجلد ٨ ، ديسمبر ١٩٥٤ ، ص١٠٨ ، ١٠٩ .
السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص٢٦٢ .

(١٤٧) Kruger, The Wars of Exchange, Speculum, 12, 1973, P. 57.
Goitein, Amediterranean Society, Vol. I, Berkelley, 1967, P. 61.

سحر السيد عبدالعزيز سالم ، مظاهر الحضارة في بطليوس الاسلامية ، رسالة دكتوراه ، الاسكندرية ١٩٨٧ ، جـ١ ، ص٤٤٩ .

(١٤٨) من أمثلة ذلك الطريق البحري المباشر الذي كان يربط بين الاسكندرية والمرية ، وقد عرفنا بوجود هذا الطريق الملاحي ، استنادا الى احدى وثائق الجنيزة التي تشير انه في عام ٥٢٥هـ (١١٣٠م) استغرقت الرحلة على شختورة من الاسكندرية الى المرية ٦٥ يوما .

Goitein, Studies in Islamic History and Institutions, leiden, 1966, P. 306.

(Pedro Martines Montavez, Islam Cristianidad, en la economia mediterranea de la baja edad media, XIII, congreso international de historia, Moscu, Agosto, 1970, P. 15)

وتزخر كتب التراجم بأسماء هؤلاء الأعلام الذين نزلوا بالاسكندرية واستقروا بها ، ومن هؤلاء على سبيل المثال أبو بكر محمد الطرطوشي الأندلسي الذي ولد عام ٤٥١هـ بالأندلس ،(١٤٩) ودرس على أبي الوليد الباجي واستقر بمصر ، وأبو الحجاج يوسف بن عبدالعزيز الميورقي ،(١٥٠) وأبو القاسم بن مخلوف المغربي الاسكندري أحد كبار أئمة المالكية المتوفى في سنة ٥٣٣هـ ،(١٥١) وأبو العباس أحمد بن عمر القرطبي المحدث الفقيه المتوفى سنة ٦٥٦هـ عن ثمان وسبعين عاما ،(١٥٢) والحسن بن خلف بن عبدالله القيرواني المتوفى سنة ٥١٤هـ ، وكان عالما متبرزا في علم القراءات ،(١٥٣) وابن خيرة بن خلف بن أحمد الشاطبي المتوفى سنة ٥٥٥هـ ،(١٥٤) واليسع بن حزم الغافقي الأندلسي الجياني المتوفى سنة ٥٧٥هـ وكان قد اتخذ من الاسكندرية موطنا له ، زمن صلاح الدين الأيوبي .(١٥٥) ويذكر المقريزي في حوادث سنة ٥٧٧هـ أن صلاح الدين أنشأ بالاسكندرية عند زيارته لها في هذا العام مارستانا ودارا للمغاربة .(١٥٦)

---

(١٤٩) راجع في ترجمة الطرطوشي ، ابن بشكوال ، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، مجلد ٢ ، مدريد ١٨٨٣ ، ص٥١٨ .
الضبي (ابو جعفر أحمد) بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق كوديره مدريد ١٨٨٥ ، ص١٢٥-١٢٨ .
السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٢١٣ .
المقرى (أحمد بن محمد التلمساني) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، طبعة ١٩٤٩ ، جـ٢ ، ص٢٩٣ .
السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص٢٢٣ حاشية ٤ .
جمال الدين الشيال ، أعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص٥٠-١٠٠ .

Francisco Pons Boigues, En Sayo Bio-Bibliografico sabre los historiadores Y Gèografos aràbigo - espanoles, Madrid, 1898, P. 183.

(١٥٠) الضبي ، بغية الملتمس ، ص١٣٢ .
(١٥١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٢١٤ .
(١٥٢) المصدر السابق ، ص٢١٥ .
(١٥٣) نفسه ، جـ١ ، ص٢٣٥ .
(١٥٤) السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٢٣٦ .
(١٥٥) المصدر السابق ، ص٢٣٦ .
(١٥٦) المقريزي ، الخطط ، جـ٣ ، ص١٦٩ .

وتشـير جميع المصادر والمراجع التي تحدثت عن مصر في عصر الفاطميين والايوبيين الى الثراء والرواج الاقتصادي الذي عاشته مصر منذ العصر الفاطمي ، والـذي بدا واضحا في كل ملامح الحياة الاجتماعية فالقصور ،[١٥٧] والمتنزهات والرياض والخزائن المليئة بشتى أنواع الكنوز[١٥٨] والنفائس واليواقيت والجوهر ، والمدارس العديدة والاضرحة والمشاهد والصناعات المزدهرة ، يشيد كل ذلك بما وصلت اليه الحياة في مصر من رخاء وازدهار اقتصادي لا نظير له ، كنتيجة طبيعية للمكاسب التي آلت اليها من تجارة الكارم .

ولسنا هنا بصدد عرض مظاهر هذا الثراء ، ولكن يكفينا أن ندلل على ذلك بأن الدينار الفاطمي الذهبي ، حافظ على نقاوته وقيمته طوال العصر الفاطمي ، واستمرت نسبة الذهب تمثل فيه ٩٨٪ من قيمته ، ولم تنخفض قيمته قط بسبب الشدة المستنصرية ، ولا بسبب الحروب الصليبية .[١٥٩]

وان تجار الكـارم لم يترددوا في دفع زكاة أربع سنوات في نفس السنة التي هاجم فيها أرناط عيذاب وهي سنة ٥٧٧هـ[١٦٠] دون أدنى تذمر أو احتجاج مما

---

(١٥٧) من أمثلة هذه القصور ، القصر الشرقي الكبير ، والقصر الغربي الصغير ، وقصر القرافة ، ودار الملك ، ومنازل العز بالفسطاط والهودج بالروضة ، ومنظرة بركة الحبش ، وقبة الهواء ، وقصر الورد بالخاقانية بقليوب ، وقصر بني خليف في منطقة الرمل بظاهر الاسكندرية ، وقصر مكين الدولة بالاسكندرية .

(١٥٨) من الأمثلة الدالة على وفرة الكنوز والثروات أنه وجد عند « سيدة » أخت الخليفة المعز بعد وفاتها من الذهب العين ثلاثمائة صندوق وخمس ويبات فصوص ياقوت وغير ذلك من الأحجار الكريمة المتنوعة كما خلفت الاميرة « عبدة » بنت المعز التي توفيت سنة ٤٤٢هـ ثروة لا تحصى ، منها اردب من الزمرد ، كما وجد عند القائد جوهر الصقلي عند وفاته ستمائة ألف دينار ذهب وأربعـة آلاف درهم فضـة ، وأربع صناديق مملوءة باللؤلؤ ، وأربع صناديق ياقوت ، وألف قصبة زمرد ، وخمسة وسبعون ألف ثوب ديباج (لمزيد من التفاصيل ارجع الى عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٣٤ وما يليها) .
وارجع أيضا الى رواية المقريزي عن قصر مكين الدولة ابو طالب أحمد بن حديد وما كان يحتويه من نفائس ، (المقريزي ، الخطط ، جـ٣ ، ص٩٢،٩٣) وراجع السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص٢١٤ وما يليها

Al Sayed Abdel Aziz Salem, Des Grecs aux ottomans, P. 60.

(١٥٩) عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٣٣ .

(١٦٠) المقريزي ، السلوك ، جـ١ ، ص٧٣-٧٤ .
صبحي لبيب ، المرجع السابق ، ص١١ .

يؤكد ثراء هذه الطبقة من التجار ، وتقديرهم السليم لمصالحهم التجارية ، كما يوضح بلاشك أن أرباح هذه التجارة كانت عاملا من العوامل التي ساعدت صلاح الدين على تأمين نفقات حروبه ضد الصليبيين في فترة حاسمة من تاريخ الامة الاسلامية .

ويكفينا لتوضيح مدى الثراء الذي كانت تنعم به مصر في العصرين الفاطمي والأيوبي ، وصف الرحالة ناصر خسرو للقاهرة والفسطاط زمن المستنصر بالله والمنشآت الحربية والمدنية العديدة التي شهدتها مدن مصر في عصر صلاح الدين وخلفائه من بني أيوب وقدرات مصر العالية في صد العدوان الصليبي المتكرر على ثغريها دمياط والاسكندرية ، والاعداد الكبيرة من العلماء الذين اكتظت بهم دور العلم والمدارس والأربطة التي أقيمت في العصر الأيوبي .

وربما كان ذلك الازدهار الاقتصادي والحضاري والذي أصابته مصر في عصر الدولتين الفاطمية والأيوبية ، دافعا رئيسيا وراء سياسة مصر تجاه بلاد شبه الجزيرة العربية طوال العصر الاسلامي ، ويتضح ذلك بكل جلاء وصدق في تفهم الفاطميين لأهمية تجارة الكارم الآتية من بلاد الشرق الاقصى ، فحرصوا على دفع الحركة التجارية في البحر الأحمر قدما الى الامام ليتفوق على طريق التجارة في الخليج العربي بل ان الفاطميين سعوا منذ بداية دولتهم في مصر الى احتكار تجارة الكارم وشل حركة الكارمية في الخليج تماما لينفرد البحر الأحمر بها .

ونعتقد أن هذا العامل الاقتصادي كان أحد العوامل وراء عدم اكتفاء الفاطميين ببسط نفوذهم على مصر والشام ، فقد تطلعوا الى مد نفوذهم على أراضي جزيرة العرب لأسباب منها ، رغبتهم في الحصول على الزعامة الروحية للقضاء على الخلافة العباسية السنية ، ولم يكن ذلك ليتحقق لهم ما لم يتمكنوا من

بسط نفوذهم على مكة المكرمة والمدينة دار الهجرة حيث الحرم النبوي ومقر السيدة فاطمة الزهراء التي ينتسب اليها الفاطميون ،[١٦١] والى جانب هذا العامل الهام نضيف العامل الاقتصادي الذي أوضحناه والذي لا يمكن أن نتجاهله على الاطلاق .

ومما يؤكد اعتقادي في أهمية العامل الاقتصادي أن سياسة الفاطميين الخارجية كانت تستهدف توسيع دائرة نفوذهم ليس في الحجاز فحسب بل في كافة أنحاء الجزيرة العربية ، فلو أن هدف الفاطميين الوحيد كان قاصرا على الرغبة في منافسة الخلافة العباسية في الظفر بالزعامة الروحية ، لكانوا قد اكتفوا ببسط سلطانهم على الحجاز ، ولكن سياسة الفاطميين مع ملوك اليمن[١٦٢] ومحاولتهم نشر الدعوة الاسماعيلية هناك ، بل ومحاولاتهم في مد هذه الدعوة الى عمان والهند

---

(١٦١) .عائشة بنت عبدالله باقاس ، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي (٥٦٧ـ٦٤٨هـ) منشورات نادي مكة الثقافي ، ١٩٨٠ ، ص١٩ .

(١٦٢) عن سياسة الفاطميين في اليمن والدعوة الاسماعيلية هناك ، وعلاقة التبعية والولاء التي ربطت الصليحيين بالخلافة الفاطمية ارجع الى حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٢٣٩ وما يليها ، محمد عبدالعال ، الايوبيون في اليمن ، ص٢٧ـ٦٧ ، جمال الدين سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص٢٤ وما يليها .
ومؤسس الدولة الصليحية باليمن هو علي بن محمد الصليحي ، ابن القاضي محمد الصليحي ، وكان شافعي المذهب في بادىء الأمر ، ثم ترك هذا المذهب الى المذهب الاسماعيلي الشيعي الذي لقنه له الداعي الاسماعيلي في اليمن سليمان بن عبدالله الزواحي . وقد خلف علي ، الزواحي في أمور الدعوة الاسماعيلية هناك . وقد اتخذ علي الصليحي من صنعاء عاصمة له . وقد عرف هذا الملك الصليحي بالعدل والتسامح ، والقدرة السياسية الفائقة فقد تمكن من توحيد لاد اليمن تحت قيادة واحدة وسلطان واحد .
على أن أمور اليمن قد عادت الى الاضطراب عقب وفاته سنة ٤٦٠هـ ، وقد حاول ولده وخليفته المكرم أحمد بسط نفوذه على البلاد والقضاء على العقبات والثورات التي واجهته ، ونجح في ذلك الى حد كبير ، ولكن مرض المكرم أحمد بالفالج أدى الى عجزه عن مباشرة أمور الحكم ففوض زوجته الملكة أروى أن تحكم البلاد ، بينما اعتكف هو عن الناس وقضى بقية حياته في حصن بعيد عن السياسة والحكم . وقد أوصى المكرم قبيل وفاته أن يتولى من بعده أمر الدولة والدعوة الاسماعيلية في اليمن ، أبو حمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي .
ويبدو أن الملكة أروى كانت تسعى لجعل الملك في ابنها علي ، فكتمت نبأ وفاة زوجها ، وأرسلت الى الخليفة المستنصر تطلب تقليدا لولدها بحكم اليمن ، فأجابها المستنصر على طلبها وأصدر مرسوما بتقليد ولدها الذي لقب بعبدالمستنصر .
ولكن الظروف حالت بين أروى وبين استمرار السلطة ، فقد توفي ولدها عبدالمستنصر ، فأصدر المستنصر بالله الفاطمي أمره بأن تتزوج السيدة أروى من أبي حمير سبأ لاستقرار الأمور في اليمن . (لمزيد من التفاصيل ارجع الى عصام الدين عبدالرؤوف ، اليمن في ظل الاسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول ، طبعة دار الفكر العربي ، ١٩٨٢ ، ص١٤٥ـ١٨٠) .

يؤكد تماما وضوح الدافع الاقتصادي واهتمام الفاطميين التجاري بمنطقة الخليج العربي بسبب دور الأقطار المطلة عليه المتميز في تجارة الكارم .

وتتضمن السجلات المستنصرية خمس سجلات [١٦٣] تتعلق بصلات الفاطميين الوثيقة في عصر الخليفة المستنصر بالله بمنطقة الخليج . ونستدل من هذه السجلات أن الصليحيين أصبحوا الدعاة المخلصين للفاطميين الى حد أن المستنصر بالله الفاطمي أنعم على علي بن محمد الصليحي بلقب عمدة الخلافة ، وفي نفس الوقت كان المستنصر بالله يبذل قصارى جهده لنشر الدعوة الاسماعيلية في بلاد الخليج مستهدفا من ذلك بسط سلطانه الروحي على أهلها وبالتالي السيطرة على مصادر التجارة الكارمية ، وتحقيقا لهذا الهدف أخذ الخليفة المستنصر بالله يغدق الألقاب على الدعاة الاسماعيلية في أقطار الخليج العربي ، وكان معظمهم من التجار ، يجمعون بين التجارة والعلوم الدينية . [١٦٤]

واعتبر هذا الخليفة الدعاة في عمان والبحرين نوابا عن الصليحيين في اليمن ، يؤكد ذلك ما ورد في السجل رقم ٥٠ الذي يشير الى انصراف أحد دعاة الاسماعيلية بعمان وهو اسماعيل بن ابراهيم الداعي (٤٧٦هـ) عن شؤون الدعوة الى التجارة مما دفع السيدة الحرة ، ملكة اليمن بعد أحمد المكرم الى تعيين حمزة بن سبط حميد الدين داعيا اسماعيليا ، وبادر المستنصر بالله الى اصدار تقليد بذلك في سنة ٤٨١هـ . [١٦٥]

---

(١٦٣) السجلات المشار اليها في المتن هي رقم ٤ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٦٣ .
(انظر السجلات المستنصرية ، تحقيق د. عبدالمنعم ماجد ، ١٩٥٤ ، ص٣٨-٤٢ ، ص١٦٧-١٦٩ ، ص١٧٦-١٧٩ ، ص١٩٠-١٩٣ ، ٢٠٣-٢٠٦) .

(١٦٤) عبدالمنعم ماجد ، سياسة الفاطميين في الخليج مستمدة من السجلات المستنصرية وثائق فاطمية معاصرة ، بحث مقدم الى ندوة قطر ١٩٧٦ عن تاريخ شرق الجزيرة العربية ، جـ١ ، ص٢٦٧ وما يليها .

(١٦٥) السجلات المستنصرية ، ص١٦٨ .

أما السجل رقم ٥٤ فيتضمن ما يشير الى رغبة المستنصر بالله الفاطمي في أن يركز أحمد المكرم اهتمامه بالمناطق النائية من الجزيرة العربية وبشؤون الدعوة الاسماعيلية فيها ، ويحدد السجل اسم عمان بين هذه المناطق المقصودة .(١٦٦)

ويتضمن السجل رقم ٥٨ اسم داعية من دعاة المذهب الاسماعيل في عمان يدعى غرس الدين يوسف بن حسين الصدا بواري وولده ، ونطالع في السجل ما يلي « وأما ما ذكرته من حال غرس الدين يوسف بن حسين الصدابواري ومضيه لسبيله ، وانه كان من أهل الدين والتقية وأنه خلف ولدا نجيبا صالحا لأن يسد مسده ينوب في خدمة الدعوة النبوية منابه ، فتألم أمير المؤمنين ، لما ألم به من قضاء الله سبحانه وتعالى يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحله قراره خباته ، وتقدم باصطناع ولده ، ورد الدعوة اليه ، وانقاذ التقليد به وتعجل بتلقيبه بلقب أبي غرس الدين ، والله تعالى يوفقه ويصلح على يديه قبل وبعد ، فإن تلك الديار موكولة الى نظرك فيها واعتناقك المصالح فأجر على شاكلتك المرضية في مراعاة مثلها ، ورتب لنواحي عمان الخالية اليوم من الدعوة من ينتدب لصلاح حالها » .(١٦٧)

ويطالب الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في السجل رقم ٦٣ من الامير الصليحي أبي الحسن علي بن محمد بن علي أن يرسل الى عمان الداعية اسماعيل بن ابراهيم بن جابر الاسماعيلي ، لدينه وحميد صفاته .(١٦٧)

أما فيما يتعلق بالدعوة الفاطمية الاسماعيلية بالهند فنحن نرى أنها ارتبطت بالدعوة في عمان واهتمام الدولة الفاطمية بهما ينهض دليلا على أن المصالح

---

(١٦٦) المصدر السابق ، ص١٧٧ .
(١٦٧) نفسه ، ص١٩٣ .
(١٦٨) نفسه ، ص٢٠٥ .

الاقتصادية كانت المحرك الأول لسياسة الفاطميين مع هذين البلدين ، فرغبتهم في نشر الدعوة الهادية في الهند ، المصدر الرئيسي لتجارة الكارم والبهار يدل على رغبة الدولة الفاطمية في بسط نفوذها وهيمنتها التجارية على تجارة المحيط الهندي من مصدرها الأول ، والسيطرة على تجارة الخليج العربي بهدف الاضرار باقتصاد الخلافة العباسية ، وفي ذات الوقت لتأمين اقتصاد مصر وضمان استمرارها وازدهارها الاقتصادي .

ويرى بعض المؤرخين أن اهتمام الفاطميين بنشر المذهب الاسماعيلي في عمان يمثل خطوة على طريق نشر هذا المذهب في شبه القارة الهندية ،(١٦٩) وذلك بسبب العلاقات التجارية الوثيقة التي كانت تربطها بالهند منذ عصور قديمة .

ويطلب الخليفة المستنصر بالله الفاطمي في السجل رقم ٤١ من الأمير المكرم أبي الحسن علي الصليحي أن ينتدب أحد دعاة الاسماعيلية المتميزين للهند بعد أن توفي الداعية السابق .(١٧٠)

ويشير السجل رقم ٥٠ الى وفاة داعية آخر من الدعاة الاسماعيلية في الهند يدعى غرس الدين مرزبان بن اسحق بن مرزبان الذي خلف ولدين ذوي دين وتقوى أكبرهما يدعى أحمد ، هو الذي وقع عليه الاختيار لمواصلة نشر الدعوة الاسماعيلية في الهند .(١٧١)

وتؤكد السجلات المستنصرية كما أشرنا من قبل أن معظم هؤلاء الدعاة كانوا من التجار ، وهي في ذلك تتفق مع وثائق الجنيزة في أن أعدادا كبيرة من التجار

---

(١٦٩) عبدالمنعم ماجد ، سياسة الفاطميين في الخليج ، ص٢٧٠

(١٧٠) السجلات المستنصرية ، ص١٤٢ .

(١٧١) نفس المصدر ، ص١٦٨ ، وانظر أيضا ص٢٠٥ .

الكارمية في مصر رحلوا الى الهند وأقاموا بها للتعامل تجاريا مع تجار الهند ، وارسال شحنات الكارم الى عمان وعدن . وقد أدى هؤلاء التجار في نفس الوقت دورا هاما في نشر المذهب الاسماعيلي في الهند الى جانب الدعاة الرسميين . ومن المرجح أن يكون هؤلاء الكارمية قد ركبوا السفن العمانية من صحار وغيرها من ثغور عمان في طريقهم الى الهند .

ومن الجدير بالذكر أن أهالي شبه القارة الهندية لم يفرقوا اطلاقا بين التجار المصريين وبين دعاة الاسماعيلية ، فكانوا يطلقون على الاسماعيلي من هؤلاء اسم « بوهرا » وتعنى « تاجر البهار » في اللغة الهندية .[١٧٢]

وقد تخيرنا من بين الرسائل العديدة التي تحتويها وثائق الجنيزة ، بعض الأمثلة التي تشير الى وجود كارمية مصريين بالهند ، من ذلك رسالة لتاجر مصري سافر من ساحل ملبار الغربي ، عائدا في طريقه الى زوجته بالقاهرة . وكان قد أرسل هذه الرسالة يبلغ صاحبها زوجته بأنه أرسل اليها مع زميله خادمة سوداء وعددا من الأساور المصنوعة من الزمرد وقطعا من الحرير الهندي الأحمر واناء من البرونز وابريقا .[١٧٣]

ومنها رسالة بعث بها أحد التجار ، من أحد الموانىء ، الواقعة جنوبي شرقي الهند الى زوجته المقيمة بالقاهرة يذكر لها فيها أنه أرسل اليها بعض توابل الشرق وبعض الفواكه و ٧,٥ رطل من الجوز يفاخر أنه ما في الكارم مثلها .[١٧٤]

---

(١٧٢) عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٠٠ ، عبدالمنعم ماجد ، سياسة الفاطميين في الخليج ، ص٢٧٠ ،

(١٧٣) عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص٩٥ .

(١٧٤) المرجع السابق ، ص٩٥ .

ومن وثائق الجنيزة أيضا التماس صادر من أحد التجار الى الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ) ، يذكر فيه هذا التاجر واسمه موسى بن صدقة ، انه وصل من الهند واليمن بتجارة فأعيق بشبهة غير صحيحة ، وأنه يلتمس من الخليفة الفاطمي ان يرسل توقيعه الشريف الى القاضي للافراج عن تجارته .[١٧٥]

وتتضمن بعض وثائق الجنيزة نصوصا تشير الى وجود كارمية من عدن في الهند ربما قاموا بنفس المهمة وهي نشر الدعوة الاسماعيلية الى جانب الاتجار في الكارم .[١٧٦]

ولما قامت الدولة الايوبية في مصر والشام حرص صلاح الدين يوسف بن أيوب على ضم اليمن الى دولته ، ويرجع ذلك الى عوامل عديدة :

منها رغبته في توحيد الجبهة العربية الاسلامية تمهيدا للجهاد الأعظم ضد القوى الصليبية . فجاءت حملة أخيه تورانشاه على اليمن سنة ٥٦٩هـ من أجل تأمين الملاحة في البحر الأحمر من الخطر الصليبي واحباط أي محاولة صليبية لغزو الأراضي المقدسة أو الاتصال بالحبشة ، خاصة بعد أن استرد صلاح الدين ميناء أيلة الذي يتحكم في شمال البحر الأحمر ، فكان لزاما عليه أن يحكم السيطرة على هذا البحر بالاستيلاء على اليمن التي تتحكم في مدخله الجنوبي .

ومن هذه العوامل أيضا ، رغبة صلاح الدين في القضاء على دولة ابن مهدي الخارجي في زبيد ، والتخلص من بقايا النفوذ الشيعي في عدن وصنعاء .[١٧٧]

---

(١٧٥) حسنين ربيع ، وثائق الجنيزة ، ص١٣٥ .

(١٧٦) المرجع السابق ، ص٣٦ .

(١٧٧) محمد عبدالعال ، الأيوبيون في اليمن ، ص٦٩-٩٥ .

وثالث هذه العوامل التي دفعت صلاح الدين الى ضم اليمن يرجع في تصوري الى رغبة صلاح الدين في تأمين تجارة مصر في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، وضمان وصولها الى مصر ، ويؤكد ذلك اهتمام الايوبيين بتحصين عدن وضمان حمايتها ، فقد قام بعض نواب الايوبيين بانشاء أسوار جديدة في مواضع متعددة منها ما أدى الى انتعاش الحركة التجارية بها ، فانتجعها التجار من جميع أنحاء العالم الاسلامي ، ومنهم عرب من الاسكندرية ومصر . كما عمل الايوبيون في اليمن على ارسال الشواني لحراسة السفن التجارية في المحيط الهندي وحمايتها وتأمينها من اعتداءات القراصنة مما يؤكد أهمية العامل الاقتصادي بين العوامل التي أدت الى اقدام الايوبيين على فتح اليمن .(١٧٨)

وهكذا نصل في نهاية بحثنا الى مجموعة من النتائج أبرزها أن التجارة كانت أحد العوامل التي ربطت بين مصر وعمان عبر العصور الاسلامية ، وأنه كانت هناك ثمة علاقات تجارية مباشرة وغير مباشرة كانت تربط أبناء الشعبين برباطها الوثيق .

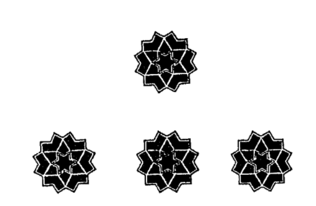
كما ان العمانيين استحقوا عن جدارة لقب « سادة البحار » فبفضل مهارتهم الملاحية تفوقوا على غيرهم من النوتية الأحباش والفرس وبسطوا سيادتهم على مياه الخليج العربي والمحيط الهندي ، وسيطروا على طريق التجارة الى الشرق الاقصى ، كما أثبتنا أن ظهور الخلافة الفاطمية واضطراب أمور الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري ، وقيام دولة القرامطة في البحرين وظهور حركة الزنج أدى الى عودة الطريق التجاري عبر البحر الأحمر الى شغل مكانته القديمة مما أبرزه كمنافس قوي لطريق الخليج العربي ، ومع ذلك فقد أوضحنا رأينا بالأدلة التاريخية

---

(١٧٨) محمد عبدالعال ، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص٣٧٤ .

وأثبتنا أن تلك الظروف لم تقض تماما على تجارة الخليج العربي وأن العمانيين واصلوا تفوقهم التجاري رغم ظهور بنادر تجارية أخرى في اليمن والحجاز منافسة لعمان .

وأثبتنا كذلك أن العامل الاقتصادي التجاري كان وراء سياسة الدولتين الفاطمية والأيوبية في مصر .



المصادر والحواشي :

(١) القلقشندي : « أبو العباس أحمد بن علي » ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، (نص أورده من كتابه ضوء الصبح المسفر) ، طبعة تراثنا في مصر ، جـ٤ ، ص٣٢ ، صبحي لبيب ، التجار الكارمية ، وتجارة مصر في العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، مايو ١٩٥٢ ، ص٦ .

(٢) كانت التجارة العامل الرئيسي في انتشار الاسلام وتعريب هذه المنطقة والمناطق الواقعة جنوبي السودان . وقد لعبت زويلة دورا هاما في التجارة مع زغاوة وهم سكان وحكام كانم (اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، النجف ١٩٦٤ ، جـ١ ، ص٧ ، ص١٦٨ ، الادريسي « أبو عبدالله محمد بن محمد » ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، طبعة مكتبة الثقافة الدينية ، جـ١ ، ص٢٧ ، ٢٨ - أمين توفيق الطيبي .
كانم - برنو - بالسودان الأوسط في العصر الوسيط ، علاقات تاريخية عريقة بالعرب والمسلمين ، بحث في مجلة المؤرخ العربي ، عدد ٣٧ ، سنة ١٩٨٨ ، ص١٢١ . وفي القرن الثاني للهجرة قامت علاقات تجارية بين الدولة الرسمية الاباضية وبين بلاد السودان وكانم ، وتؤكد المخطوطات المحلية وصول عرب فزان الى كانم ، والى جانب تجارة الفلفل اشتهرت كانم بتجارة الرقيق (لمزيد من التفاصيل ارجع الى صباح الشيخلي ، الوجود العربي في كانم في السودان الأوسط حتى القرن السابع الهجري ، بحث بمجلة المؤرخ العربي العدد ، ٣٥ ، ١٩٨٨ ص١٢٢ ، ١٢٣ وما يليهما) . وعن كانم وعلاقتهم بالعرب ارجع كذلك الى (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٧ ، جـ٤ ، ص٤٣٢ - القلقشندي صبح

الأعشى ، جـ٥ ، ص٢٨١ السلاوي « أحمد الناصري » صاحب كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، طبعة ١٩٥٥ ، ص١٠٣) .

(٣) أمهري ، بمعنى حبشي ، وأمهرا منطقة بالحبشة بها مدينة تجولات ، التي اتخذها « يكونوأملاك » مؤسس الأسرة السليمانية بالحبشة عاصمة له بدلا من أكسوم التي ظلت تحتفظ بمكانتها الدينية ، ففيها كان يتم تتويج الملوك والسليمانيين ، ملوك الحبشة بعد أسرة الزاغويه ، ينتسبون الى سليمان الحكيم ، وكانوا يعتبرون انفسهم امتدادا لأسرة (أكسوم السليمانية) التي كانت تحكم الحبشة قبل أسرة الزاغوية (ولمزيد من التفاصيل ارجع الى ابراهيم على طرخان الاسلام والممالك الاسلامية بالحبشة ، بحث بالمجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثامن ١٩٥٩ ، ص١-٦٨ ، سعيد عبدالفتاح عاشور ، بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة ، بحث من كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، بيروت ١٩٧٧ ، ص٢٧٩ وما يليها ، ت.تامرات ، القرن الافريقي ، السليمانيون في اثيوبيا ، بحث في كتاب تاريخ افريقيا العام طبعة اليونسكو ١٩٨٨ ، ص٤٢٥ وما يليها) .

(٤) صبحي لبيب ، التجار الكارمية ، ص٦ ، عطية القوصي ، تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص١٠١ .

(٥) عطية القوصي ، المرجع السابق ، ص١٠١ .

(٦) نفسه ، ص١٠٢ ـ الشاطر . بصيلي ، الكارمية ، بحث في مجلة الجمعية

المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ١٣ لسنة ١٩٦٧ ، ص٢١٧ وما يليها . ويرجح د. صبحي لبيب ان أصل الكلمة محرف من « كانم » اذ كان الفاطميون بمصر يستوردون الشب من كانم (صبحي لبيب ، التجار الكارمية ، ص٦) .

(٧) صبحي لبيب ، المرجع السابق ، ص١٤ .

(٨) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٥٢٠ . كما أوضح في الجزء الرابع أن أحد الوظائف الهامة في مصر كانت نظر البهار والكارمي . (جـ٤ ، ص٣٢) .

(٩) ابن ايبك الدوادار ، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية وهو الجزء السادس من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٦١ ، ص٣٨٠ . وعن بداية ظهور الكارمية في العصر الفاطمي ارجع الى (حسنين محمد ربيع ، وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لموانىء الحجاز واليمن في العصور الوسطى ، بحث في كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الرياض ١٩٧٩ ، ص١٣٦ ، أحمد عمر الزيلعي ، مكة وعلاقتها الخارجية « ٣٠١-٤٨٧هـ » الرياض ، ١٩٨١ ، ص١٨٣ ، صبحي لبيب ، التجار الكارمية ، ص٧ ، عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص٩٢ . وقد أورد د. عطية القوصي ، في ص٩٧ وما يليها مجموعة من وثائق الجنيزة تؤكد وجود تجار « الكارم » منذ العصر الفاطمي) .

(١٠) يتفق رأيي في ذلك مع ما ذكره د. عطية القوصي في كتابه « تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية » ص٩٢ ، ١-٨٣ . فد ذكر في الجزء الأول من كتابه أن حاصلات الشرق الأقصى والهند من توابل وبخور وحرير ومسك وكافور كان هدفا تجاريا لمصر منذ أيام البطالسة والرومان .

وقد عرف التجار العرب وخاصة تجار عمان والبحرين طريقهم الى الهند وشرق افريقيا منذ عصور ما قبل الاسلام ، وكانت سفنهم تنقل السلع والمتاجر من الهند الى موانىء الجزيرة العربية ، ومنها الى مكة التي كانت العاصمة الدينية للوثنية العربية ، وملتقى طرق القوافل التجارية الى مختلف أرجاء شبه الجزيرة العربية ، ومن موانىء شبه الجزيرة العربية كانت مصر تحصل على حاجتها من هذه السلع الشرقية . ولم يغير الفتح العربي لمصر من وضعها التجاري الذي كان سائدا أيام البيزنطيين وازداد نشاط موانىء مصر المطلة على ساحل البحر الأحمر . وقد اهتم (الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان) بميناء جدة لكي يكون المنفذ التجاري لبضائع الشرق المتجمعة في مكة كما اهتم بميناء الجار . وأصبحت موانىء شرق افريقيا وجزيرة لامو الى جانب ثغور الحجاز في العهد الأموي من أهم المراكز التي تنقل منها متاجر الشرق الأقصى الى مصر ، ولعب التجار ، اليهود الراذانية دورا كبيرا في نقل تجارة الشرق الأقصى الى الغرب الأوروبي . ويواصل د. القوصي حديثه عن تجارة الشرق ووسائل وصولها الى مصر وأهم الموانىء المصرية التي نشطت نتيجة لهذه التجارة وأهمها الفرما والقلزم والفسطاط في عصر الولاة وزمن الطولونيين والاخشيديين .
ولمزيد من التفاصيل عن تجارة عمان واليمن مع الهند والشرق الأقصى في

العصر القديم ارجع الى جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٣ ، جـ٣ ، ص٣٥٢ . فهو يذكر أن البرتغاليين عثروا في صحار ومسقط بعمان عام ١٦٠١م على كميات كبيرة من النقود الرومانية المضروبة أيام طيباريوس ، وهذا يشير الى اشتغال أهل عمان بالتجارة ، ربما في مصر الرومانية في ذلك الوقت .

وعن تجارة ميناء عمانة مع الهند في العصر القديم ، ارجع الى جـ٨، ص٩٩ .

وعن تجارة موانىء اليمن مع الشرق وافريقيا ، انظر نفس المرجع ، ص٦٦ وما يليها ، ص٩٨ ، ٩٩ .

وعن مكة كمركز تجاري هام وملتقى تجارة الشرق الأقصى في العصر القديم ، ارجع الى جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، جـ٤ ، ص١٩٠ ، عطية القوصي ، المرجع السابق ، ص٣٣ .

ومنذ نهاية القرن السادس الميلادي احتكرت قريش بمكة تجارة الهند ، بفضل جهود هاشم بن عبد مناف الذي يعتبر أول من سنّ رحلة الشتاء الى الشام ورحلة الصيف الى الحبشة (السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الطبعة الأولى ، ص٢١٠) .

(١١) عن التجار الكارمية ارجع الى نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، طبعة ١٩٧٣ ، ص٣٠١ وما يليها .
صبحي لبيب ، التجار الكارمية ، ص١١ وما يليها .
عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص٩٠ وما يليها .
السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، الاسكندرية ص٢٠٤-٢٠٨ ، ص٢٥٧ وما يليها .

W. Heyd, Histoire du commerce du Levant au moyen age, 1967.
Vol,I, P.378-388

(١٢) راشـد الـبراوي ، حالـة مصر الاقتصـادية في عهد الفاطميين ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٨ ، ص٢٥٥ وما يليها .

(١٣) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، طبعة ١٩٦٤ ، ص٦١٥ .

(١٤) المقريزي (احمد بن علي) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبعة لبنان ، ص٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢ .

(١٥) راشد البراوي ، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، ص٢٥٧ وما يليها .

(١٦) محمـد بن أحمـد بن اياس الحنفي ، بدائـع الـزهور في وقائع الدهور ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص٢٢٣ .

(١٧) ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد البلنسي) ، رحلة ابن جبير ، تحقيق وليم رايت ، ليدن ١٩٠٧ ، ص٦٧ .

(١٨) المقريزي ، الخطط المقريزية ، جـ١ ، ص٣٥٦ .

(١٩) راشـد الـبراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص٢٥٦ ، حسنين ربيع ، وثائق الجنيزة ، ص١٣٨ .

(٢٠) أبو الفضل جعفر بن عبدالله الدمشقي ، الاشارة الى محاسن التجارة ، القاهرة ١٣١٨ ، ص٢٢ .

(٢١) الاصطخري (أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي) ، المسالك والممالك تحقيق محمد جابر الحيني ، ١٩٦١ ، ص٢٧ .
أبو القاسم بن حوقل النصيبي ، صورة الأرض ، طبعة بيروت ، ص٤٤ .
وقد أمدتنا وثائق الجنيزة بمعلومات قيمة عن أنواع المتاجر التي كان يجلبها الكارمية العرب والعمانيون من الهند والصين والساحل الشرقي من أفريقيا ، والتي كانت تعتمد عليها مصر في تجارتها مع الغرب الأوروبي . (ارجع الى حسنين ربيع وثائق الجنيزة وأهميتها ، ص١٣٨ وما يليها ، أحمد الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، الجزء الخاص بوثائق الجنيزة ، ص١٨١ ، ١٨٤) .

(٢٢) المقريزي ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٢ .

El Sayed Abdel Aziz Salem, Des Grecs Aux Ottomans : Grandeur Et Misere D'un Mythe, Dans Le Miroir Egyptien, Marseille, 1984

El Sayed Abdel Aziz Salem, D'Alexandrie A Almeria Une Famille Alexandriene Au Moyen Âge : Les Banu Khulaye Dans Alexandrie Entre Deux Mondes, Aix En Provence, 1987, P. 60.

(٢٣) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦١٦ وانظر كذلك ما أورده المقريزي بهذا الصدد ، في جـ ٢ ص ٢٧٣ .

(٢٤) المقدس البشاري ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليمك ، ليدن ١٩٠٦

ـ ص ٩٢-٩٣ .

(٢٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، طبعة بيروت ١٩٥٧ ، جـ ٣ ، ص ٤٩٤ .

(٢٦) ابن الفقيه الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٣٠٢ ، ص ١١ ، المسعودي خروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق الاستاذ محمد محى الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٥٨ ، جـ ١ ص ١٤٩ . وعن مسقط وما اشتهرت به من ثروة سمكية ارجع الى ابن بطوطة ، الرحلة ، طبعة بيروت ١٩٦٠ ، ص ٦٤٨ .

(٢٧) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٢ ص ٤٣٥ ، سيدة كاشف ، عمان في فجر الاسلام ، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ١٩٧٩ ، ص ٣٢ حاشية ٢ .

(٢٨) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١٥٤ ، ولمزيد من التفاصيل عن دور عمان في تجارة الخليج العربي ارجع الى (شوقي عبدالقوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية ٤١-٩٠٤هـ/ ٦٦١-١٤٩٨م سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، يوليو ١٩٩٠ ، ص ١٧٦ وما يليها) .

(٢٩) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٤٢٢ .

(٣٠) كانت قيس تتأرجح بين السيادة الفارسية والعربية ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى قيس بن عمارة من آل عمارة المعروفين بآل الجلندى (فاروق

عمر فوزي ، انتشار العرب في أقاليم الخليج العربي الشرقية في العصور الاسلامية الأولى) ، بحث مقدم الى مؤتمر مكانة الخليج العربي في التاريخ الاسلامي الذي عقد في جامعة الامارات العربية المتحدة ، ١٩٨٨ ، ص ٦٦ ، وقد اطلق ياقوت الحموي عليها « فرضة الهند » (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ٢٩٥) . وعن انتقال مكانتها التجارية الى هرمز ارجع الى ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٢٧٣ .

(٣١) أسرف الجغرافيون العرب في الاشارة الى ذلك ، ومنهم ابن الفقيه الهمذاني ، وابن رسته والمسعودي . ويصف المسعودي بحر فارس والمحيط الهندي بقوله : « بحر فارس تكثر أمواجه ، ويلين بحر فارس ، وتقل أمواجه ، ويسهل ركوبه عند ارتجاج بحر الهند ، واضطراب أمواجه ، وظلمته وصعوبة مركبه ، فأول ما تبتدىء صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة ، وقرب الاستواء الخريفي ، ولايزال في كل يوم تكثر أمواجه الى أن تصير الشمس الى برج الحوت » . (المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص١٤٨) .

(٣٢) ابن خرداذبه، المسالك والممالك ، ص٦٤-٧٢ .

(٣٣) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١١-١٣ .

(٣٤) سلسلة التواريخ ، ص١٥-٢١ .

(٣٥) سرنديب أكبر جزر بحر هركند ، ثالث بحار المحيط الهندي ، وهي بأقصى بلاد الهند ، ويتوفر فيها الياقوت الأحمر والماس ، كما يجلب من شواطئها العنبر واللؤلؤ وبجبالها مناجم الذهب والفضة (ياقوت الحموي ،

معجم البلدان .
مادة سرنديب .
سلسلة التواريخ ، ص١٧٢-١٧٣ الحميري « محمد بن عبدالمنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق د. احسان عباس ، طبعة بيروت ١٩٨٤ ، ص٣١٣ » .

(٣٦) سلسلة التواريخ ، ص٩ ، ويسميها المسعودي جزر النجبالوس (المسعودي مروج الذهب ، جـ١ ، ص١٤٢) .

(٣٧) سلسلة التواريخ ، ص١٨ .

(٣٨) يعد الخليج العربي شعبة من بحر الهند العظيم أو المحيط الهندي كما نطلق عليه اليوم ، فهو يشتمل على ثلاثة بحار ، بحر فارس وبحر البحرين وبحر عمان ، ويتصل الخليج العربي شرقا ببحر لاروي أكبر بحار المحيط الهندي . ويطل على بحر لاروي بلاد صيمور وسوبارة وتابه وسندان وكنبايه وغيرها من السند والهند ، ثم بحر هركند الذي يفصله عن بحر لاروي عدة جزر تعرف بالدبيحات آخرها جزيرة سرنديب ، ليليها شرقا جزيرة الراين ثم جزر لنجبالوس ، ثم بحر كلاهبار في شبه جزيرة الملايو ويليه بحر شلاهط ، فبحر كردنج فبحر الصنف الذي ينتهي ببحر الصين أو بحر صنجي الملىء بالجزر (المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص١٤٩ .
السيد عبدالعزيز سالم ، التجارة البحرية في الخليج في صدر الاسلام ، بحث مقدم الى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ، بقطر ١٩٧٦ ، جـ١ ، ص٤٠٠) .

(٣٩) لمزيد من التفاصيل عن علاقة عمان بالهند وجزر جنوب شرق آسيا ، والصين ارجع الى شوقي عبدالقوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية ، ص٤٦، ٤٧، ٨٩ وما يليها .
ويذكر د . عبادة كحيله أن سرنديب تقابل سريلانكا الحالية ، وبحر هركند يقابل خليج البنغال وأن جزر لنجبالوس هي نيكوبار NICO BAR وشلاهط هي مالقة ، وبلاد الصنف هي مملكة تشابا CHAMPA الواقعة شرقي الصين الهندية وجزيرة الزابج هي سومطرة (عبادة كحلية ، العرب والبحر ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص٦٠ .

(٤٠) عبادة كحيله ، المرجع السابق ، ص٥٥ .

(٤١) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٧ .
وسفالة لفظة أصلها سامي تعني الأرض المنخفضة ، وسميت في المصادر العربية بسفالة الذهب لتوافر معدن الذهب في أرضها (السر سيد أحمد العراقي ، معالم الحضارة الاسلامية في ساحل شرق افريقيا في العصور الوسطى ، مجلة دراسات افريقية ، الخرطوم ، العدد الثاني ، ابريل ١٩٨٦ ، ص١٠٢ .

(٤٢) عبادة كحيله ، العرب والبحر ، ص٥٥ وما يليها .

(٤٣) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص٧٠-٧١ .

(٤٤) سلسلة التواريخ ، ص٢٩ ، ٣٠ ، ١٢٩ ، ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص٢٥١ .

(٤٥) سلسلة التواريخ ، ص٩٠ .

(٤٦) المسعودي ، مروج الذهب جـ١ ، ص١٥٤ ، وارجع الى سلسلة التواريخ ، ص١٧٢ ، ١٧٣ .

(٤٧) ابن خرداذبه ، المسالك الممالك ، ص٦٨ .

(٤٨) ابن خرداذبه ، المسالك الممالك ، ص٦٤ .

(٤٩) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٦ . وعن السلع الهندية في الأدب العربي ارجع الى القاضي أطهر مبار كبوري الهندي ، العرب والهند في عهد الرسالة ، ترجمة عبدالعزيز عزت عبدالجليل ، طبعة الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص٣١ وما يليها .

وعن علاقة عمان بغنضور والخط الملاحي بينهما ارجع الى شوقي عبدالقوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي الملحق السادس ، ليلة من الحكاية الثانية من حكايات السندباد ، ص٣١٦ ، ٣١٧ .

(٥٠) سلسلة التواريخ ، ص١٣١ ، ١٣٤ .

(٥١) فاروق عمر فوزي ، الخليج العربي في العصور الاسلامية ، دبي ، ١٩٨٣ ، ص٢٩٦ وما يليها .

(٥٢) سنوضح ما يثبت وجود علاقات تجارية وتلك المناطق الافريقية التي استوطنها العمانيون على الصفحات التالية .

(٥٣) الرانج ، تقابل بلاد الزنج الساحلية ، وهي مجموعة جزر كثيرة ، أرضها واسعة وأهلها شديدو السمرة (الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص٦٠) .

(٥٤) أهم السلع التي كان يصدرها التجار الكارمية العمانيون الى اهالي شرق افريقيا والشرق الأقصى تتمثل في اللؤلؤ العماني مستوي الجسد (الجاحظ البيان والتبيين ، طبعة بيروت ، جـ٢ ، ص١٧) .

ولؤلؤ البحـرين الذي كان يسمى باللؤلؤ القطري (ابن رسته « أبو علي أحمـد بن عمـر » ، الأعـلاق النفيسـة ، طبعـة مكتبة المثنى ، بغداد ، ص٨٧ ، السيد عبدالعزيز سالم ، التجارة البحرية في الخليج ، ص٤١٢) .

ولؤلؤ دهلك ، ومغاص الشرجة باليمن ، وكيش ، وأوال ، وخارك (ابن خرداذبـه ، المسالك والممالك ، ص٦٢ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٠١ ، السيد عبدالعزيز سالم ، المرجع السابق ، ص٤١٤) .
والعنبر المجلوب من شحر عمان ، والتمور العمانية ، واللبان والكندر من حضرموت ، والشب اليماني والورس اليمني ، والخيول العمانية ، والظفارية .

(عن التمور انظر ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص٣٠ ، ٢٥٣ ، وعن اللبان ارجع الى المقدسي ، احسن التقاسيم ص٨٧ ، وعن الورس ارجع الى ابن الفقيه ، المصدر السابق ، ص٣٦ ، وعن الخيول ارجع الى رحلة ابن بطوطة ، ص٣٢٨ ، ٢٥٩) .

(٥٥) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص٦١ .

(٥٦) المصدر السابق ، ص٦١ .

(٥٧) القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص٥٥ .

(٥٨) الشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي السمائلي ، ازالة الوعثاء عن أتباع ابي الشعثاء ، تحقيق وشرح د. سيدة اسماعيل كاشف ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص٥١ . أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، القاهرة ١٩٣٦ ، جـ٣ ، ص٣٣٦ .

(٥٩) سالم بن حمد بن سليمان الحارثي ، العقود الفضية في أصول الاباضية طبعة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ، ١٩٨٣ ، ص١٣٩ .
السمائلي ازالة الوعثاء ، ص٣٣ وما يليها .

(٦٠) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص٥٢ ، ٥٦ . وقد استمرت الرحلات التجارية العمانية الى شرق افريقيا طوال العصر الاسلامي . ومن أمثلة ذلك ما أورده د. شوقي عبدالقوي عثمان انه في حوالي عام ٥٤٥هـ أبحر العرب العمانيون ، والهنود ، والشيرازيون على طول الشاطىء الافريقي (شوقي عبدالقوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي ، ص٦٣) .

Richard W. Hull. Munya Kare, African Civilizution before the Batuuree, New York, 1971, P.66 .

وعن موعد الرحلة التجارية العمانية الى شرق افريقيا ومواسمها ومحطاتها ارجع الى شوقي عبدالقوي عثمان ، المرجع السابق ، ص٢٩٤ وما يليها ،

(٦١) لم تخضع عمان لنفوذ الامويين منذ قيام دولتهم الا لفترة قصيرة في عهد عبدالملك بن مروان ، ويعود الفضل في ذلك الى الحجاج بن يوسف الثقفي واليه على العراق وقد تسبب هجومه على عمان في هجرة سليمان وسعيد ولدي الجلندى واتباعهما من بلادهما الى شرق افريقيا ، حيث

استقروا جميعا حول منطقة ارخبيل لامو وفي جزيرة مافيا المواجهة لمصب نهر الروفيجي Rufiji أو جزيرة بتاء Pate في الشمال .

ويعتبر أبناء الصومال هذه الهجرة الاسلامية العمانية أكبر حدث تاريخي في شرق افريقيا ، كما يرون انها الدعوة الاسلامية الأولى المنظمة في الصومال (حمدي السيد سالم ، الصومال قديما وحديثا ، طبعة وزارة الاستعلامات بالصومال ، جـ١ ، ص٣٥١ ، عبادة كحيله ، العرب والبحر ، ص٥١ ، السر سيد أحمد العراقي ، معالم الحضارة الاسلامية في ساحل شرق افريقيا ، ص٨١ ، حسين علي المصري ، العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق ومنطقة الخليج العربي ، رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة الاسكندرية ١٩٨١ ، ص٤٨ ، فاروق عمر فوزي الخليج العربي في العصور الاسلامية ، ص١٢٤) .

(٦٢) هو خازم بن خزيمة النهشلي ، من صخر بن نهشل ، ويكنى ابا خزيمة ، ولي خراسان ، ثم ولي عمان ، وتوفي ببغداد .
(وعن علاقة ابن خزيمة السيئة بأبي العباس السفاح وقتله لأخوال الخليفة من بني الحارث بن كعب ارجع الى الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، طبعة لبنان ، جـ٩ ، ص١٤٩ .
عزالدين بن الاثير ، الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٦٥ ، المجلد الخامس ، ص٤٥ ، حسين المسيري ، العلاقات السياسية والاقتصادية ، ص٩٨-١٠٢) .

(٦٣) عن معركة جلفار سنة ١٣٤ هـ ارجع الى فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص١٧٩ وما يليها .

(٦٤) أطلق أهـل عمان على الامويين والعباسيين بالاضافة الى كل من يخالف شريعة الاسلام لقب « الجبابرة » (فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص١٢٧) .
وعن المذهب الاباضي ورفضه الخضوع لسلطان الجور ، ارجع الى سليمان محمـد الغنـام ، الوجود البرتغالي في عمان في المصادر المحلية البرتغالية ، بحث في كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الرياض ١٩٧٩ ، جـ٢ ، ص١١٦ .

(٦٥) كانت الدولة العباسية تخطط لفتوحات جديدة في الهند ووسط آسيا ، وكان هذا يحتم عليهـا أن تؤمن طرق مواصلاتها العسكرية عبر الخليج العربي فكـان لابـد لها لهذا السبب السياسي الى جانب الأسبـاب الاقتصـادية الأخـرى أن تسيطر على عمان (حسـين المسـيري ، المـرجـع السابق ، ص٩٧) خاصـة وان عمان كان لها دور هام في فتـوحـات الهند والسند والديبل ابان ولاية عثمان بن أبي العاص الثقفي عليها وعلى البحرين ، فقد أغار بسفنه العمانية على سواحل الهند عند تانه بالقرب من بومباي ، كما وجه أخاه المغيرة . . الى خور الديبل عند مصب نهر السند سنة ١٥هـ .
وفي العصر الأموي أمر الحجاج بن يوسف الثقفي قائد عمان أن يرد غارات القـراصنـة الهنـود (البـلاذري ، فتـوح البلدان ، تحقيق صلاح الـدين المنجـد ، جـ٣ ، ص٥٣٠ ، عبـادة كحيله ، العرب والبحر ، ص٤٩ وارجع كذلك الى) :

H.G. Raw Linson, India, London 1948

(٦٦) عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص٤٦ .

(٦٧) حميد بن محمد بن رزيق ، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، عمان ، ص٢٧-٣٧ .
وفي الامام وارث يقول ابن رزيق :

ووارث وارث علما وحلما امـام سعيه بالعدل طابا

وفي الامام غسان بن عبدالله يقول :

وغسان الهمام امام عدل بنار وعن أعاديه أذابا
وقد قطع البوارج عن عمان فما منهم لها بالشر آبا

الحارثي ، العقود الفضية في أصول الأباضية ، ١٩٨٣ ، ص٢٥٣ وما يليها .

حسين المسيري ، المرجع السابق ، ص١٠٣-١٠٧ .

فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٢٠١ وما يليها .

J.C. Wilkinson, Sources for the early History of Oman

بحث في كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية باللغة الانجليزية ، جـ٢ ، ص٨٩ وما يليها.(طبعة الرياض ١٩٧٩) .

(٦٨) فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٢١٦ . وكان الامام وارث بن كعب قد أبدى اهتمامه بالأساطيل ، ولكن اسطوله البحري الذي كان يتكون من ثلاثمائة مركب لقي هزيمة نكراء على يد سليمان الهامشي (فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٢٠٨) .

(٦٩) حميد بن محمد بن رزيق ، الشعاع الشائع ، ص٣٩ وما يليها ، فاروق عمر ، المرجع السابق ، ص٢٢٣ وما يليها .

(٧٠) الحارثي ، العقود الفضية ، ص٢٥٦ حميد بن محمد بن رزيق ، الشعاع الشائع ، ص٥٤-٥٥ .

حسين المسيري ، المرجع السابق ، ص١٠٧ .

فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٢٩٢-٣٢١ .

Wilkinson, Source for the early History of Oman, P 85 - 90

(٧١) فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٣٢٧ .

أما سمد فقد كانت مركزا اداريا تابعا لنزوى مقر الامامة الاباضية ، وقد وصف المقدسي سمد بقوله انها « منبر لنزوى » وتقع سمد على الجانب الايسر لوادي سمد في الحجر الشرقي ، وهي واحة تتوافر فيها المياه والمزارع . والشأن هي احدى التوابع لسمد واليها نسبت المعركة (المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٩٣) .

فاروق عمر ، الخليج العربي ، (ص٣٢٤) .

(٧٢) وعن القرامطة يقول جمال الدين عبدالله بن علي بن مقرب : -

سل القرامط من شظا جماجمهم ... فلقا وغادرهم بعد العلا خدما

من بعد ما اربح بالبحرين حالهم ... وارجعوا الشام بالغارات والحرما

ولم تزل خيلهم تغشى سنابكها ... أرض العراق وتغشى تارة أدما

وحرقوا عبد قيس في منازلهم ... وصيروا العز من ساداتها خدما

(ارجــع الى حميد بن رزيق ، الشعــاع الشـائـع ، ص٥٩ ، ٦٠ ومـا يليهما) . حسين المسيري ، المرجع السابق ، ص١١٣ .

(٧٣) المرجع السابق ، ص١١٣ وما يليها .

(٧٤) فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٣٣٤ .

(٧٥) وفي ذلك يقول ابن بطوطة عند زيارته لعمان « ثم ركبت البحر فوصلت الى مسقط وهي بلدة صغيرة بها السمك الكثير المعروف بقلب الماس ثم سافرنا الى مرسى القريات ، ثم سافرنا الى مرسى شبة ثم الى مرسى كلبة ولفظها على لفظ مؤنث الكلب ، ثم الى قلهات وقد تقدم ذكرها ، وهذه البلاد كلهـا من عمالـة هرمـز ، وهي محسـوبة من بلاد عمان » (ابن بطوطة ، الرحلة ، ص٦٤٨) .

ويختلف د. حسين المسيري مع د. فاروق عمر في سرد تفاصيل الاحداث التي أعقبت وفاة الامام الصلت بن مالك ، ربما لاضطراب تاريخ عمان في هذه الفترة وتشابك الأحداث ، خاصة اذا عرفنا أن المؤرخين العمانيين لم يهتموا بتدوين الأحداث التاريخية لذاتها ، وانما كانوا يعنون بسير الأئمة ، وما يتعلق بها ، وهذا في حد ذاته يفسر سر صعوبة تدوين تاريخ عمان . (سليمان الغنـام ، الـوجود البرتغالي ، ص١١٦ ، فاروق عمر فوزي ، التـاريخ المحـلي لاقليم عمان ، بحث في كتـاب مصـادر تاريخ الجزيرة العربية ، الرياض ١٩٧٩ ، ص١٠٥ وما يليها .

(٧٦) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٢٠ .
فاروق عمر ، الخليج العربي في العصور الاسلامية ، ص٢٩٦-٣٠١ .

شوقي عبـدالقوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي ، ص١٠٩ ويسوق لنا د. شوقي عبدالقوي خبرا طريفا ذكره ماركوبولو في رحلته ، وهو انه إذا نهب أحد القراصنة السفن الخاصة بأهالي سقطرى ، فإنهم وكانوا يؤمنون بالسحـر والشعـوذة ، كانوا يصنعون له ولسفنه سحرا بحيث لا يستطيع القـرصان مواصلة رحلته البحرية الا بعد أن يعوضهم عما حل بهم من أضرار ، حتى لو رزق ريحا مواتية ومساعدة له في طريقه فإن لأهل سقطرى القدرة على تغيير اتجاهها لاجبار القرصان على العودة الى الجزيرة .

(٧٧) فاروق عمـر فوزي ، الخليج العربي في العصور الاسلامية ، ص٢٩٣ وما يليها . وكان قد سبقتها في عمان في أواخر القرن الثاني للهجرة سيول جارفة مشابهة لها ، وهي التي غرق في احداها الامام وارث بن كعب الذي توفى غريقا سنة ١٩٢هـ ، وكان معه سبعون من أتباعه . (فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص ٢١٠).

(٧٨) عن ثورة الـزنـج ارجـع الى الـطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ١١ ، احداث سنة ٢٥٥ ، ص١٨٧ وما يليها .
المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٤ ، ص١٩٤ .
عبـدالـرحمن بن خلدون ، العـبر وديوان المبتـدأ والخـبر ، دار الكتـاب اللبناني ، جـ٥ ، ص٦٦٧ وما يليها .
ولمزيد من التفاصيل ارجع الى عبدالحميد عابدين ، القرماطيون ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١١ ، ١٩٦٣ ، ص١٦٧ وما يليها .
حسن محمـود وأحمـد الشريف ، العـالم الاسلامي في العصر العباسي ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص١٤٦-٣٥٢ ، حسين المسري ، المرجع السابق ، ص١٤٧-١٦٤ .

(٧٩) فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٢٦٣ .
ولمزيد من التفاصيل عن القرامطة ، (وهم بخلاف القرماطيين ، وهم جنس من الأفارقة قدموا من الصومال وعملوا في الزراعة وسبخ الأراضي بالعراق في عصر الدولة العباسية) ارجع الى محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني ، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، طبعة القاهرة ١٩٨٨ .
وارجع الى الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ١١ ، ص٣٣٧ وما يليها .
وارجع الى المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا نشر وتحقيق د. جمال الدين الشيال طبعة دار الفكر العربي ، مصر ١٩٤٨ ، ص٢٠٤ وما يليها .
عارف تامر ، القرامطة ، بيروت ١٩٧٩ .
وعن هجوم القرامطة على مكة ونقلهم الحجر الأسود الى عمان ارجع الى احمد عمر الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٨١ .

(٨٠) صاحب هذا الرأي هو د. فاروق عمر ، الخليج العربي ، ص٢٨٤ .

(٨١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٦٠٢ وما يليها ، راشد البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص٢٣٨-٢٤٢ .

(٨٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٤٤ .

(٨٣) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص٥٤ .

(٨٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص١١ .
وارجع الى ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مجلد ٤ مادة عدن ، ص٨٩ .

(٨٥) من هذه الـوثـائق رسـالة هامة أرسلها أحد التجار الى شريك له يعمل بالتجارة في احد موانىء الساحل الغربي لبلاد الهند ، ويخبر كاتب الخطاب شريكـه أنه قضى بضع سنوات في الهند قبل قدومه الى عدن سنة ٥٤٤ (لمزيد من التفـاصيل والأمثلة ارجـع الى حسنـين ربيع ، وثائق الجنيزة وأهميتها ، ص١٣٥ وما يليها ، عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٢٥ وما يليها . وارجع كذلك الى) :

Heyd, Histoire du Commerce du levant, V.I, P. 381 H

وعن وصف ماركوبولو لعدن ارجع الى :

Heyd, Op. Cit, P. 382

(٨٦) عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٢٥ .

ومن مظاهر اهتمام بني زربع (٤٦٨-٥٧٠هـ) بعدن أنهم أقاموا حولها أول سور لحمايتها . وقد أقام الايوبيون فيما بعد سورا ضخما آخر حولها ينفتح منـه ستـة أبـواب ، كما أقـاموا بها (دار الفرضة) ، وهي تشبه الديوان الجمركي ، كذلك أنشأوا العديد من المنازل والمخازن والأسواق مما أنعش أحـوالها انتعاشا كبيرا في عهد دولة بني أيوب (ولمزيد من التفاصيل عن الأيوبيين واصلاحاتهم في عدن ارجع الى محمد عبدالعال ، الأيوبيون في اليمن ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص٨٩ ، ١٩٥ ، فاروق عثمان أباظة ، عدن والسياسـة الـبريطانية في البحر الأحمر ، ١٩٧٦ ، ص٢٨ ، محمد جمال الـدين سرور ، دولـة بني قلاوون في مصر ، طبعـة دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص٣٢٨) .

(٨٧) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص١٥٦ ، ١٥٧ .

(٨٨) ابن المجاور ، تاريخ ابن المجاور ، نشر لوفجرن ، جـ ١ ، ص٥٠-٥٢ ، عطية القوصي ، المرجع السابق ، ص١٢٦ .

(٨٩) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص٢٣ .
الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص١٣٦ .
ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١١٤ .
القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٤ ، ص٢٥٨ .

(٩٠) أحمد عمر الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٧٤ .

(٩١) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٢٣ .

(٩٢) الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص١٣٩ .

(٩٣) الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٨٤ .

(٩٤) الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص١٣٦ .

(٩٥) الزيلعي ، المرجع السابق ، ص١٨٤ وما يليها .

(٩٦) المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٥٧ .

(٩٧) عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٢٨ .

(٩٨) ابن جبير ، الرحلة ، تحقيق وليم رايت ، ليدن ١٩٠٧ ، ص٦٧ ، ٦٨ ، حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص٦٠٢ .

(٩٩) المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٥٦ .

(١٠٠) ابن جبير، الرحلة ، ص٦٥ ، المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٥٦ .

(١٠١) الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٨٨ .

(١٠٢) المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص١٩٥ .

(١٠٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٣ ، ص٥٢٠ ، وكثيرا ما كان الأحباش يعترضون طريق السفن التجارية ، من ذلك على سبيل المثال هجومهم على سواحل جدة سنة ٨٣هـ مما دفع الخليفة الأموي الى ارسال سفنه للاستيلاء على جزر دهلك .

(١٠٤) عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٢٤ ، ١٢٥ ، أحمد عمر الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٨١ ، حسنين ربيع ، وثائق الجنيزة ، ص١٣٤ وما يليها .

Heyd, Op. Cit, P. 381

(١٠٥) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٠٦ ، ص٩٣ .

(١٠٦) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص١٠٨ ، ١٢٨ .

(١٠٧) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص١٠٧ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، جـ٢ ، ص٦ ، ٧ . وانظر بحث د. السيد عبدالعزيز سالم ، العمانيون سادة البحار الجنوبية في العصر الاسلامي ، بحث تحت الطبع .

(١٠٨) حكمت الصين خمس أسرات صينية فيما بين آخر سنة (٢٩٥هـ) ٩٠٧م ، عندما سقطت أسرة تانج وحتى سنة ٩٦٠م (٣٤٩هـ) ليبدأ عهد من الاستقرار خلال فترة حكم أسرة سانج الجديدة (٩٦٠-١٢٧٩م) (٣٤٩-٦٧٨هـ) .

(١٠٩) Yajima Hikoichi, Martime Activities of Gulf people and the Indian Ocean in the 11th and 12th Century, P. 56, 57.

بحث مقدم الى ندوة قطر ١٩٧٦ ، جـ٣ .

ويؤكد هذا المؤرخ الذي يعمل استاذا بجامعة طوكيو أن الخليج العربي استمر في تجارته المتفوقة طوال القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر الميلاديين (الخامس والسادس الهجريين) رغم ظهور الدولة الفاطمية ، ورغم الآراء التي تقول بانتقال مركز الثقل الى طريق البحر الأحمر ، ويعبر عن ذلك بقوله :

"Some scholars assert that with the decline of the Abbasid supermacy and the rise of the fatimids in Egypt in the latter part of the tenth century, the centre of Muslim maritime activities in the Indian Ocean shifted from the arabian Gulf to the red sea. But as mentioned above we should not neglect the importance of the continuation of trade and communication among the Arabian Gulf, East Africa and India even after some changes of political and economic conditions in the lands of the eastern caliphate."

(١١٠) Ibid, P. 58

ويؤكـد ياجيما هيكاوش أن اتساع معرفة أهل الصين وجغرافيهم بمدن الخليج العـربي وعـلى رأسـها عمان وكيش ومـزون في القـرنين الخامس والسادس الهجريين قد ساعد على مزيد من التعاملات التجارية مع دول الخليج .

"In the 11th and 12th Centuries, Chinese Geographical knowledge on the Gulf countries suddenly increased. Chinese people for the first time became acquainted with such place names as al Qatif, Mirbat (Zafar), Uman, Bahrayn..."

(١١١) نقولا زيادة ، الجزيرة العربية في أخبار المؤلفين الصينيين ، بحث في كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، جـ٢ ، ص٣٣ وما يليها .

(١١٢) السيد عبدالعزيز سالم ، التجارة البحرية في الخليج ، ص٤١٠ .

(١١) الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص١٥٦ ، ١٥٨ .

(١١٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٣ ، ص٢٤٣ ، جـ٥ ، ص٥٥ .

(١١٥) المصدر السابق ، جـ٥ ، ص٥٧ .

(١١٦) ابن عبدالحكم (عبدالرحمن بن عبدالله) ، فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ١٩٣٠ ، ص ١١٠ .
ابن دقـماق ، (ابـراهيم بن محمـد بن أيدمر) الانتصار بواسطة ، عقد

الأمصار ، طبعة بيروت ، القسم الأول ، ص٣ .
وعن شخصيات من الأزد في مصر ، ارجع الى جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، طبعة باب الخلق ، جـ١ ، ص٩٠ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٤ .
ولمزيد من التفاصيل ارجع الى سحر عبدالعزيز سالم ، القبائل اليمنية في الاسكندرية والبحيرة ، بحث مقدم الى ندوة العلاقات اليمنية/المصرية الذي نظمته منظمة الشعوب الآسيوية/الافريقية في فبراير ١٩٩٠ .

(١١٧) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص١٠٧ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص٥٥ .
(الهمداني) كتاب صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن عبدالله بلهيد النجدي ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص١١ .
السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الاسكندرية ١٩٧٣ ، ص١٤٠ .
حسين المسري ، العلاقات السياسية ، ص٤٠ .

(١١٨) ورد في بعض المصادر أن النبي ﷺ أرسل عمروبن العاص سنة (٦ هـ) الى جيفر وعبد ولدي الجلندى ، ملكي عمان لدعوتهما للاسلام ، وفي رأي آخر أنه أرسله بعد فتح مكة (ابن هشام ، السيرة النبوية طبعة ١٩٣٦ ، جـ٤ ، ص٢٥٤) .
ولمزيد من التفاصيل ارجع الى البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، قسم ١ ، ص٩٢ .
سالم بن حمد الحارثي ، العقود الفضية في أصول الاباضية ،

ص٨ ، ١٢ .
سيدة كاشف ، عمان في فجر الاسلام ، ص٢٠ وما يليها .
فاروق عمر فوزي ، الخليج العربي في العصور الاسلامية ، ص٤٠ .
أحمد الطوخي ، شرق الجزيرة العربية في العصور الوسطى في كتابات الرحالة المسلمين ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص١١ ، ١٢ .

(١١٩) من الدلائل على ثقة عمرو بن العاص بأهل عمان واطمئنانه اليهم ما ذكره الحارثي من أن عمرو بن العاص خرج بأهل عمان الى المدينة عند وفاة الرسول ﷺ فلما اجتمعوا بأبي بكر الصديق قام فيهم خطيبا فقال بعد أن حمد الله « معاشر أهل عمان انكم اسلمتم طوعا ، لم يطأ رسول الله ساحتكم نجف ولا حافر ، ولا جشمتموه باجشمة غيركم من العرب ولم ترجعوا معها بفرقة ولا تشتت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم ، ثم بعث اليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتموه اذ دعاكم على بعد داركم ، وأطعتموه اذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم ، فاي فضل أبرّ من فضلكم ، وأي فعلٍ أشرف من فعلكم » . . (الحارثي ، العقود الفضية ، ص١٢) .

(١٢٠) السمائلي ، ازالة الوعثاء ، ص٥١ .

(١٢١) الحارثي ، العقود الفضية ، ص١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٣ .

(١٢٢) الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص٦١ .

(١٢٣) مملكة كلوة ، تأسست عام ٣٤٦هـ ، عقب هجرة فارسية شيرازية الى ساحل شرق افريقيا برئاسة حسن بن علي وابنائه الستة . وكان حسن بن

علي أحد أبناء سلاطين شيراز ، وكانت امه افريقية الاصل . ولم تحدد المصادر السبب الرئيسي وراء هجرته ، وقد وصل في سبع سفن على ساحل القرن الافريقي . وامتدت هذه السلطنة من بمبا في الشمال الى سفالة في الجنوب . وكانت عاصمتها كلوة . ولاتزال آثار مسجد كلوة قائمة حتى الآن ، وسقطت آخر مدن هذه السلطنة في أيدي البرتغاليين سنة ١٥١٢ .

(لمزيد من التفاصيل ارجع الى حمدي السيد سالم ، الصومال ، جـ١ ، ص٣٥١ ، عبادة كحيله ، العرب والبحر ، ص٥٢ ، السر سيد أحمد العراقي ، معالم الحضارة الاسلامية في ساحل شرق افريقيا ، ص٨٣ ، سيد حامد حريز ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحيلية في شرق افريقيا ، دار الجيل بيروت ١٩٨٨ ، وقد قام بتلخيص الكتاب وعرضه الاستاذ عبدالرحمن احمد عثمان في مجلة دراسات افريقية ، العدد الخامس - اكتوبر ١٩٨٩ ، ص١٢٢ ، شوقي عبدالقوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي ، ص١٦٩ ، ١٧٣) .

(١٢٤) أسس مقديشيو وبراوة الاخوة السبعة المهاجرون من البحرين والذين كانوا ينتمون الى قبيلة « الحارث » وقد قدموا الى شرق افريقيا على ثلاثة سفن ومعهم الكثير من سكانها هربا من اضطهاد حاكم الاحساء . وقد كان هؤلاء المهاجرون على المذهب السني فاختلفوا مع من سبقوهم الى الهجرة الى القرن الافريقي من اليمنيين الزيدية الشيعة فاضطر الزيدية الى الانسحاب الى داخل البلاد مما ساعد على نشر الاسلام داخل اراضي القرن الافريقي . وقد امتد نفوذ المهاجرين من البحرين حتى جنوبي ممبة .

اما براوة التي أسسها هؤلاء المهاجرون فتعني بالصومالية (الفضاء المتسع) .

ومقديشيو كلمة مكونة من كلمتين (مقطعين) أحداهما عربية وهي مقعد والاخرى فارسية وهي شاه لي المكان المفضل للحاكم .

(لمزيد من التفاصيل ارجع الى حمدي السيد سالم ، الصومال جـ١ ، ص٣٥٨ ، الشريف عيدروس بن الشريف علي العيدروس ، بغية الآمال في تاريخ الصومال ، طبعة ١٩٥٥ ، ص٥٨-٦٤ ، ص٢٢١ ، ٢٢٩ .

وعن أثر هذه الهجرات في نشر الاسلام في شرق افريقيا ، ارجع الى محمد امين ، تطور العلاقات العربية الافريقية في العصور الوسطى ، فصل من كتاب العلاقات العربية الافريقية ، ١٩٧٧ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ص٤٨ ، عرض عبدالهادي العطا ، الاسلام في سواحل البحر الاحمر الغربية ، مقال بمجلة دراسات افريقية ، العدد الثالث ، ابريل ١٩٨٧ ، ص٤٨ ، جمال زكريا قاسم ، دولة (بوسعيد) في عمان وشرق افريقيا ، طبعة مكتبة القاهرة الحديثة ، ص١٢ ، ١٤) .

وعن ما لندى ومن بها من العمانيين ارجع الى (شوقي عبدالقوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية ، ص١٦٧) . وتقع مالندى الى الجنوب من مقديشيو (في تنزانيا الحالية) ، أهلها مسلمون ، ومنازلها ذات طابع مميز فهى مبنية من الحجر والكلس الابيض . وكان لها علاقات تجارية واسعة مع الهند ومصر وجميع جزر المحيط الهندي .

(١٢٥) الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص٥٠ .

(١٢٦) المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٩ .

(١٢٧) نفسه ، ص٤٤ .

(١٢٨) القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص٣٣١ .

(١٢٩) حدثت في مطلع القرن الرابع للهجرة هجرة عربية جديدة الى سواحل الصومال الحالي ، اختلطت بالعناصر العربية التي كانت قد نزلت هناك (سواء كانت تلك العناصر عمانية أو يمنية أوبحرانية) وكونت ما يعرف باسم « امارات الطراز الاسلامي » التي سميت بهذا الاسم لامتدادها على الشريط الساحلي بمثابة الطراز الفاصل بين البحر الاحمر والمناطق الداخلية في الحبشة . وقد تكونت هذه الامارات من سبعة ممالك أو قواعد أهمها اوفات أو (حبرت) التي ينتسب اليها الجبرتي امام المؤرخين في مصر في العصر الحديث ، ومن أهم مدنها زيلع . ومن امارات الطراز كذلك امارة هدية ، ودوارو ، وشرحا ، وداره وبالي وأرابيني . وكانت كل امارة بمثابة مملكة مستقلة لها ملك مستقل .
(لمزيد من التفاصيل ارجع الى القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص٣٢٥ وما يليها .
ابراهيم طرخان ، الاسلام والممالك الاسلامية في الحبشة ، بحث في المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثامن ، سنة ١٩٥٩ ، ص١-٦٨ .
حسن ابراهيم حسن ، انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ، ١٩٥٧ ، ص١١٥ وما يليها .

محمد عبدالعال ، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما ، ١٩٨٠ ، ص٤٣١ .
ت . تامرات ، القرن الافريقي ، السليمانيون في اثيوبيا ، ص٤٢٥ وما يليها .
سعيد عاشور ، بعض أضواء جديدة ، ص٢٨٣ وما يليها .
شوقي عبدالقوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي ، ص١٨٤) .

(١٣٠) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٤٤ .
الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص١٥٩ .
عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٠٤ وما يليها .
راشد البراوي ، الحياة الاقتصادية ، ص٢٣٤ ، ٢٣٥ .
حسنين ربيع ، وثائق الجنيزة وأهميتها ، ص١٣٥ وما يليها .
نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ، ص١٣٧ .

Heyd, Op. Cit, P. 379

Lewis (Bernard) Egypt and Syria, The Cambridge History of Islam, 1970, Vol. I, P. 223.

وقد اثيرت مناقشات وتساؤلات عديدة حول دور كارمية مصر وتجارها ، وما إذا كانوا قد اكتفوا بكمية التوابل التى حصلوا عليها عبر وسطاء تجاريين يتمثلون في كارمية عمان وعدن أم أنهم وصلوا بأنفسهم الى الصين نفسها .

ويرجح د . راشد البراوي أن يكون التجار المصريون قد وصلوا الى الصين

ويستند في ذلك على أن المصادر الصينية أوردت اسم القاهرة والفسطاط والاسكندرية (راشد الباوي ، المرجع السابق ، ص٢٤٠ .

نقولا زيادة ، (الجزيرة العربية في اخبار المؤلفين الصينيين جـ٢ ، ص٣٤) .

ولكن الثابت تاريخيا فيما نعتقد أن مصر كانت تحصل على تجارتها من الكارم عبر وسيط تجاري يتمثل في تجار عمان وأقطار الخليج العربي ، الذين كانوا يوصلون تجارتهم الى المصريين اما عن طريق عدن أو عن طريق موانىء ساحل شرق افريقيا .

(١٣١) ابن جبير ، الرحلة ، ص٦٧ .

القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٣ ، ص٤٦٤ .

حسنين ربيع ، وثائق الجنيزة ، ص١٣٧ .

احمد الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٨٠ .

(١٣٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٣ ، ص٤٦٤ ، ٤٦٥ .

(١٣٣) المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص ٣٠٠ .

وعن موعد ارتفاع مياه النيل في خليج الاسكندرية ، ارجع الى ابن مماتي ، كتاب قوانين الدواوين ، جمعه وحققه د. عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، ١٩٤٣ ، ص٢٥٧ .

السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، ١٩٨٢ ، ص٣٥٨ وما يليها .

(١٣٤) أحمد عمر الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٨٧ .
وكان هناك طريق بري يربط بين مكة ومصر بخلاف طريق البحر الاحمر (جدة ـ عيذاب ـ قومى ـ القاهرة) . وكان هذا الطريق البري يبدأ من مكة إلى أيلة ، ومن هناك يتجه الركب المصري الى صحراء سيناء مارا بنخل أو وادي سدر وعيون موسى ومنها الى القاهرة مرورا بعجرود وشيخ التكروري والحمرا (محمد أمين صالح ، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المهاجرة ، من أبحاث الاسبوع العلمي الثالث ١٠ـ١٥ مارس ١٩٧٩ بجامعة عين شمس ، ص١٥٩ ، ١٦٠) .

(١٣٥) الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص١٦٠ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ٥ ، ص٥٧ .

وربما كان هذا الطريق يلتقي بالطريق البري الذي كان يسلكه القادم من مصر في طريقه الى عمان .

(١٣٦) أحمد عمر الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص١٨٨ .

(١٣٧) القشتالي (أحمد بن ابراهيم بن يحيى الازدي) تحفة المغرب ببلاد المغرب ـ تحقيق د. فرناندو دي لاجرانخا ، مدريد ، ١٩٧٤ ، ص٢٢، ٢٣ .

(١٣٨) الادريسي ، نزهة المشتاق ، جـ١ ، ص١٥٩ .

(١٣٩) حسين مؤنس ، اثر ظهور الاسلام في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البحر الابيض المتوسط ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، مايو ، ١٩٥١ ، ص٥١١ .

(١٤٠) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٦١٥ وانظر أيضا :

Aziz Soryal Atiya, The Crusade in the later middle ages, London, 1938, P. 260, 261 - Al-Sayed Abdel Aziz Salem, Des Grecs aux ottomans grandeur, P. 60

Al Sayed Abdel Aziz Salem, D'Alexandrie à Almeria une famille Alexandrie, P. 60.

(١٤١) عاشت أسر بأكملها من تجار الكارم العراقيين في الاسكندرية في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، وطوال القرن السابع ، ومن أشهر هذه الاسر أسرة الكويك التكريتيين العراقيين ، وقد لمع أفراد هذه الأسرة كتجار للكارم ، كما عملوا بالادب والعلوم المختلفة الى جانب عملهم ككارمية ، وقام بعض أفراد هذه الأسرة بتأسيس مدارس ومنهم محمد بن الحسين بن محمود بن الكويك الذي ابتنى المدرسة الكبيرة بمصر وخصصها لتدريس الحديث.واوقف عليها الأوقاف ، (ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، طبعة القاهرة « دار الكتب الحديثة » ، جـ٤ ، ص٥٠ ، ترجمة ٣٦٧٠) . كما أنشأ عبداللطيف بن رشيد التكريتي دار الحديث بالاسكندرية لتدريس الفقه والحديث على المذهب الشافعي .

ومن الكارمية العراقيين بمصر أيضا رضى الدين ابراهيم بن البرهان عمر الواسطي التاجر ، الذي ولد بواسط سنة ٥٩٣هـ ، وعمل بتدريس الحديث في الاسكندرية الى جانب عمله بالتجارة (ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ، ١٣٥١ ،

جـ٦ ، ص٣١٤ .

السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص٤٧٨ .

ولمزيد من التفاصيل عن تجار الكارم العراقيين في مصر في أواخر القرن السادس الهجري والقرن السابع الهجري ارجع الى سحر عبدالعزيز سالم ، العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري ، بحث مقدم الى ندوة العلاقات العراقية/المصرية التي عقدت في القاهرة في فبراير ١٩٩٠ ، جـ١ ، ص٣١٣ ، ٣١٤) .

(١٤٢) لمزيد من التفاصيل ارجع الى راشد البراوي ، المرجع السابق ، ص٢١٥ ، ٢١٦ .

حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٦١١-٦١٦ .

عطية القوصي ، تجار مصر ، ص١٤٠ .

السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص٢٠٤ ، ٢٥٨ وما يليها .

(١٤٣) راشد البراوي ، المرجع السابق ، ص٢٢٢-٢٢٤ .

(١٤٤) عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٤٥-١٤٧ .

(١٤٥) السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص٢٥٨ .

Heyd, Histoire du Commerce, Vol. I, P. 388.

(١٤٦) راشد البراوي ، المرجع السابق ، ص٢٣٠-٢٣٢ .

وارجع الى كتاب الرحلة لابن جبير ، ص٣٩-٤٠ لمراجعة وصفه لديوان

الاسكندرية ، وارجع كذلك الى سعد زغلول عبدالحميد ، ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة في القرنين السادس والسابع الهجري ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، مجلد ٨ ، ديسمبر ١٩٥٤ ، ص١٠٨ ، ١٠٩ .

السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص٢٦٢ .

(١٤٧) Kruger, The Wars of Exchange, Speculum, 12, 1973, P. 57.

Goitein, Amediterranean Society, Vol. I, Berkelley, 1967, P. 61.

سحر السيد عبدالعزيز سالم ، مظاهر الحضارة في بطليوس الاسلامية ، رسالة دكتوراه ، الاسكندرية ١٩٨٧ ، جـ١ ، ص٤٤٩ .

(١٤٨) من أمثلة ذلك الطريق البحري المباشر الذي كان يربط بين الاسكندرية والمرية ، وقد عرفنا بوجود هذا الطريق الملاحي ، استنادا الى احدى وثائق الجنيزة التي تشير انه في عام ٥٢٥هـ (١١٣٠م) استغرقت الرحلة على شختورة من الاسكندرية الى المرية ٦٥ يوما .

Goitein, Studies in Islamic History and Institutions, leiden, 1966, P. 306.

(Pedro Martines Montavez, Islam Cristianidad, en la economia mediterranea de la baja edad media, XIII, congreso international de historia, Moscu, Agosto, 1970, P. 15)

(١٤٩) راجع في ترجمة الطرطوشي ، ابن بشكوال ، كتاب الصلة في تاريخ أئمة

الأندلس ، مجلد ٢ ، مدريد ١٨٨٣ ، ص٥١٨ .
الضبي (ابو جعفر أحمد) بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق كوديره مدريد ١٨٨٥ ، ص١٢٥-١٢٨ .
السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٢١٣ .
المقرى (أحمد بن محمد التلمساني) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، طبعة ١٩٤٩ ، جـ٢ ، ص٢٩٣ .
السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص٢٢٣ حاشية ٤ .
جمال الدين الشيال ، أعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص٥٠-١٠٠ .

Francisco Pons Boigues, En Sayo Bio-Bibliografico sabre los historiadores Y Gèografos aràbigo - espanoles, Madrid, 1898, P. 183.

(١٥٠) الضبي ، بغية الملتمس ، ص١٣٢ .

(١٥١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٢١٤ .

(١٥٢) المصدر السابق ، ص٢١٥ .

(١٥٣) نفسه ، جـ١ ، ص٢٣٥ .

(١٥٤) السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٢٣٦ .

(١٥٥) المصدر السابق ، ص٢٣٦ .

(١٥٦) المقريزي ، الخطط ، جـ٣ ، ص١٦٩ .

(١٥٧) من أمثلة هذه القصور ، القصر الشرقي الكبير ، والقصر الغربي الصغير ، وقصر القرافة ، ودار الملك ، ومنازل العز بالفسطاط والهودج بالروضة ، ومنظرة بركة الحبش ، وقبة الهواء ، وقصر الورد بالخاقانية بقليوب ، وقصر بني خليف في منطقة الرمل بظاهر الاسكندرية ، وقصر مكين الدولة بالاسكندرية .

(١٥٨) من الأمثلة الدالة على وفرة الكنوز والثروات أنه وجد عند « سيدة » أخت الخليفة المعز بعد وفاتها من الذهب العين ثلاثمائة صندوق وخمس ويبات فصوص ياقوت وغير ذلك من الأحجار الكريمة المتنوعة كما خلفت الاميرة « عبدة » بنت المعز التي توفيت سنة ٤٤٢هـ ثروة لا تحصى ، منها اردب من الزمرد ، كما وجد عند القائد جوهر الصقلي عند وفاته ستمائة ألف دينار ذهب وأربعة آلاف درهم فضة ، وأربع صناديق مملوءة باللؤلؤ ، وأربع صناديق ياقوت ، وألف قصبة زمرد ، وخمسة وسبعون ألف ثوب ديباج (لمزيد من التفاصيل ارجع الى عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٣٤ وما يليها) .

وارجع أيضا الى رواية المقريزي عن قصر مكين الدولة ابو طالب أحمد بن حديد وما كان يحتويه من نفائس ، (المقريزي ، الخطط ، جـ٣ ، ص٩٢، ٩٣) وراجع السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص٢١٤ وما يليها

Al Sayed Abdel Aziz Salem, Des Grecs aux ottomans, P. 60.

(١٥٩) عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص١٣٣ .

(١٦٠) المقريزي ، السلوك ، جـ١ ، ص٧٣-٧٤ .

صبحي لبيب ، المرجع السابق ، ص١١ .

(١٦١) عائشة بنت عبدالله باقاس ، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي (٥٦٧ـ٦٤٨هـ) منشورات نادي مكة الثقافي ، ١٩٨٠ ، ص١٩ .

(١٦٢) عن سياسة الفاطميين في اليمن والدعوة الاسماعيلية هناك ، وعلاقة التبعية والولاء التي ربطت الصليحيين بالخلافة الفاطمية ارجع الى حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٢٣٩ وما يليها ، محمد عبدالعال ، الايوبيون في اليمن ، ص٢٧ـ٦٧ ، جمال الدين سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص٢٤ وما يليها .

ومؤسس الدولة الصليحية باليمن هو علي بن محمد الصليحي ، ابن القاضي محمد الصليحي ، وكان شافعي المذهب في بادىء الأمر ، ثم ترك هذا المذهب الى المذهب الاسماعيلي الشيعي الذي لقنه له الداعي الاسماعيلي في اليمن سليمان بن عبدالله الزواحي . وقد خلف علي ، الزواحي في أمور الدعوة الاسماعيلية هناك . وقد اتخذ علي الصليحي من صنعاء عاصمة له . وقد عرف هذا الملك الصليحي بالعدل والتسامح ، والقدرة السياسية الفائقة فقد تمكن من توحيد لاد اليمن تحت قيادة واحدة وسلطان واحد .

على أن أمور اليمن قد عادت الى الاضطراب عقب وفاته سنة ٤٦٠هـ ، وقد حاول ولده وخليفته المكرم أحمد بسط نفوذه على البلاد والقضاء على العقبات والثورات التي واجهته ، ونجح في ذلك الى حد كبير ، ولكن مرض المكرم أحمد بالفالج أدى الى عجزه عن مباشرة أمور الحكم ففوض زوجته الملكة أروى أن تحكم البلاد ، بينما اعتكف هو عن الناس وقضى بقية حياته في حصن بعيد عن السياسة والحكم . وقد أوصى المكرم قبيل وفاته أن يتولى من بعده أمر الدولة والدعوة الاسماعيلية في اليمن ، أبو حمير

سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي .

ويبدو أن الملكة أروى كانت تسعى لجعل الملك في ابنها علي ، فكتمت نبأ وفاة زوجها ، وأرسلت الى الخليفة المستنصر تطلب تقليدا لولدها بحكم اليمن ، فأجابها المستنصر على طلبها وأصدر مرسوما بتقليد ولدها الذي لقب بعبدالمستنصر . ولكن الظروف حالت بين أروى وبين استمرار السلطة ، فقد توفي ولدها عبدالمستنصر ، فأصدر المستنصر بالله الفاطمي أمره بأن تتزوج السيدة أروى من أبي حمير سبأ لاستقرار الأمور في اليمن . (لمزيد من التفاصيل ارجع الى عصام الدين عبدالرؤوف ، اليمن في ظل الاسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول ، طبعة دار الفكر العربي ، ١٩٨٢ ، ص١٤٥-١٨٠) .

(١٦٣) السجلات المشار اليها في المتن هي رقم ٤ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٦٣ . (انظر السجلات المستنصرية ، تحقيق د. عبدالمنعم ماجد ، ١٩٥٤ ، ص٣٨-٤٢ ، ص١٦٧-١٦٩ ، ص١٧٦-١٧٩ ، ص١٩٠-١٩٣ ، ٢٠٣-٢٠٦) .

(١٦٤) عبدالمنعم ماجد ، سياسة الفاطميين في الخليج مستمدة من السجلات المستنصرية وثائق فاطمية معاصرة ، بحث مقدم الى ندوة قطر ١٩٧٦ عن تاريخ شرق الجزيرة العربية ، جـ١ ، ص٢٦٧ وما يليها .

(١٦٥) السجلات المستنصرية ، ص١٦٨ .

(١٦٦) المصدر السابق ، ص١٧٧ .

(١٦٧) نفسه ، ص١٩٣ .

(١٦٨) نفسه ، ص٢٠٥ .

(١٦٩) عبدالمنعم ماجد ، سياسة الفاطميين في الخليج ، ص٢٧٠ .

(١٧٠) السجلات المستنصرية ، ص١٤٢ .

(١٧١) نفس المصدر ، ص١٦٨ ، وانظر أيضا ص٢٠٥ .

(١٧٢) عطية القـوصي ، تجارة مصر ، ص١٠٠ ، عبـدالمنعم ماجد ، سياسة الفاطميين في الخليج ، ص٢٧٠ ،

(١٧٣) عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص٩٥ .

(١٧٤) المرجع السابق ، ص٩٥ .

(١٧٥) حسنين ربيع ، وثائق الجنيزة ، ص١٣٥ .

(١٧٦) المرجع السابق ، ص٣٦ .

(١٧٧) محمد عبدالعال ، الأيوبيون في اليمن ، ص٦٩-٩٥ .

(١٧٨) محمـد عبـدالعال ، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص٣٧٤ .

تعقيـــب

سعادة الشيخ عبدالقادر بن سالم الغساني

المستشار التربوي بوزارة التربية والتعليم

على بحث الدكتوره

سحر عبد العزيز سالم

مدرس التاريخ والحضارة الاسلامية بكلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

بعنـــوان

تجارة عمان في الكارم وصداها

(على سياسة مصر حتى طليعة القرن السابع الهجري)

تجارة عمان في الكارم وصداها
(على سياسة مصر حتى طليعة القرن السابع الهجري)

عند قراءتي للعنوان ، شدَ انتباهي كلمتان :

أولاهما كلمة « الكارم » ، وكنت أود لو استبدل بها الكلمة الشائعة والمتعارف عليها هي كلمة التوابل أو البهارات وكلمة الكارم يمكن أن تأتي في مطلع البحث حيث تفسر بأنها كلمة مرادفة للتوابل تستعمل من قبل بعض البلاد ، كما جاء في البحث هذا بالاضافة الى أنها ليست كلمة عربية .

والكلمة الثانية هي وصداها على سياسة مصر وهذا يعني أن لتجارة الكارم أثرا غير مباشر بالنسبة للعلاقات التجارية بين مصر وعمان .

ومن المسلم به أن لكل تجارة في الشرق صدى في الغرب والعكس صحيح خاصة إذا وصلت هذه التجارة أو السلعة الى تلك الأماكن ، ولكن المطلوب هنا أين تقع العلاقات المصرية التجارية بعمان ؟

(٢) **أثر اللبان وأهميته :**

لقد تناولت الدكتورة الباحثة بالحديث في الصفحة (٣) ذكر أهمية اللبان والبخور وبينت استعمالات اللبان واستخداماته في المساجد والمشاهد وفي الدور والقصور في العصر الفاطمي وتصديره إلى أوروبا ، ولكنها لم تتطرق بالحديث عن علاقة مصر بأرض اللبان وهي الجزء الجنوبي من سلطنة عمان ، وهذا ما سأتناوله بالحديث عند التعليق .

(٣) جوز الهند واستيراده من أرض الهند :

ذكـرت الباحثة في الصفحة (٦) أن العمانيين يستجلبون النارجيل (جوز الهند) من أرض الهند ولم تذكر أن هذه السلعة توجد في محافظة ظفار جنوب سلطنة عمان . ومن الجدير بالذكر أن جوز الهند زرع في ظفار منذ القرن الثاني للهجرة حيث قدم أحد ملوك الهند ويدعى (جيرمان برومال) قدم الى ظفار وغير اسمه الى (عبدالرحمن السامري) المليباري ، وتوفي في ظفار ولا يزال قبره مشهورا يزار ويقال انه هو الذي أحضر معه عددا من ثمر النـارجيل وغـرسه وانتشرت أشجاره فأصبحت بساتين يانعة وأثمارا نافعة للاستهلاك المحلي وللتصدير الخارجي .

(٤) مدينـة حاسـك :

ذكـرت الباحثة في الصفحة (٧) من الجزر المجاورة لساحل شرق افريقيا جزيرتا نجرتان ومرتان المواجهتان لحاسك باليمن ـ ان حاسمك عمانية وليست الجـزيرتـان مجاورتـين للسـاحل الافريقي . . وسأتناول ذلك في التعليق ان شاء الله تعالى .

(٥) التطورات التي لحقت بتجارة التوابل العمانية :

بعد أن أشادت الباحثة بدور عمان في الصفحة (٩) حيث قالت : فقد أصبح أبناء عمان يمتلكون زمام الملاحة في مياه الخليج العربي ويجوبون البحـار الى الهنـد والصين وافريقيا ويحتكرون تجارة التوابل في العالم طوال القرن الثاني الهجري ومعظم القرن الثالث ، ثم تقول : ولكن منذ الربع الأخير من القرن الثالث الهجري تعرضت تجارة التوابل العمانية في الخليج العـربي لظروف وعـوامـل سياسية ومذهبية وطبيعية غير مواتية أسفرت في

النهاية عن تراجع مكانة الخليج العربي التجارية . . الخ . وذكرت بعض العوامل .

ولكن الباحثة استدركت في صفحة (١٧) فقالت : ولكنني أرى أن عمان لم تفقد على الاطلاق مكانتها التجارية التي كانت تنعم بها منذ أقدم العصور رغم كل ما سبق أن أوضحناه من ظروف سياسية وطبيعية غير مواتية مرت بها .

ويعزز رأي الباحثة الأخير الاستاذ الدكتور/ عبدالرحمن العاني رئيس قسم التاريخ في جامعة بغداد الذي ذكر في بحثه المعنون باسم (دور العمانيين في الملاحة والتجارة الاسلامية حتى القرن الرابع الهجري) ، يذكر أن النشاط التجاري والارباح قد بلغت في القرن الرابع الهجري حدا عاليا فقد قال المقدسي (من أراد التجارة فعليه باليمن أو عمان أو مصر) (أحسن التقاسيم ص٣٥) وفي هذا لدليل على أن عمان لم تتأثر بما جرى في الخليج من ثورة الزنج والقرامطة بل هيمن العمانيون على التجارة مع أفريقيا والهند وجنوب شرق آسيا ويرجع ازدهار عمان التجاري الى كونها المركز الرئيسي للتجارة البحرية في بلاد الهند والشرق الأقصى وافريقيا والى السلع المهمة الثمينة التي بها .

(٦) **العلاقات المصرية العمانية :**

قالت الباحثة في الصفحة (١٩) ارتبطت مصر منذ القرن الرابع الهجري مع عمان بعلاقات تجارية مباشرة وأخرى غير مباشرة . . الخ ، ثم قالت في صفحة (٢٠) انني اعتقد ان العلاقات التاريخية المصرية العمانية ربما ترجع الى العقد الثالث من القرن الأول الهجري في أعقاب فتح

العرب لمصر .

وسيأتي الحديث في التعليق موضحا مدى هذه العلاقة الموغلة في القدم .

ايجابيات البحث

(٧) التـــوازن :

(أ) ـ لقـد وازنت الدكتوره الباحثة بين موضوعات البحث وعنوانه موازنة جديرة بكل تقدير مما يدل على ضلاعة وحنكة عالية في التدوين من حيث الكم والكيف والموضوعية العلمية .

(ب) ـ أحسنت وأجادت في تتبع رحلة التجارة البحرية (في المحيط الهندي) من البصرة مرورا بعمان الى الصين ذاكرة أهم المراكز التجارية البحرية على الخليج وعمان والهند وسيلان والصين . . الخ ، ثم عرجت على التجارة بين عمان وسواحل افريقيا الشرقية وذكرت المراكز المهمة على الجانبين بل وضحت دور التجار العمانيين في نشر الاسلام في كلا المنطقتين .

(ج) ـ المراجـع :

تعد المراجع التي أعتمدت عليها الباحثة من أهم المراجع التاريخية ، كما ركزت على كتب الرحلات واستفادت من كثافة المراجع الحديثة .



التعليـــق

إذا كان البحث ينحصر في الحديث عن تجارة الكارم وأثر هذه التجارة على مصر حتى القرن السابع الهجري ، فإن هناك حقيقة جديرة بالاهتمام ألا وهي العـلاقات بين عمان وجنوب الجزيرة العربية ، وبين بلاد حوض البحر الأبيض المتـوسط : مصر وسوريا وأوروبا منذ العصور القديمة والتي لم تتطرق الدكتورة اليها في ثنايا بحثها الاّ عرضا عندما قالت في الصفحة (٣) : فقد اهتموا ـ أي الفـاطميون ـ كذلـك بالبخور واللبان لأهمية استخدام هذه المواد . . الخ ، ثم أضافت كما كانت من أهم المواد المصدرة من مصر الى الغرب الأوروبي . . الخ وخصوصا أن اللبان كان القاسم المشترك خلال قرون طويلة موغلة في القدم بين البلاد المنتجة الأولى التي هي محافظة ظفار في سلطنة عمان وجنوب الجزيرة العربية التي تمر بها هذه التجارة وتجني من ورائها أرباحا طائلة وبين بلاد حوض البحر الابيض المتوسط المستهلك لهذه السلعة الثمينة . لذلك رأيت أن ألحق بالبحث معلومات موجزة عن اللبان والبلد الاشهر المنتج في الجزيرة العربية لهذه السلعة الثمينة .

تعتـبر محافظة ظفار الاقليم الجنوبي من سلطنة عمان التي اشتهرت بانتاج اللبـان الذي حاز على رواج منقطع النظير في العصور القديمة حتى ان بعض المؤرخين قال : كان اللبان يباع بوزنه ذهبا في اسواق أوروبا ، وقد استفادت الكثير من الممالك القديمة في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية التي تمر بها القوافل من الأرباح والضرائب التي جعلت هذه الممالك في عداد الأثرياء . . ومن هذه الممالك القديمة (حضرموت ـ سبأ ـ قطبان أو قتبان ـ معين) حتى تصل الى بلاد الشـام حيث ينقـل على ظهـر السفن الى أوروبـا ، لم يذكـر كثير من المؤرخين

ـ وبالاخص العرب ـ الاهمية التجارية التي لعبتها ظفار خلال العصور القديمة مع بلاد الشـام في عهد النبي سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد ومع مصر خلال العهد الفرعوني وخاصة أن سلعة اللبان والبخور والمر تنتجها ظفار من عهود غابرة كانت سلعا رائجة لكونها تستخدم في تبخير المعابد وأماكن العبادة والبيوت الى وقت قريب .

لقـد أسهمت ظفـار والجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية في التجارة القـديمـة ، وقد ذكر محمد بن يحيى الحداد في تاريخ اليمن السياسي أن قدماء المصريين وقـدمـاء سكـان بلاد الرافدين (العراق) كانوا على معرفة تامة بسكان العربية الجنوبية إذ كان هؤلاء العرب همزة وصل بين افريقيا والهند من ناحية ، والعراق وسورية ومصر من ناحية أخرى وذلك في نقل تجارة كل فريق الى آخر ونقل منتجات حضرموت (ظفار وعمان) من البخور الذي كان مادة أساسية للعبادة في جميع الـديانـات القـديمة وكان لعرب الجنوب بسبب نشاطهم التجاري أنظمة اقتصادية اتصلت بالتجارة العالمية وأثرت فيها .

يقول الدكتور/ جواد علي في كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » .

يعـد مينـاء (سمهرم) المعروف بخور (روري) وهو في ظفار عمان من الموانىء المعروفة التي كانت في القرن الأول للميلاد ، وقد عثرت البعثة الامريكية لدراسة الانسان (عام ١٩٥٢) على بقايا خزف تبين لها من فحصه أنه مستورد من موانىء البحر الابيض المتوسط في القرن الأول للميلاد ووجوده في هذا المكان يشير بالطبع الى الاتصال التجاري الذي كان بين العربية الجنوبية وسكان بلاد البحر الابيض المتوسط في ذلك العهد (الجزء ٢ ص ١٦٥) .

وكتب بلينيوس عن ثروة العرب وتجارتهم لنرى ما كان ماثلا في مخيلة الرومان

واليونان عن العرب . قال ومن الغرابة ان نقول أن نصف هذه القبائل التي تفوق الحصر يشتغل بالتجارة أو يعيش على النهب وقطع الطريق والعرب أغنى أمم العالم طرا لتدفق الثروة من روما وباراتيا اليهم وتكدسها بين أيديهم فهم يبيعون ما يحصلون عليه من البحر ومن غاباتهم ولا يشترون شيئا مقابل ذلك (الجزء السابع ص ٢٣٥) .

وقد وصف بليني شعب جنوب الجزيرة العربية بأنه أغنى عنصر بشري عرف عبر التاريخ وحتى القرن الأخير قبل الميلاد .

وقد عزا بليني هذا الثراء الخيالي الى تجارة اللبان التي كانت رائجة آنذاك مع الامبراطوريتين الرومانية والفارسية (كتاب ظفار أرض اللبان ص ٤٣) .

وقد دلت الاكتشافات الاثرية التي أجرتها البعثة الامريكية في حصن (خور روري) ـ الموقعَ الاشهر لتصدير اللبان ـ أن ظفار كان يطلق عليها في الزمن القديم (أوفير) كما عثر على نقش بالخط المسند يبين أهمية منطقة (سمهرم) التي يقول العالم الاثري فيلبس انها تزامنت مع مملكة حمير في القرن الأول قبل الميلاد .

لقد كانت ظفار مسرحا لتجارة رائجة قبل التاريخ الذي ذكرته البعثة الامريكية بكثير حيث ذكرت بعض المصادر القديمة أن النبي سليمان عليه السلام كان يرسل اسطوله في البحر الأحمر إلى (أوفير) لجلب البخور واللبان والفضة والذهب وأن العلاقة بين مملكة سليمان و (أوفير) كانت علاقة صداقة .

كما روى بعض المستشرقين المهتمين بالتاريخ القديم أن سفينة النبي سليمان عليه السلام رست في بحيرة ميناء (سمهرم) وأخذت الجرار المملوءة باللبان تتدحرج من أعلى الجبل فتستقر في السفينة التي أبحرت باللبان من (أوفير) .

ويحدثنا صاحب كتاب (الطواف حول البحر الارتيري) أن الرومان عقدوا معاهدة تحالف مع ملك ظفار ، ويضيف جواد علي : وتدل هذه الاشارة الغامضة على وجود صلات بين الرومان وبين رئيس حمير في هذا العهد (الجزء ٢ ص ٦٠) .

علما بأن ظفار تنتج أفضل أنواع اللبان وأكثرها تنوعا ، كما سجل المؤرخون المستشرقون أن أقدم طريق بري عرف عبر التاريخ هو طريق اللبان الذي يبدأ منطلقا من مناطق الشحن في ظفار برية عن طريق القوافل التي كانت تتألف من الحمير والبغال قبل تدجين الجمل في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، وبحرية عن طريق القوارب والسفن ، هذا بالاضافة الى أن أشجار اللبان تغطي مساحة شاسعة من محافظة ظفار التي تقدر مساحتها بثلث مساحة سلطنة عمان .

حاسك العمانية : ـ

لم تخطىء الباحثة ، ولكن الخطأ عن المنقول عنه ـ يقول الشاعر :

« وما آفة الاخبار الا رواتها »

« ويأتيك بالاخبار من لم تزود »

ان الجزيرتين اللتين ذكرهما الادريسي لا يجاوران الساحل الافريقي ، وانما هما تجاوران الساحل العماني في البحر العربي وتقابلان بلدة حاسك التي تبعد عنهما بحوالي ٥٠ ميلا بحريا على الساحل العماني وهذه الجزر هي ثلاث كبراهن مسكونة تتمتع بكافة الخدمات التي تتمتع بها مدن السلطنة أما الاخريان فغير آهلتين تسمى هذه الجزر قديما بالحلانيات ثم أطلق عليها في فترة من الفترات جزر كوريا موريا ولكن الآن أعيد اليها تسميتها الأولى (الحلانيات) .

وحاسك من الموانىء الشهيرة بظفار بتصدير اللبان حيث ان الجبال التي بالقرب منها يوجد بها كثافة كبيرة من أشجار اللبان .

وإذا كان الكثير من المؤرخين قد وقع في هذه الاشكالية ، فإن الاستاذ/ محمد عبدالقادر بامطرق قد ميز بين كل من عمان واليمن وذلك أثناء رده على الهمداني في كتابه المسمى (الجامع) .

علاقة الجنوب العربي ببلاد الشام ومصر القديمة :

لقد عزز القرآن الكريم ، وهو الكتاب الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، عزز التاريخ بالحديث عن علاقة دولة سبأ ببلاد فلسطين ومملكة سليمان عليه السلام في سورة (سبأ) حيث قص الله تعالى العلاقات القوية التي كانت بين سبأ (بلقيس) مع النبي سليمان بن داود عليه السلام ، وإذا كانت مملكة سبأ قد امتدت حتى تخوم ظفار من جنوب عمان ، فإن ذلك يعكس مدى الارتباط الاقتصادي والتجاري بين بلاد الشام ومصر مع مملكة الجنوب وعمان وأكبر دليل على ذلك أن ملكة سبأ قدمت هدايا للنبي سليمان عليه السلام وكان من ضمن الهدايا المر واللبان ، كما ورد في انجيل متى (٢-١١) .

وكان قدماء المصريين يستخدمون اللبان في تحنيط موتاهم حيث أوضح المؤرخ برستيد في كتابه أن المر والبخور قد استخدما في تحنيط الموتى وخاصة في السلالة الأولى ، وقد وجدت كرات كبيرة من البخور في مقبرة توت عنخ آمون .

ومما يبرهن على العلاقة الوثيقة والاتصال المباشر بين جنوب عمان ومصر القديمة ما جاء في كتاب (عمان تاريخ يتكلم) حيث يقول :

نأتي الآن الى ذكر (آمون) وهو معبود كان لقدماء المصريين في مدينة طيبة على الاخص ، ويستطرد في الحديث فيقول كانت منطقة عمان الجنوبية وحضرموت موطنا لشجرة اللبان المقدسة ، وكان اللبان يستعمل ليحرق أمام الآلهة في هياكل روما وأثينا وطيبة والصين ، وكان التجار المصريون يسيرون في البحر الأحمر حتى باب المندب ثم يقابلون بعض التجار من الشعوب الاخرى ويشترون منهم اللبان المقدس وأحيانا كان يستمر التجار المصريون في رحلتهم فيصلون الى أرض اللبان ومن هنا لم يحملوا معهم اللبان فقط بل حملوا معهم عبادة الاله الذي يعبده شعب اللبان ، كما نقلوا اسمه وطرأ تطور بسيط فأصبح (آمون) ص ٥٥ .

كما ذكر نفس المصدر مدللا على قوة العلاقة بين الافريقيين والفينيقيين ما اكتشفه العالم الاثرى (كارل موش) عام ١٨٧١م حيث تمكن من اكتشاف معبد غريب الشكل في شمال روديسيا يشبه الى حد كبير المعابد الفنيقية في (أوفير) أي ظفار الواقعة بين خليج الحلانيات وخليج القمر ص ٦٠ .

وقد امتدحت الملكة حتشبسوت مدنية الشعب الذي يقطن أرض اللبان ، كما ورد في بعض النقوش الفرعونية أن الملكة حتشبسوت قد أرسلت سفنا الى بلاد (بُنت) وجلبت لها كميات وفيرة من اللبان والبخور اللذين يستخدمان في المعابد ، كما حاولت هذه الملكة أن تزرع شجرة اللبان في مصر نظرا لاهمية هذه الشجرة ومنتجها ، الا أن هذه الشجرة لم تنم لأن طقس مصر غير ملائم لانباتها .

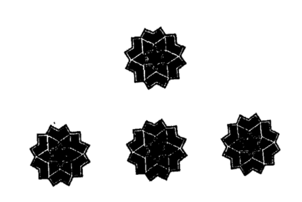
ورغم أن المؤرخين يختلفون حول مسمى (بُنت) الا أن المر واللبان

والبخور هي من منتجات محافظة ظفار ـ الجزء الجنوبي من عمان .

وما أود أن ألفت النظر اليه قبل أن أختم تعليقي هو ما يورده الكثير من المؤرخين لحياة الشعوب القديمة أن السلع المشهورة في مجال تجارتهم كانت اللبان والبخور والمر ، وفي اعتقادي أن اللبان هو نفس البخور لأن مادة اللبان ذات رائحة عطرة نفاذة وتصنع حديثا في أفخر أنواع العطور . . طبعا هذه قناعتي الخاصة ، ولعل أحد المولعين بالتاريخ القديم أن يكون عوني الى ذلك .

وشكرا على اصغائكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .



دور مصر وعمان الحضاري في افريقيا

بحث من اعداد

أ. دكتور شوقي عطا الله الجمل

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر بمعهد البحوث
والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة

النقاط التي تناولها البحث :

أولا ـ علاقة عمان بشرق افريقيا وتطورها

١ ـ هجرة العمانيين واستقرارهم في شرقي افريقيا .
٢ ـ الاسلام يدعو لمزيد من الهجرة لشرق افريقيا .
٣ ـ الأسرة النبهانية ودورها في شرق افريقيا .
٤ ـ الصراع بين البرتغال والعمانيين .
٥ ـ أسرة اليعاربة تتصدى للبرتغاليين .
٦ ـ ظهور انجلترا كقوة بحرية في الخليج والمحيط الهندي .

ثانيا ـ مصر وعلاقاتها بافريقيا

١ ـ علاقات مصر الفرعونية بافريقيا :
(علاقـاتها ببلاد النوبة ـ الصومال (بلاد بونت) علاقاتها بشعوب شرق القارة وغربها) .

٢ ـ انتقال المسيحية والاسلام من مصر لمناطق متعددة في القارة .

٣ ـ دور مصر في مساندة نضال شعوب القارة ضد الاستعمار .

ثالثا ـ النتائج الحضارية للعلاقات العمانية والمصرية بالافارقة

١ ـ النواحي الثقافية :

(انتشار اللغة العربية وثقافتها ـ الناحية الفنية) .

٢ ـ آثـــار دينيـــــة :

(انتشار الاسلام ومبادئه ـ الطرق الصوفية ـ الحركات الاصلاحية ـ الأزهر ودوره الحضاري في افريقيا) .

٣ ـ آثـــار اجتماعيـــة :

(تعديل السلوك في المجتمعات الافريقية ـ تغيير المعتقدات والمفاهيم) .

٤ ـ آثـــار اقتصـــادية :

(التجارة وأثرها ـ ازدهار الصناعات القديمة وقيام صناعات جديدة) .

٥ ـ آثـــار سـياسـية :

(قيام امارات عربية بشرق افريقيا ـ وممالك وامبراطوريات بغربها) .

مقدمة

كان لعمان ، كما كان لمصر دور بارز ومؤثر في القارة الافريقية وشعوبها ، وإذا كان دور عمان يظهر على وجه الخصوص في شرق القارة والأقاليم الداخلية الواقعة خلف الساحل الشرقي ـ فإن دور مصر يبرز على وجه الخصوص في الأقاليم المطلة على الساحل الشمالي للقارة وكذلك في غربها بالاضافة إلى أقاليم وشعوب حوض النيل ، وقد ترك العمانيون بصماتهم قوية على الشعوب الافريقية التي احتكوا بها بشرق القارة وما جاورها . كما ان مصر بحضارتها القديمة وبحضارتها الاسلامية بل وفي العصر الحديث اثرت في الشعوب التي احتكت بها في هذه القارة الافريقية .

وفي هذا البحث محاولة لالقاء الضوء على أثر كل من عمان ومصر الحضاري على القارة الافريقية وسكانها .

أولا ـ علاقة عمان بشرق افريقيا وتطورها

١ ـ هجرة العمانيين واستقرارهم في شرقي افريقيا .

٢ ـ الاسلام يدعو لمزيد من الهجرة لشرق افريقيا .

٣ ـ الأسرة النبهانية ودورها في شرق افريقيا .

٤ ـ الصراع بين البرتغال والعمانيين .

٥ ـ أسرة اليعاربة تتصدى للبرتغاليين .

٦ ـ ظهور انجلترا كقوة بحرية في الخليج والمحيط الهندي .

١ ـ هجرات العمانيين واستقرارهم في شرق افريقيا :

لا نستطيع أن نحدد تاريخا معينا لبداية الاتصالات العمانية الافريقية فمنذ أقدم العصور جاء العمانيون للساحل الشرقي لافريقيا المواجه لشبه الجزيرة العربية وكان لهم تبادل تجاري مع السكان الافارقة ، واستقر بعض التجار العمانيين في هذه المنطقة الافريقية وكونوا امارات عربية نمت وازدهرت بالتدريج ، وقد شهد بعظمتها وتحضرها كل من زارها بعد ذلك من الرحالة العرب والأجانب على السواء ، وكانت هذه المهاجر العمانية على الساحل الافريقي الشرقي مصدر اشعاع حضاري اثر في المناطق الافريقية المجاورة كما سنذكر بل ان آثارها امتدت للداخل ووصلت الى مناطق في قلب القارة الافريقية .

ولا نحتاج لتفسير لهذا الامتداد العربي للساحل الافريقي المقابل .

فموقع عمان على خليج عمان والبحر العربي بشريط ساحلي يمتد ١٧٠٠ كم على المحيط الهندي جعل الخروج للبحر أمرا طبيعيا .[١]

ونشأة العمانيين في بيئة بحرية مثالية في الركن الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية جعل العمانيين يتسللون الى شرق افريقيا في مجموعات كانت صغيرة في البداية ثم ازدادت الأعداد بعد ذلك بمضي الوقت ، وانتشر العمانيون في المبدأ في بعض الجزر الساحلية ثم أخذوا يتوغلون في الداخل .

هذا وقد اشتهر العمانيون بالشجاعة وشدة البأس وحب المخاطرة ، ورغم أن شعب عمان خليط من عدة قبائل عربية لكن الأصل الغالب يتفرع من قبيلة

(١) أحمد حمود العمري : عمان وشرق افريقية (١٩٧١) ص ٥ .

أزد (أسد) ولعل التسمية ترتبط بما اتصفوا به من شجاعة والنزعة الاستقلالية ، ومعظم المراجع العربية تشير الى قبائل الأزد .[٢]

كذلك عرف عن العمانيين مهارتهم البحرية فقد تفوقوا في بناء السفن وكانوا يبحرون الى زنجبار وغيرها من الجزر المجاورة ، يقطعون جذوع الأشجار ويصنعون الحبال من الياف شجر جوز الهند ، ومن لحاء هذه الأشجار ويلصقون ألواح الخشب بعضها بجانب بعض ثم يعدون حبالا لربط المجاديف التي تساعدهم على الابحار وبعد أن تصبح السفينة صالحة للابحار يحملونها بجوز الهند ثم يعودون الى وطنهم لتسويقها .[٣]

والحقيقة ان اتجاه العمانيين الى شرق افريقيا ، ومد نشاطهم وتجارتهم ونقل حضارتهم الى سكان سواحل افريقيا الشرقية كان امرا طبيعيا ومنطقيا فسكان الساحل الشرقي الافريقي هم ـ كما عبر عنهم كوبلاند ـ الجيران القريبون الذين يلتقي بهم العمانيون عند خروجهم مباشرة من بلادهم (Next Door Neighbours) .[٤]

وبالاضافة إلى عامل الجوار هناك عامل جغرافي مناخي آخر ساهم في هذا الوقت المبكر بالذات في قيام هذه العلاقات بين العمانيين القاطنين بالجزيرة العربية وبين سكان السواحل الشرقية لافريقيا ، ففي ديسمبر تهب الرياح الموسمية من الشمال والشمال الشرقي ويستمر هبوبها بانتظام حتى نهاية فبراير ومن ابريل الى سبتمبر تنعكس المسألة فتهب رياح شديدة من الجنوب الغربي ، ولما كان الشاطىء

---

(٢) جاء ذكرهم في كتاب الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ـ انظر : سعد زغلول عبدالحميد (دكتور) : تاريخ العرب قبل الاسلام (بيروت ١٩٧٥) ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٣) Coupland, R. : East Africa and Its Invaders (London 1938) P. 20

(٤) Ibid P. 155

الغربي للمحيط الهندي يتبع خطا مستقيما تقريبا متجها من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ، ومن زنجبار الى مدخل خليج عدن فقد أصبح التجار الذين يبدأون رحلتهم في سفنهم الشراعية من الشاطىء الغربي في الشتاء يستعينون بقوة الرياح الذاتية في سفرهم جنوبا صوب الساحل الافريقي ، أما في أثناء عودتهم لأوطانهم في الربيع ـ بعد أن يكونوا قد قضوا بضعة شهور في التجارة ـ فانهم يجدون أيضا الرياح مواتية للاتجاه صوب الوطن الاصلي ، وبمضي الزمن أصبحت للتجار العرب والبحارة العرب خبرة تامة بمواقيت الرياح واتجاهاتها ، وأصبحت رحلاتهم من شبه الجزيرة الى الساحل الافريقي ، ومدة استقرارهم بهذا الساحل تنظم تنظيما دقيقا حسب مواسم الرياح المنتظمة المعروفة لهم .[٥]

ولاشك في أن من أسباب نجاح واستمرار العلاقات التجارية بين عمان وشرق افريقيا ما اشتهرت به منطقة عمان من منتجات ، فقد كانت منطقة ظفار ـ المنطقة الجنوبية من عمان ـ حتى نهاية الالف عام الأولى قبل الميلاد من أهم المناطق التي اشتهرت بانتاج البخور ، واللبان الذي كانت له قيمة عالية في العصور القديمة كعقار ودواء ذي رائحة عطرية بالاضافة الى بعض الصخور كالديوريت والمرمر هذا بالأضافة الى ان عمان تمثل ركنا خصبا في الجزيرة العربية ، كما ان العمانيين نشطوا من قديم الزمان في استغلال البحر والغوص في غماره واستغلال ثروته ، وكل ذلك وفر للعمانيين ثروة تجارية هامة ومطلوبة يبادلونها مع جيرانهم على الشاطىء الافريقي المقابل لهم .[٦]

فقد أدى توافد العرب من جنوب الجزيرة العربية ، ومنطقة الخليج العربي

(٥) محمد صفي (دكتور) : افريقيا بين الدول الاوروبية (القاهرة ١٩٥٩) ص ٧٠ .
(٦) أحمد حمود العمري : مرجع سابق ص ٦ ، ٧ .

(العمانيون ، والحضارمة ـ على وجه الخصوص) الى اختلاطهم بالوطنيين وقيام عدد من المراكز التجارية العربية في كلوه ، وزنجبار ، وممباسا ، وبمبا ، واتوندو .[٧]

وقد استمر النشاط التجاري للعمانيين مع الساحل الافريقي الشرقي ، وتوغل العمانيون من المراكز التي استقروا فيها بشرق القارة الى الداخل وكانت لذلك آثاره السياسية والحضارية القوية في هذه المناطق الهامة من القارة الافريقية ومن يدرس التاريخ السياسي والحضاري للدول التي قامت بشرق القارة يلمس بوضوح آثار هذا الاحتكاك العربي الافريقي .[٨]

على أننا نشير الى أن المحيط الهندي لم يكن الطريق الوحيد الذي اتخذه العمانيون الى القارة الافريقية فمن الثابت انه في القرنين السابقين للميلاد عبر عدد كبير منهم البحر الأحمر واستقر عدد منهم في الحبشة .

٢ ـ الاسلام يدعو لمزيد من الهجرة لشرق القارة :

في فجر الاسلام أمر النبي ـ ﷺ ـ أتباعه بالهجرة إلى الحبشة ، ولا شك في أن ذلك يدل بوضوح على أنه كانت هناك علاقات بين العرب والحبشة قبل الاسلام وكانت هذه البلاد معروفة للعرب ، وكانت عمان من أولى الدول التي اعتنقت الاسلام في عهد النبي محمد عليه الصلاة والسلام .[٩]

وقد زادت هجرة العرب الى افريقيا بعد انتشار الاسلام ، فقد وجدت

(٧) يوسف فضل حسن (دكتور) : الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية (بحث مقدم للندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية نشرت في ١٩٨٤) ص ٣٢ .

(٨) Mac Michael : A History of the Arabs in the Sudan (Cambridge 1922) P. 4

(٩) مصطفى مسعد (دكتور) : الاسلام والنوبة في العصور الوسطى (١٩٥٦) .

دوافع جديدة دفعت العرب للهجرة الى افريقيا ، منها الرغبة في نشر الدين الجديد بمبادئه واتجاهاته ، ولا شك في أن احتكاك الافارقة بالعرب المسلمين أدى لنتائج عميقة لم يقتصر الامر على التجارة أو المعاملات المادية بل لقد كان لاسلوب التعامل وما حمله العرب المسلمون معهم من مبادىء يدعو اليها وينادي بها الدين الجديد أعمق الأثر في الافارقة .(١٠)

فقد كان التجار العمانيون طليعة الذين نشروا الاسلام ومبادئه في البلاد التي تاجروا معها من الصين شرقا الى الساحل الافريقي فقد سيطروا على طرق التجارة الى شرق افريقيا والهند وما جاورها وبرزت في هذا المجال شخصيات عربية اشتهرت بالجرأة في اقتحام المخاطر في هذا الوقت المبكر .(١١)

وكانت صحار العاصمة العمانية ـ آنئذ ـ من أهم الموانىء التجارية على المحيط الهندي وقد اشتهر العمانيون بدورهم الواضح في نشر الاسلام خارج شبه الجزيرة العربية .

وقد كان للعمانيين أسطول بحري له شهرته ، يربط بين العمانيين في الوطن الأم وبين المهاجر العمانية على ساحل افريقيا الشرقي الذي أطلق عليه اسم (ساحل الزنج) .

وقد أدت الأحداث السياسية في الجزيرة العربية إلى مزيد من الهجرات العربية إلى ساحل افريقيا الشرقي ، فالثورات ضد الخلافة الأموية والتنكيل

---

(١٠) أحمد حمود العمري : مرجع سابق ص ٩ .

(١١) يذكر في هذا المجال شخصية عمانية (أبو عبيدة) اشتهر برحلاته البحرية بين عمان وموانىء الصين .

ملاحظة : يذكر محمد بن سعد : الطبقات الكبرى (القاهرة ١٣٨٨ـ١٩٦٨) . انه في بداية الدعوة الاسلامية خرج وفد من أزد عمان الى رسول الله وأعلنوا اسلامهم .

بالقائمين بهذه الحركات وأتباعهم كما حدث في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٥-٧٠٥م) أدت الى هجرات جماعية تمركزت بأعداد كبيرة منها عند (لامو) بشرق القارة .

ولعل أهم هذه الجماعات العربية المهاجرة الهجرة التي خرجت من عمان في الفترة بين ٧٥ ، ٨٥هـ بقيادة اخوين من شيوخ العرب الذين كانوا يحكمون عمان في أيام الدولة الاموية وثاروا في وجه الخليفة عبدالملك بن مروان ، هما سليمان وسعيد ابنا عباد بن عبد بن الجلندى فقد توجها مع عدد من أنصارهما الى الساحل الشرقي لافريقيا ونزلوا على الارجح في جزيرة مافيا .[١٢]

ولا شك في أن نجاح هذه الهجرة العمانية شجع على مزيد من الهجرات ، وقد استقر المهاجرون في البداية على الساحل وأسسوا تجمعات سكانية كانت نواة للمدن الساحلية الشهيرة التي عرفت فيما بعد . كما انهم توغلوا بالتدريج للداخل بقدر ما سمحت لهم به الظروف الطبيعية ، وبقدر حاجتهم للتوغل لممارسة نشاطهم التجاري وغيره من ألوان الأنشطة التي استلزمتها حياتهم الجديدة .

وقد برزت لامو الواقعة شمال ممبسة على ساحل شرق افريقيا في مقدمة الامارات الاسلامية التي قامت في شرق افريقيا ويرجع تأسيسها الى مستهل القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وقامت بها حكومة ديمقراطية تعتنق المذهب الاباضي .[١٣]

---

(١٢) عبدالرحمن زكي (دكتور) : الاسلام والمسلمون في شرق افريقيا ص ٧٧ .
(١٣) حسن أحمد محمود (دكتور) : الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ص ٤٣٦ .

٣ ـ الاسرة النبهانية ودورها في شرق افريقيا :

من الهجرات العمانية الهامة للساحل الشرقي في افريقيا الهجرة التي حدثت في عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م حين خرج من عمان سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني ، على رأس عدد كبير من أتباعه واتجهوا الى جزيرة بات (Pate) وتزوج أميرة سواحيلية ابنة زعيم سواحيلي اسمه اسحق وكان حاكما على بات ، وقد آلت السلطة بعد ذلك للزعيم العماني فأصبح أميرا شرعيا على بات وأسس الأسرة النبهانية في مدينة بات التي تولت حكم شطر كبير من الساحل الافريقي وكان لها دور بارز في نشر الاسلام في شرق افريقيا .(١٤)

ولعل السؤال الذي يفرض نفسه علينا هو ما هي الأماكن التي مد عرب عمان نفوذهم عليها والى أي مدى توغلوا في داخل القارة ؟

في الحقيقة لا توجد مراجع دقيقة تحدد لنا المدى الذي وصل اليه نشاط العرب في شرق القارة لكن من المرجح انه لم يتعدوا سفالة جنوبا لأن الرياح الموسمية لا تهب جنوب رأس كورنتيس عند مدار الجدى ، بل تهب عواصف لا ضابط لها ولا لأوقاتها .(١٥)

فالغالب أن العمانيين المهاجرين اقتصر نشاطهم على ساحل شرق افريقيا من مقديشيو شمالا حتى سفالة وعلى الجزر المتاخمة للساحل ، وقد ساعدهم على ذلك انهم لم يصادفوا على الساحل تنظيمات قبلية متماسكة ، ولذلك سهل عليهم الاستقرار على الساحل وبناء مراكز تجارية ، كما انهم فضلوا استيطان السواحل

(١٤) حسن احمد محمود (دكتور) : مرجع سابق ص ٤٣٨ .
(١٥) محمود طه ابوالعلا (دكتور) : المؤثرات العربية في شرق افريقيا (مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ـ ١١ مايو ١٩٦٠) ص ٩٢٥ .

والجزر لسهولة الدفاع عنها ، كما أن قرب هذه الجزر والمدن الساحلية من مراسي السفن العربية كفيل لها حماية اذا ما هوجمت من الداخل .[١٦]

أما عن المدى الذي تعمق فيه العرب في داخل القارة فلاشك في أن القوافل التجارية كانت تقوم من الساحل برحلات منتظمة الى قلب القارة حتى البحيرات الاستوائية ، وتدل الآثار التي عثر عليها في زمبابوي (روديسيا الجنوبية سابقا) على قيام حضـارة متقـدمة قامت في هذه البلاد في وقت سابق لوصول البرتغال لساحل شرق افريقيا ومحاولاتهم لمد نفوذهم لداخل البلاد .[١٧]

٤ ـ الصراع بين البرتغال والعمانيين :

على أن المدن والامارات العربية لساحل افريقيا الشرقي بدأت منذ أواخر القرن الخامس عشر تتعرض لخطر جسيم .

والغريب أن الخطر الذي تعرضت له هذه المدن والامارات جاء من بلاد بعيدة ومن دولة ليست افريقية هي البرتغـال ففي عام ١٢٦٢ نجحت أسرة افيز (Aviz) في تكوين دولة حديثة في البرتغال بعد أن تخلصوا من حكم العرب ، واتجه أحد أفراد البيت المالك البرتغالي ـ هنرى الملاح (١٣٩٤-١٤٦٠) لتعقب المسلمين في شمال افريقيا ، بل انه لم يكتف بمحاربة المسلمين في الغرب بل راودته بعد استيلائـه على ميناء سبته المغربي في ١٤١٥ فكرة متابعة الرحلات البحرية تجاه سواحل افريقيا الغربية بهدف الوصول الى شرق القارة وانهاء احتكار المسلمين

---

(١٦) جمال زكريا قاسم (دكتور) : استقرار العرب في ساحل شرق افريقيا ـ حوليات آداب جامعة عين شمس ـ المجلد العاشر ١٩٦٧ ص ٢٨٠ .
ـ وترمنجهام سبنسر : الاسلام في شرق افريقيا ترجمة عاطف النواوي (القاهرة ١٩٧٣) ص ١١ .

(١٧) لمزيد من التفاصيل عن هذه الحضارة يرجع الى :
شوقي الجمل : قضية روديسيا (القاهرة ١٩٧٣) الفصل الثاني ص ١١ وما بعدها .

لمنتجات الشرق التي تدر على البلاد الاسلامية ارباحا طائلة وتساعد في تدعيم القوة الحربية لهذه البلاد .(١٨)

وقد توالت رحلات البرتغال الى ساحل افريقيا الغربي فاحتلت جيوشهم جزر كناريا ، وماديرا ، وأزورس ، ووصلوا الى الرأس الابيض في ١٤٤١م ثم مصب السنغال والرأس الأخضر ، وفي عام ١٤٨١ وصلوا الى ساحل سيراليون ، ونجح الكابتن ديجو كام (Diego Came) في عام ١٤٨٤ في الوصول الى مصب نهر الكنغو ، وأعقب ذلك في عام ١٤٨٦ رحلات باثيليميو دياز (Barthlomeu Diaz) التي نجحت سفنها لأول مرة في الوصول إلى الطرف الجنوبي للقارة ، وفي سنة ١٤٨٧ وصل لمصر الرحالة البرتغالي بيدرو دي كوفيلهام (Pedro de Covilham) ثم سافر عن طريق البحر الأحمر الى عدن والهند وفي أثناء عودته زار الامارات العربية بشرق القارة ووصل حتى سفالة ثم عاد الى القاهرة . وأهمية رحلته هذه أنها فتحت العيون إلى أهمية المناطق العربية لشرق القارة . وكانت مشاهداته والمعلومات التي جمعها عن هذه المناطق أساسا للرحلة التي قام بها فيما بعد فاسكو دا جاما (Vasco de Gama) حول رأس الرجاء الصالح إلى الامارات العربية بشرق افريقيا ثم الهند .(١٩)

فقد قام فاسكو دا جاما في عام ١٤٩٧ برحلته في أربع سفن فوصل الى نهاية القارة الافريقية في ١٤٩٨ وعبر رأس الرجاء الصالح الى الساحل الشرقي للقارة حيث زار الامارات العربية في المنطقة وأشار ـ كما سنذكر بعد ـ الى ما شاهده من مظاهر الحضارة بها ، وبعد ذلك وبارشاد البحارة العرب وصل دا جاما الى كلكت (Calicut) على الساحل الغربي للهند ، وفي العودة زار دا جاما الامارات العربية

(١٨) Panikkar, Sardar : The Afro-Asian States and Their Problems P. 20

(١٩) Duffy, James : Portuguese Africa (London 1959) P. 26

بساحل افريقيا الشرقي مرة أخرى وعاد إلى لشبونة في سبتمبر ١٤٩٩ فكأن رحلته استغرقت ثلاث سنوات . (٢٠)

وتتابعت بعد ذلك رحلات البرتغال للهند عن هذا الطريق الجديد ، وفي سنة ١٥٠٢ أثناء رحلة دا جاما الثانية للهند نزل في كلوة ، وتحت التهديد باحراق المدينة أجبر السلطان على الاعتراف بسيادة البرتغال على المدينة ودفع جزية سنوية رمزا لهذه التبعية . (٢١)

ثم تبع ذلك خضوع زنجبار التي وصفها البرتغال بأنها كانت في ذلك الوقت عبارة عن جزيرة خضراء ناضرة تعج حدائقها بالخضروات والبرتقال ، وفي عام ١٥٠٥ غادر لشبونة أسطول كبير من ثلاثة وعشرين سفينة تحت قيادة البرتغالي فرانسيسكو دا لميدا (Francisco de Almeida) بقصد تثبيت أقدام البرتغاليين في السواحل الشرقية الافريقية . (٢١)

فاستولى البرتغال على سفالة ، وكلوة التي تعرضت لأعمال النهب والسلب وأقاموا بها حصنا ، ثم تقدموا صوب ممبسة وقد قاوم سكانها العدو الغازي مقاومة عنيفة ودافعوا عن كل شبر من أرض بلادهم حتى انتقل القتال للشوارع الضيقة وداخل الدور لكن أضطر الابطال المدافعون أخيرا للتقهقر تاركين مدينتهم التي اشعل العدو فيها النار انتقاما من بطولة أهلها ، وساعدت شدة الرياح في ذلك الوقت على سرعة انتشار اللهب فأتت على كل شيء حتى أن شيخ المدينة المنكوبة كتب الى زميله حاكم مالندي (Malindi) يصف له كيف وجدوا المدينة بعد عودتهم

---

(٢٠) سونيا هباو : في طلب التوابل (ترجمة محمد عزيز رفعت ـ القاهرة ١٩٥٧) ص ١٣٠ وما بعدها .

(٢١) يشير الى هذه الأحداث الخاصة بسقوط كلوة وغيرها من الامارات العربية بشرق القارة صاحب السلوة في تاريخ كلوة ، وكاتب هذا الكتاب غير معروف لكن نشره Strong

Strong, A. : History of Kilwa (Journal of Asiatic Society, April 1985) P. 40

اليها بعد أن نهبها الغزاة البرتغاليون وتركوها للنيران فقال « لم يتركوا فيها أي كائن حي لا رجلا ولا امرأة ولا صغيرا ولا كبيرا حتى الاطفال - وكل الذين فشلوا في الهرب قتلوا أو أحرقوا » .(٢٢)

وفي سنة ١٥٠٦ ارسل اسطول برتغالي آخر من أربعين سفينة لشرق أفريقيا تحت قيادة القائد البوكيرك (Albuquerque) فاستولى على لامو ، وبراوة ، وعلى جزيرة سوقطرة وبنى فيها البرتغاليون حصنا قويا ليكون قاعدة دائمة لعملياتهم البحرية في المحيط الهندي .

وفي سنة ١٥٠٧ سقطت موزمبيق في يد القائد البرتغالي دورات داميللو (Duarte de Mello) .

وقد امتد نفوذ البرتغال على الساحل الشرقي لافريقيا من مالندي شمالا إلى سفالة جنوبا واقاموا في ممبسة بعد سقوطها في أيديهم قلعة حصينة وكانت هذه القلعة بمثابة العين الحارسة للنفوذ البرتغالي في هذه الجهات ، وكان لقائد هذه القلعة وكلاء في موانىء كلوة ، وبمبا ، وزنجبار ، وفي سنة ١٥٠٩ عين البرتغاليون حاكما عاما لمستعمراتهم في شرق افريقيا .

وهكذا في أقل من عشر سنوات حقق البرتغاليون حلمهم في شرق افريقيا ، وسقطت في أيديهم معظم المستعمرات العربية على الساحل ، وبعد ذلك اتجهوا لساحل الجزيرة العربية والخليج فهاجموا مسقط ، وهرمز ، وعدن ، وسقطت المدن الساحلية العمانية أمام الاسطول البرتغالي .(٢٣)

---

(٢٢) Duffy : Op. cit. P. 28

(٢٣) لمزيد من التفاصيل يرجع الى :
Freeman, G.S. : The East African Coast (Selected Documents From the First to the Early Nineteenth-Oxford 1962)

على أن التفوق البرتغالي لم يستمر ، ففي عام ١٦٢٢ طرد البرتغاليون من هرمز - وهي قاعدتهم الأساسية في مدخل الخليج - ، وأصبحت مسقط معقلهم الأساسي في الشرق الأدنى فحصنوها وكانت دفاعاتهم بها تعتمد على قلعتين كبيرتين وسور تحميه أبراج المدافع بالاضافة لعدد من التحصينات الفرعية .

٥ - أسرة اليعاربة تتصدى للبرتغال :

عندما نجحت أسرة اليعاربة في عمان من توحيد القوى الوطنية لم يقو البرتغال على مواجهة هذه القوة الوطنية ، فقد نجح الحاكم اليعربي سلطان بن سيف في عام ١٦٥٠ في طرد البرتغال من مسقط ، وكان ذلك ايذانا بصراع مرير بين البرتغال والعمانيين استمر خلال خمسين عاما التالية وانتهى بأن نجح الاسطول العماني في طرد البرتغاليين من شرق افريقية فعاد العمانيون يمارسون نشاطهم البحري في مياه المحيط الهندي وساحل افريقيا الشرقي .(٢٤)

وفي عام ١٧٤٩ انتخب احمد بن سعيد اماما لعمان ، فكان ذلك ايذانا بعهد جديد نشط فيه الأسطول العماني ، واستطاع أن يكفل لعمان استقلاله في وجه محاولات الغزو الفارسي ، كما حقق تفوقا واضحا في مجال النشاط التجاري لعمان وجاء نقل العاصمة من مدينة (الرستاق) الى مسقط بموقعها البحري الفريد دليلا على هذا النشاط التجاري .(٢٥)

وفي عهد خليفته السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٦-١٨٥٦) اتسع نفوذ عمان فانضوت تحت لواء دولة بوسعيد زنجبار وأجزاء عديدة من شرقي افريقية وجنوبي ايران وبلوشستان ، ونشطت حركة التجارة مع شرقي افريقية وأصبحت

---

(٢٤) أحمد حمود العمري : مرجع سابق ص ١١ .
(٢٥) انظر موقع المدينتين على الخريطة المرفقة شكل (١) .

مسقط من أهم موانىء الخليج التجارية ، وتضاعف نشاط العمانيين الاقتصادي في شرقي افريقية فلم يقتصر الأمر على النشاط التجاري بل امتد ايضا الى النشاط الزراعي فأدخلوا في زنجبار زراعة القرنفل التي نجحت نجاحا منقطع النظير حتى أصبحت زنجبار اليوم تنتج ٩٠٪ من انتاج العالم من القرنفل .

وتبادل السيد سعيد ـ ولأول مرة ـ التمثيل الدبلوماسي مع الولايات المتحدة .

وقد كان من نتيجة تشجيع السيد سعيد للعرب بل والأجانب لممارسة نشاطهم التجاري في أملاكه بشرق افريقيا أن وفدت أعداد كبيرة من التجار العرب والهنود وغيرهم لممارسة النشاط التجاري الذي باركته الدولة ، وفي عام ١٨٣٣ عقدت انجلترا معه(*) اتفاقية تجارية لتأمين مصالح رعاياها في زنجبار .

وفي عام ١٨٤١ عينت الكولونل هامبرتون (Colonal Hamreton) قنصلا لها في زنجبار . كما ان امريكا افتتحت لها في عام ١٨٣٧ قنصلية هناك وأعقب ذلك قناصل لفرنسا والبرتغال وايطاليا وبلجيكا والمانيا وغيرهم . (٢٦)

وقد استلزم النشاط التجاري أن يتوغل العرب إلى داخل القارة باحثين عن العاج فوصلوا الى بحيرة تنجانيقا وانتشروا شمالا وجنوبا وجابت سفنهم بحيرات فيكتوريا وتنجانيقا ، ونياسا ، وأسسوا المحطات التجارية على سواحل هذه البحيرات . (٢٧)

وقد نجح عدد منهم في الوصول الى نهر اللوالابا وأعالي الكنغو ، ومن هؤلاء جمعة بن رجب المرجبي جد الرحالة العربي حميد المرجبي (تيبوتيب) الذي ذاعت

(*) تمت مناقشته في المداخلات والنقاش .

(٢٦) James, B. : Missionary Researches and Travels to Tanganyika (Dublin 1970) P. 96

(٢٧) Coupland R. : The Exploitation of East Africa (London 1939) P. 5

شهـرته فيما بعد بسبب خدماته التي قدمها للرحالة ستانلي في كشف نهر الكنغو والذي نجح في تكوين دولة عربية في أعالي الكنغو كانت عاصمتها كاسونجو (Kasongo) وقد ظل يحكمها حتى سنة ١٨٩٠ وخلفه ابنه سيفو (Sefeu) ، وقد بلغت هذه الدولة العربية درجة كبيرة من التقدم وكان بها قصور مؤثثة بأفخر الأثاث كما كان بها مساجد ومدارس عربية وكانت على اتصال بزنجبار بالطريق المباشر عبر أوجيجي (Ujiji) وكان سلطان العرب في هذه المنطقة يستند الى مجموعة من الحصون القوية تمتد على طول حدود هذه الدولة العربية .(٢٨)

وبعد وفاة السيد سعيد قسمت الامبراطورية العظيمة التي حكمها ، فقد تولى ابنـه السيد ماجـد وخلفـاؤه حكم الأقاليم الواقعة في شرق افريقية ، بينما خضعت عمان لحكم ابنه السيد ثويني .

٦ - ظهور انجلترا كقوة بحرية في الخليج والمحيط الهندي :

على انه بدأت تظهر في الخليج قوة بحرية أخرى - قوة انجلترا التي كانت تهمهـا هذه الطرق الملاحية المؤدية للهند جوهرة التاج البريطاني فاستولت - على عدن في عام ١٨٣٩ وزاد اهتمامها بالملاحة في البحر الأحمر والمحيط الهندي بعد فتـح قناة السويس للملاحة في عام ١٨٦٩ ، فأصبحت القوة البحرية صاحبة النفوذ في المحيط الهندي والخليج العربي ، وكان من نتيجة ذلك أن سعت انجلترا لربط دول الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية بها بمعاهدات تحد من حركتها وتصرفاتها السياسية .(٢٩)

---

(٢٨) Hinde, Sidney Langford : The Fall of the Congo Arabs (London 1897) P. 17

وللمزيد من التفاصيل عن هذه الدولة العربية والصراع بينها وبين البلجيك بعد استقرارهم في حوض الكنغو انظر : بواقيم رزق : الاستعمار البلجيكي وأثره على الوجود العربي في الكنغو (بحث نشرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ضمن مجموعة أبحاث بعنوان العلاقات العربية الافريقية (١٩٧٧) ص ١٧٣-٢٢٨) .

(٢٩) عن هذه المعاهدات انظر :

S.U. Aitchison; A Collection of Treaties Engagements and Sandads relating to India and Neighbouring countries Vol. XII (Calcuta 1909)

ثانيا ـ مصر وعلاقاتها بافريقيا

١ ـ علاقات مصر الفرعونية بافريقيا :
(علاقـاتها ببلاد النوبة ـ الصومال (بلاد بونت) علاقاتها بشعوب شرق القارة وغربها) .

٢ ـ انتقال المسيحية والاسلام من مصر لمناطق متعددة في القارة .

٣ ـ دور مصر في مساندة نضال شعوب القارة ضد الاستعمار .

١ ـ علاقات مصر الفرعونية بافريقيا :

تذهب علاقات مصر بافريقية الى أقدم العصور التاريخية ، وتمتد جذورها عبر التاريخ ، ولا تقتصر على العلاقات السياسية أو الاقتصادية فحسب بل لعل آثارها الحضارية تأتي في مقدمة الآثار التي ترتبت على هذه العلاقات المصرية الافريقية .

ويمكن أن نلمس آثار ونتائج هذه العلاقات في كثير من مناطق القارة وفي عادات وتقاليد وثقافة شعوبها ونمط الحياة عندهم .

ولعل أبعاد هذه العلاقات ومداها ـ خاصة في العصور القديمة ـ لم تتبين لنا بوضوح بعد .

ولعله من الغريب أن نحاول أن نبحث عن علل وأسباب ودوافع لهذه الاتصالات والتأثيرات المصرية مع مناطق القارة المختلفة ، فمصر دولة افريقية لها من ظروفها الجغرافية والحضارية ما يحتم عليها هذه الاتصالات بدول القارة الاخرى والتفاعلَ مع شعوبها والتأثير فيها والتأثر بها .

وفيما يتعلق بعلاقات مصر بأفريقيا في العصور القديمة فمنذ فجر التاريخ اتصلت مصر بالبلاد الممتدة من الشلال الأول (الجندل الأول) عند اسوان جنوبا والتي عرفت ببلاد النوبة الشمالية ، وقد لمست الدراسات التي عملت التشابه الكبير بين حضارة فجر التاريخ في مصر وفي بلاد النوبة لدرجة أن بعض المؤرخين ومنهم ديودور الصقلي ذهب الى أن المصريين يرجعون في الأصل الى قبائل هاجرت من بلاد العرب عبر البحر الأحمر الى شواطىء هذا البحر في ايتيوبيا .[٣٠] وأقامت فيها زمنا ثم زحفت بعد ذلك على وادي النيل .[٣١]

---

(٣٠) ايتيوبيا ـ مملكة قديمة قامت في المناطق الممتدة من الشلال الأول عند اسوان إلى أقاصى الحبشة ولمزيد من التفاصيل يرجع الى :

(٣١) Emery, Walter, B. : Nubian Treasure (London 1948)
Ibid, P. 22

ولاشك في أن تاريخ بلاد النوبة (السودان الشمالي) ارتبط على مر عصور التاريخ بالتاريخ الفرعوني ،

ويقول الاستاذ امري « ان الاحتكاك الحضاري بين المصريين والنوبيين فتح بلاد النوبة لمؤثرات حضارية جديدة وضعت بلاد النوبة حتى الشلال الثاني على أعقاب مرحلة حضارية جديدة استمرت مظاهرها في هذه البلاد حتى وصلت الى قمتها ابان حكم الأسرة الثالثة عشرة في مصر » .[٣٢]

وتـأثـرت أجيال بلاد النوبة بالأحداث التي حدثت في مصر ، ولعل من أبرزها انه لما كانت الأحوال تضطرب في مصر كان ذلك يدفع للهجرة الى بلاد النـوبـة ، ومن أبـرز هذه الهجرات هجرة كهنة آمون للسودان في أواخر الأسرة العشرين وتكوينهم مملكة نباتا ثم مملكة مروى النوبيتين .[٣٣]

ومن أبرز مظاهر العلاقات بين مصر وافريقيا ؛ علاقة مصر بشرق القارة (بلاد بونت ـ الصـومـال) التي تدل عليهـا البعثة البحرية التي كلفت المملكة حتشبسـوت رئيس ماليتهـا المـدعو نحسي القيام بها ـ إلى هذه البلاد ـ لاحضار البخور والنباتات وغيرها المطلوبة لمعبد آمون والمسجلة أحداثها بالصور والرسوم على معبد الدير البحري بالاقصر .[٣٤]

ولاشـك في أن علاقـات مصر بافـريقيا في العصور القديمة تعدت هذه المناطق الواقعة في جنوب مصر وفي شرق القارة ، فالبعض يعتقد أن آثار مصر

---

(٣٢) سليم حسن (دكتور) مصر القديمة (١٩٤٠) جـ١ ص ١٤٣ .

(٣٣) للمزيد من التفاصيل عن علاقة مصر ببلاد النوبة يرجع إلى :
شوقي الجمل : تاريخ سودان وادي النيل وحضارته وعلاقاته بمصر جـ ١ (١٩٦٩) .

(٣٤) للمزيد من تفاصيل هذه الرحلة يرجع الى :
جيمس برستيد : تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي (ترجمة د. حسن كمال (١٩٢٩) ص ١٨٠ وما بعدها .

ـ خاصة الحضارية ـ وصلت الى زمبابوي (روديسيا الجنوبية سابقا) بشرق القارة .[35]

كذلك هناك احتمالات لوصول هذه التأثيرات الفرعونية الى غرب القارة .[36]

٢ ـ انتقال المسيحية والاسلام من مصر لمناطق متعددة بالقارة :

من مصر ـ كما هو معروف ـ انتقلت المسيحية إلى مناطق متعددة من القارة فقد انتقلت الى بلاد النوبة في جنوب مصر والى ليبيا في غربها والى اثيوبيا في شرقها وأصبحت كنيسة الاسكندرية وهو التعبير الذي أصبح يطلق على الكنيسة المصرية هي الرمز الحقيقي للكنيسة الافريقية .[37]

وجاء اسلام مصر في بداية انطلاق المسلمين بديانتهم في شبه الجزيرة العربية بشيرا بانتشار الديانة الجديدة في جهات متعددة من القارة .[38]

فمن مصر انطلق العرب جنوبا الى بلاد النوبة وغربا الى شمال القارة وكان ذلك ايذانا بقيام الدول العربية الافريقية في شمال القارة التي تمثل الجناح الغربي من العالم العربي الاسلامي .[39]

ومن شمال القارة وشمالها الغربي انطلق العرب إلى غرب القارة حيث نجحوا

(٣٥) شوقي الجمل : حضارة زمبابوي (بحث منشور في مجلة الدراسات الافريقية جامعة القاهرة العدد السادس ١٩٧٧) .
(٣٦) دراسة للاستاذ الدكتور عبدالمنعم ابو بكر لمقارنة بعض الأدوات التي لازالت تستخدم عند بعض قبائل غرب افريقيا بمثيلاتها بمصر الفرعونية .
(٣٧) زاهر رياض (دكتور) : كنيسة الاسكندرية ١٩٦٢ ص ٨٥ .
(٣٨) مصطفى محمد مسعد : مرجع سابق ص ٦٦ ، ٦٧ .
(٣٩) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى :
حسن أحمد محمود (دكتور) مرجع سابق .

في تكوين ممالك اسلامية وامبراطوريات لها حضارتها الزاهية وظلت قائمة حتى عصر الاستعمار الأوربي للقارة في القرن الخامس عشر والقرون التالية .

ومن مصر أيضا انتشر العرب الى سودان وادي النيل وأوغندة وغيرهما من البلاد الافريقية .(٤٠)

٣ ـ دور مصر في مساندة شعوب القارة ضد الاستعمار :

وحين واجهت القارة تيارات الاستعمار الأوروبي العاتية كانت مصر في مقدمة الدول الأفريقية وقدمت لها العون المعنوي والمادي ، كما كانت في مقدمة الدول المؤسسة لمنظمة الوحدة الافريقية التي ظهرت الى حيز الوجود في عام **١٩٦٣** لتتبنى قضايا التحرير الافريقي ولتنظم أسس التعاون بين الافارقة في مختلف المجالات . وكما كان لمصر في اجتماعات المنظمة دور فعال .(٤١)كان لها مواقفها الواضحة الثابتة أثناء تناول منظمة الأمم المتحدة ومختلف هيئاتها للقضايا الافريقية .

ودور مصر في مساندة الدول الافريقية وقيادتها لمواجهة المشاكل المترسبة في عصر الاستعمار الطويل سواء أكانت مشاكل اقتصادية أوثقافية أواجتماعية أوسياسية واضح وقوي .

وسنقصر حديثنا على الدور الحضاري لكل من عمان ومصر في القارة الافريقية نتيجة لهذه الصلات بين العمانيين والافارقة وبين المصريين والأفارقة التي تمتد جذورها عبر عصور التاريخ المختلفة كما شرحنا من قبل .

---

(٤٠) لمزيد من التفاصيل يرجع الى : عبدالرحمن زكي (دكتور) : تاريخ الدول الاسلامية السودانية في افريقيا الغربية (١٩٦١) .
(٤١) شوقي الجمل : الوحدة الافريقية ومراحل تطورها (١٩٦٦) .

ثالثا ـ النتائج الحضارية للعلاقات العمانية والمصرية بالافارقة

١ ـ النواحي الثقافية :

(انتشار اللغة العربية وثقافتها ـ الناحية الفنية) .

٢ ـ آثـــار دينيـــــة :

(انتشار الاسلام ومبادئه ـ الطرق الصوفية ـ الحركات الاصلاحية ـ الأزهر ودوره الحضاري في افريقيا) .

٣ ـ آثـــار اجتماعيـــة :

(تعديل السلوك في المجتمعات الافريقية ـ تغيير المعتقدات والمفاهيم) .

٤ ـ آثـــار اقتصـــادية :

(التجارة وأثرها ـ ازدهار الصناعات القديمة وقيام صناعات جديدة) .

٥ ـ آثـــار سياسـية :

(قيام امارات عربية بشرق افريقيا ـ وممالك وامبراطوريات بغربها) .

لقد كان للاحتكاك الحضاري بين العرب ـ العمانيين والحضارة ـ بصفة خاصة وبين الأفارقة آثار واضحة لمسها الرحالون العرب والأجانب الذين زاروا هذه المناطق الأفريقية وكتبوا عن مظاهر الحضارة الأصيلة ، من أمثال ابن بطوطة وله ثلاث رحلات هامة زار فيها سواكن ، وزيلع ، ومقديشيو ، وكلوة وغيرها من بلاد شرق افريقيا .[٤٢]

أما عن الرحالين الأجانب الذين قاموا برحلات الى شرق افريقيا بعد أن بدأ اهتمام الأوربيين منذ القرن الخامس عشر الميلادي ، ففي مقدمتهم الرحالة البرتغالي فاسكو دا جاما (Vasco de Gama) الذي اشتهر بسبب رحلته التي قام بها في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وسجل دهشة حين وصل موزبيق لأول مرة ووجد الناس يرتدون الملابس الحريرية الموشاة بالذهب وكانت سيوفهم وخناجرهم مرصعة بالفضة ـ كما ذكر ـ كما شاهد المنازل العالية من عدة أدوار ، والقصور وفي وسط المدينة ، وفي مالندي استقبلت بعثة دا جاما في قصر مفروش بالسجاد ومؤثث بأثاث فاخر وقدمت له عدة هدايا فاخرة ، وقد اثار ذلك دهشته لدرجة أنه عقد مقارنة بين ما شاهده هنا وما شاهده في البلاد الافريقية الأخرى التي لم يصلها العرب ، وقد نوه دا جاما بالمستوى الثقافي والحضاري والمادي للسكان في البلاد التي زارها بشرق افريقيا وذكر أن هذا المستوى لا يقل ـ ان لم يزد ـ عن المستوى في البرتغال ذاتها وقد شهد نفس الشهادة دوار بربروسا (Duarte Barbosa) الذي زار كلوه ، وممبسة ، ومالندي وبمبا وزنجبار .

وقد تحدث عن آثار العرب الحضارية في شرق افريقيا عدد آخر من البرتغاليين الذين استقروا في هذه الجهات ودهشوا من مظاهر الحضارة الزاهرة في المناطق التي زاروها أو سمعوا عنها من الذين قدر لهم أن يزوروها .

(٤٢) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار (بولاق ١٩٣٢) .

ومن أمثلة هؤلاء المؤرخ (Frecman, G.) وله أكثر من كتاب وبحث تناول فيها الحديث عن شرق افريقيا في مختلف عصور التاريخ من المعلومات التي أتاحتها له الوثائق التي حصل عليها .(٤٣)

ومن الذين كتبوا في هذا المجال رولاند أوليفر (Roland, O.) .(٤٤)وكذلك كوبلاند ، وله أكثر من كتاب عن شرق أفريقيا ، لكن يهمنا تعليقه على مظاهر الحضارة التي اذهلت الاوربيين حين شاهدوا هذه الجهات لأول مرة فدهشوا لما تنعم به من حضارة ورخاء فقد ذكر « اننا يجب ألا ندهش لما يذكره هؤلاء الرحالة من مظاهر الحضارة التي نقلها العرب الى شرقي افريقيا فإن العرب كانوا في ذلك الوقت وحتى القرن الثالث عشر حملة لواء الحضارة » .(٤٥)

أما عن مصر فقد كانت آثارها الحضارية على الاقطار الافريقية التي احتكت بها عميقة وقوية .

ويمكن أن نجمل أهم نتائج هذا الاحتكاك الحضاري بين العرب سواء أكانوا مصريين أو عمانيين والافارقة فيما يلي :

١ - النواحي الثقافية :

انتشرت اللغـة العـربية كلغـة للحديث وللمعاملات التجارية ، وكانت آثارها قوية وواضحة ونلمس ذلك في اللغة السواحيلية في شرق القارة ، فكثير من الألفاظ في السواحيلية (قدرها البعض بـ ٦٠٪ من الألفاظ المستخدمة في الحياة

(٤٣) انظر : Freeman, G. : The Medieval History of the Coast of Tanganka (Berlin 1962)

(٤٤) Roland, O. : History of East Africa (Oxford 1969)

(٤٥) Coupland, R. : East Africa and Its Invaders (London 1938) P. 39

العملية) عربية الأصل ، واللغة السواحيلية لغة افريقية عربية .[٤٦] وكذلك لغة الهوسا في غرب افريقيا .

وكان لانتشار الاسلام بين الافارقة أثرة الكبير في انتشار اللغة العربية لغة القرآن .

والحقيقة أن الأثر الثقافي للعرب (العمانيين والمصريين) لم يقتصر على اللغة بل امتد الى الثقافة بمعناها ومدلولها الواسع فقد أدى ذلك الى التغيير في معاملات النـاس وسلوكهم وفي تفكيرهم ، وأدى هذا الاحتكاك الحضاري لنقل ثقافات أخرى الى القارة وسكانها .

ووجـدت في شرق القـارة وبطول ساحلها الشرقي مراكز ثقافية هامة في كلوه ، وسفاله ، ومالندي ، وغيرها من الثغور الهامة كما ذكرنا سابقا .

وحين زار الرحالة العربي ابن بطوطة مدن الساحل الشرقي في افريقيا تحدث عما شاهـده في هذه السـواحـل وعن ثقـافة الناس بها وتمسك الكثيرين بتعاليم الاسلام الى غير ذلك من مظاهر الثقافة .[٤٧]

كما أشار الرحالون والكتاب الأجانب الى ذلك ، وقد سبق أن أشرت الى ما قاله كوبلاند في هذا المجال .[٤٨]

وقد أشار البرتغاليون حين وصلوا الى ساحل افريقيا الشرقي الى أن المدن

---

(٤٦) كلمـة سواحيلي كجنس اطلقت على شعب الشريط الساحلي وجزيرتي بمبا وزنجبار ، أما اللغة السواحيلية فهي نتيجة اختلاط اللغة العربية بلغة البانتو وقد أصبحت لغة التعامل التجاري والسياسي في شرق افريقيا حتى مع الأوروبيين .
Burton, R.F. : The Lake Regions of Central Africa (London 1860) V. II P. 96-98

(٤٧) ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار ، ص ١٢٩ .

(٤٨) Coupland : Op. Cit. P. 39

الساحلية التي كانت على اتصال وثيق بالعرب والمناطق التي استقروا بها تختلف مظاهر الناس بها اختلافا واضحا عن المناطق الأخرى ويظهر هذا التباين بدرجات كبيرة كلما تعمقنا في داخل القارة .(٤٩)

وفي غرب افريقيا وجدت مراكز ثقافية هامة مثل تمبكتو ، وجني ، وكانو ، وكاتسينة ، وغاو .

وقد أصبحت هذه المراكز الثقافية منارات في غرب افريقيا وتوافد عليها عدد كبير من العلماء ورجال الدين من مختلف الأقطار الاسلامية للتدريس في المدارس التي قامت في هذه البلاد وفي المساجد ، إحساسا من هؤلاء العلماء بواجبهم تجاه اخوانهم في هذه الاقطار الافريقية ، واسهم هؤلاء في نشر الثقافة الاسلامية والعربية بها .

كما توافد الطلاب من أبناء السودان الغربي وغيره من أقاليم غرب افريقيا الى معاهد فاس وغيرها من مدن المغرب ، وكذا الأزهر الشريف والقيروان وتلمسان .(٥٠)

وقد ظهرت هذه التأثيرات الثقافية والحضارية حتى في بلاط الحكام والسلاطين ، فتشبه كثير منهم بالحكام المسلمين في باقي جهات العالم العربي . ومن مظاهر ذلك أنهم اجزلوا العطاء لرجال العلم والأدب والدين الوافدين من مصر وغيرها من الأقطار الاسلامية للاسهام في النهضة الدينية والثقافية في هذه البلاد ، وقد أقبل الافريقيون على معاهد الدين والعلم بشغف كبير وترتب على

(٤٩) للمزيد من التفاصيل :
محمود طه ابوالعلا : مرجع سابق .
(٥٠) عبدالرحمن زكي : مرجع سابق ص ١٤٦ .

هذا قيام نهضة علمية حقيقية أثرت في مختلف نواحي الحياة في غرب افريقيا ، ونشأت طبقة افريقية مثقفة بالثقافة العربية الاسلامية والملاحظ أن كثيرين من الوزراء وغيرهم من رجال الدولة في أقطار غرب افريقيا كانوا من المسلمين ، فقد أصبح الملوك يطمئنون الى أن يعهدوا لهم بشؤون البلاد السياسية والاقتصادية .[٥١]

ويشير ابن بطوطة إلى أن عددا من رجال العلم من مختلف الأقطار العربية كان يقيم بمدينة مالي ، ومن طريق ما ذكره أنه أثناء إقامته بهذه المدينة أصيب بمرض حاد في معدته نتيجة أكله « عصيدة » مصنوعة من شيء يشبه القلقاس ولم يسعفه سوى طبيب مصري كان مقيما هناك قدم له دواء مسهلا يسمى بيدرا .[٥٢]

وقد اشتهر عن سلطان مالي السلطان اسكيا (١٤٩٣-١٥٢٨) حبه للعلم والعلماء فقد استقدم الكثيرين منهم ورحب بهم وأغدق عليهم من المال والهبات وأقام كثيرون منهم في « غاو » ، و(جنة) ، و(تمبكتو) ، - فكان وجود هؤلاء المثقفين العرب نواة لنهضة ثقافية شملت البلاد في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وأصبحت اللغة العربية بفضلهم لغة البلاد الرسمية . وحين أدى أسكيا محمد فريضة الحج كان بصحبته المؤرخ « محمود كعت » وقد مر بمصر وتعرف على العالم المصري جلال الدين السيوطي ، وكان من أهم رجال العلم في أيامه العالم الفقيه « عبدالكريم بن محمد المغيلي التلمسانى » الذي عاش فترة غير قصيرة في تمبكتو ، وقد أشار الرحالة الى وجود العديد من المخطوطات النادرة ببعض مكتباتها كما وجد بها نساخ متخصصون في نسخ هذه الأصول ، هذا بالاضافة الى خزانة

---

(٥١) نعيم قداح : افريقيا الغربية في ظل الاسلام (دمشق ١٩٦٠) ص ٤١ .
(٥٢) ابن بطوطة : حـ٤ ص ٣٩٧ .

الكتب العامة التي كان يستعين بها أهل العلم والأدب في بحوثهم .[٥٣]

ويرتبط بالتـأثيرات الثقافية الناحية الفنية . والحقيقة ان دراسة الفنون في شرق القارة وغربها لم تحظ بعد بما تستحقه من دراسة تحليلية لكن نشير هنا الى أن بعض معالم هذه الفنون تدل على المؤثرات العربية القوية ، فقصور الامراء والحكام تدل في هندستها ونقوشها ومعالمها وتنظيمها ومحتوياتها على أثر العرب وأثر الاسلام فيها بعد على تلك الفنون ، فالشمسيات الزجاجية وغير ذلك من معالم الفن العربي والنظام الذي بنيت به المساجد والنقوش التي استخدم فيها الخط الكوفي والخطوط الهندسية والآيات القرآنية كلها تدل على التأثيرات العربية . وقد شاع في المدن في شرق افريقيا وغربها بناء الأسوار تشبها بما شاع في البلدان العربية الأخرى .

وفيها يتعلق بغرب افريقيا لعل التشابه يرجع لمساهمة مهندسين مغاربة في بناء وتشييد هذه المساجد ، فقد ساهم المهندس ابراهيم الساحلي مثلا في بناء مسجد جانكوبر في تمبكتو ومسجد آخر في غاو ، وكذلك ساهم في بناء مسجد في العاصمة نياني وقصر به قاعة كبيرة لمجلس السلطان وقد وصف ابن بطوطة هذه القاعة عند زيارته للعاصمة عام ١٣٥٣م .

أما مسجد جنى فهو من تصميم المهندس ادريس المراكشي .[٥٤]

وقد أشار الرحالون العرب كما أشار البرتغاليون للحياة المتحضرة التي شاهـدوها في بيوت حتى عامة الناس في شرق افريقيا والتي ترتفع بمراحل عن الحياة التي يعيشها الافارقة في باقي المناطق التي لم يصلها العرب .

---

(٥٣) عبدالرحمن زكي : مرجع سابق ص ٥١ ، ٥٢ .
(٥٤) نعيم قداح : مرجع سابق ص ١٥٤ ـ ١٦٠ .

فدراسة الآثار العمرانية في هذه المناطق بشرق القارة وغربها تكشف لنا عن أسلوب البناء الذي ساد في هذه البلاد والذي تأثر بالاحتكاك العربي .

وفي بعض بلاد غرب افريقيا مثل (كومبي) وجدت أحياء برمتها اشتهرت بمنازلها التي تشبه المنازل في مصر وغيرها من البلاد العربية وكان حكام هذه البلاد وشعوبها ينظرون لما يشيع في هذه البلاد العربية التي اتصلوا بها من الوان الحضارة على انها مثل عليا تحتذى .

٢ - آثار دينية :

انتشر الاسلام في شرق القارة وفي شمالها وفي غربها ووصلت تأثيراته الى أقصى ما أتاحت العوامل الجغرافية وغيرها من ظروف الاحتكاك بين العرب والأفارقة .

وترتب على انتشار الاسلام خلق مجتمع جديد يدين بمبادىء جديدة . حقيقة ان الاسلام لم يهدف الى تغيير التقاليد الافريقية المحلية تغييرا جذريا الا ما يتعارض منها مع تعاليمه ومبادئه لكن ترتب على الاحتكاك بين سكان هذه البلاد وبين العرب المسلمين نوع من الامتزاج بين التقاليد الاسلامية الوافدة وبين التقاليد الافريقية المحلية ، وتمت الملاءمة بين هذين العنصرين وظهرت في المجتمع الافريقي تقاليد اسلامية افريقية .

ولعل ما عرضه الرحالون - من أمثال ابن بطوطة والقلشندي وغيرهما - من نماذج للحياة في هذه البلاد وما كتبه المؤرخون الأفارقة مثل السعدي ومحمود كعت وغيرهما يعطي فكرة عن التقاليد والنظم التي شاعت في المجتمع الافريقي في هذه البلاد .

والمعروف أن الوثنيين كانوا يعيشون في وئام مع المسلمين حتى ان المسلمين كانوا يقيمون مراكز تجارية داخل التجمعات الوثنية دون خوف .

ولاشـك في أن المسلمـين في شرق افـريقيا وغربها باتباعهم تعاليم دينهم ومبادئه أثروا عن طريق مباشر أو غير مباشر في المجتمعات التي عاشوا فيها فقد لمس الافارقة في معاملاتهم مع العرب المسلمين ما كان هؤلاء يحرصون عليه من تعاليم الاسلام وما يدعو اليه من الأمانة والصدق والعدل . وكان لهذا أثره الواضح في المجتمعات التي حلوا بها والتي تعاملوا معها ، وسنشير لذلك بتفصيل فيما بعد عندما نتعرض للآثار الاجتماعية .

كذلك كان المسلمون في شرق القارة وغربها حريصين على أداء الفرائض ، ومنها فريضة الحج . وكان الحج ومازال أهم العوامل التي تيسر فرصة الالتقاء بين الأفراد والجماعات والتبادل الفكري والثقافي ، وتذكر لنا المراجع مثلا أن سلاطين الدول الاسلامية في غرب افريقيا وشعوبها كانوا حريصين على أداء فريضة الحج رغم ما كانـوا يتكبدونه من مشاق لطول الطريق ووعورته ، وكانت هناك طرق معروفة تطرقها القوافل التجارية ، في الطريق الى الأراضي الحجازية .(٥٥)

ومن هذه الطرق :

(أ) طريق صوب الشـمال عبر الصحراء الى ساحل البحر المتوسط ثم الاتجاه شرقا تجاه مصر ومنها عبر البحر الأحمر الى الحجاز .
ويعض القبائل ـ خاصة قبائل الهوسا ـ كانت تفضل طريق تمبكتو ـ جاو ـ غات ـ غدامس ـ طرابلس لأنه كان آمنا ، كما كان يتيح لهم فرصة التجارة في أثناء الطريق .

---

(٥٥) Anta Diop : L'Afrique Noire Pré-Coloniale (1962)
(الفصل الثاني على الخصوص والكاتب سنغالي وهذا يوضح أهمية الكتاب) .

(ب) طريق صوب الشرق - إلى سودان وادي النيل - ثم ساحل البحر الأحمر بالحجاز .

أما فيما يتعلق بالمسلمين في شرق القارة فقد كانت الرحلة بالطبع أيسر وقد اعتادوا عليها من زمن .

لكن مهما يكن من أمر فإن رحلة الحج كانت رحلة بالغة الأثر في نفوس المسلمين الافارقة وكانت فرصة نادرة للالتقاء بين المسلمين في الأقطار المختلفة وكانت تعني تأكيد روح الأخوة الاسلامية التي يوجبها الاسلام .

وكما يقول ترمنجهام (Trmingham) « ان شعورا بأن الاسلام ديانة الأفارقة - جميعا - كان يتملك المسافرين من الأفارقة في رحلة الحج » . (٥٦)

ومن أشهر مشاهد ركب الحجاج السودانيين التي سجلها التاريخ وفد الحجاج الذي كان على رأسه منسى موسى - سلطان مالي - (٧٢٤هـ/١٣٢٣م) والذي يقال انه كان يضم أكثر من عشرة آلاف حاج ، وقد مر بمصر في طريقه الى الحجاز في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون ، والذين تحدثوا عن هذا الركب يعطون لنا صورة لعل - فيها شيئا من المبالغة - لكنها لا تخلو من الحقيقة . فقد احاط هذا السلطان نفسه بمظاهر الترف والاسراف في مصر وحمل معه كميات كبيرة من الذهب الخام حتى قيل انه لم يدع أميرا من أمراء المماليك في مصر ولا رب وظيفة سلطانية الا وحمله بحمل من الذهب ، كما افاض من هباته على الفقراء في الأراضي الحجازية ، ومنح عن سعة حتى قيل ان قيمة الذهب

---

(٥٦) Trimingham, J. : Spencer : Islam in West Africa (Oxford 1964) P. 88

انخفضت انخفاضا ملحوظا لكثرة ما أنفقه .[٥٧]

ويرتبط بالآثار الدينية للعرب في افريقيا انتشار الطرق الصوفية وعلى الأخص القادرية والتيجانية وقد زاد عدد اتباع هذه الطرق الصوفية ـ ولاسيما بين المشتغلين بالتجارة ومن العلماء والفقهاء ـ ولعب أتباع هذه الطرق دورا دينيا وسياسيا هاما كان كبير الأثر في تاريخ وحضارة هذه البلاد ونهضتها ، فقد أصبح كل مسلم تقريبا يرى لزاما عليه أن يرتبط باحدى هذه الطرق الدينية .

وأقام أتباع هذه الطرق الزوايا للعبادة ولايواء الوافدين المحتاجين للمأوى والطعام وللاعتكاف بعيدا عن زخرف الحياة وملذاتها للدرس والتفقه في شؤون الدين ، وكانت لكل طريقة تنظيماتها وأعضاؤها وعلى رأسهم شيخ الطريقة .

وقد انتشرت القادرية بالذات في السودان الغربي وانتشر أتباعها من الفقهاء والمريدين من السنغال الى مصر والنيجر وفي بلاد الهوسا .[٥٨]

أما التيجانية فقد انتشر أتباعها في حوض السنغال وفي تمبكتو .[٥٩]

وانتشرت هذه الطرق أيضا في شرق افريقيا بل ان شرق افريقيا وقربه من الحجاز اتاح الفرصة لانتشار الطرق المختلفة التي بدأت نشاطها في الحجاز وانتقلت بعد ذلك الى القارة الافريقية حيث كانت البيئة صالحة لانتشارها ولاكتسابها أتباعا ومريدين .

---

(٥٧) العمري : مسالك الأمصار ، ص ٩٤٣ وما بعدها .
ابن الوردي : ذيل المختصر في أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٥٨) انظر محمد بلو : انفاق الميسور في أخبار بلاد التكرور ، مخطوط بوثائق الرباط تحت رقم ٢٣٨٤/ك ص ٢٠٣ .

(٥٩) للمزيد من التفاصيل عن القادرية يرجع الى :
شوقي الجمل : الحضارة الاسلامية العربية في غرب افريقيا ، سماتها ودور المغرب فيها بحث منشور بمجلة المناهل المغربية ، نوفمبر ١٩٧٦ ص ١٣٢ الى ١٦٣ .

ولقد لعبت الطرق الصوفية وأتباعها دورا هاما وخطيرا في مقاومة الاستعمار الاوروبي وان كان هذا الدور لم يكشف عنه النقاب تماما الى الآن إذ أن اتباع هذه الحركات والمريدين الذين التفوا حولهم اعتبروا الجهاد السياسي المتصل بالوطن وحريته والوقوف في وجه اعدائه والمغتصبين جزءا من واجبهم لا ينفصل عن الجهاد في سبيل نشر الدين فمعظم المراجع الأجنبية تعالج الأمر على أنه ثورات بين أفراد خارجين على القانون وعلى النظام وواجبنا يحتم أن نضع هذه الحركات الوطنية في مكانها الصحيح .

وقد أدى تبني هذه الحركات لقضية الجهاد الوطني الى شعبيتها واندفاع الشباب بالذات للانضمام اليها .

وقد انتشرت هذه الحركات في شرق افريقيا كما انتشرت في غربها وأصبحت من أهم مظاهر الانتفاضات الوطنية في القارة ، ولعل حركة (محمد بن عبدالله حسن) بطل الصومال تعتبر مثلا قويا لهذه الحركات في شرق افريقيا .

كما ان الحركة السنوسية ودورها في مقاومة الاستعمار الايطالي في ليبيا مثل آخر لدور هذه الحركات ضد القوى الاستعمارية التي استباحت القارة الافريقية .[٦١]

وفي غرب افريقيا تعتبر حركة الحاج عمر التيجاني زعيم السودان في القرن التاسع ـ التي أطلق عليها حركة العمرية ـ مثلا آخر .[٦٢]

---

(٦٠) للمزيد من التفاصيل عن هذه الحركة يرجع الى :
محمد المعتصم سيد : مهدي الصومال بطل الثورة ضد الاستعمار (د. ت)
ابراهيم عبدالمجيد محمد : الاستعمار البريطاني في الصومال (١٨٨٤-١٩٣١) رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث الافريقية بجامعة القاهرة ١٩٧٧ .

(٦١) محمد فؤاد شكري : السنوسية دين ودولة ، القاهرة ١٩٤٥ .

(٦٢) Dubois. F. : L'Islam Noir (Paris 1899) P. 60

وكذلك دور (ساموري) في مكافحة الاستعمار الفرنسي في غرب افريقيا مثلا آخر لهذه الحركات ووقوفها في وجه الاستعمار الأوروبي . (٦٣)

ويرتبط بالأثر الديني لهذه العلاقات العربية الافريقية قيام الحركات الاصلاحية في شرق القارة وفي غربها ، وكان على رأس هذه الحركات زعماء تحمسوا لنشر الاسلام ولارشاد الناس لحقائقه ولتخليص الدين مما علق به من شوائب ، وقد استطاع هؤلاء الزعماء أن يجمعوا حولهم عددا كبيرا من الأتباع والمريدين لما رأوا فيهم من التقوى والصلاح .

وقد تبلورت جهود هؤلاء المصلحين وأتباعهم في مجالين :

المجال الأول : مجال الوعظ والارشاد والتأليف : فتركوا لنا ثورة كبيرة من مؤلفاتهم في مختلف الفروع الدينية والعلمية كالتفسير والفقه وشرح الأحاديث النبوية والتصوف والعقائد واللغة والشريعة الاسلامية وغير ذلك من ضروب العلم والمعرفة .

ولا شك في أن هذه الثروة التي فقد الكثير منها للأسف ، كما نقل المستعمرون الأجانب جزءا هاما من هذا التراث الى مكتبات بلادهم فيما عدا الباقي وهوعدد غير قليل أيضا لازال مخطوطا حبيس دور الوثائق .

أما المجال الثاني : فهو مجال الجهاد ـ وكما ذكرنا سابقا ـ لم يكن من الممكن العمل بين حركة الاصلاح الدينية وحركة الجهاد المسلح لاعلاء شأن الاسلام في

---

(٦٣) لمزيد من التفاصيل يرجع الى :
نصر الدين رشوان حسن : دولة ساموري في غرب أفريقيا ١٨٧٢ـ١٨٩٨ رسالة دكتوراه من معهد البحوث الافريقية ، ١٩٧٨ .

المناطق المختلفة من شرق افريقيا وشمالها وغربها والتي تعرضت للاستعمار الأوروبي .

هذا وأشير الى أن المصلحين في افريقيا ركزوا على التغييرات التي كانت سائدة في المجتمع الافريقي مثل التقاليد المتبعة عند ولادة الطفل أو عند الزواج أو الوفاة وسنشير لذلك فيما بعد عند دراسة الآثار الاجتماعية .

وأشير هنا الى أننا لا يمكن أن نستطرد في ذكر ما بعد الحركات الاصلاحية في شرق القارة أو شمالها أو غربها ـ لكن من يريد التركيز على بعض هذه الحركات أو التوسع في دراستها فالمجال واسع أمامه ـ . (٦٤)

دور الأزهر الحضاري في أفريقيا :

لا نستطيع الحديث عن دور مصر الحضاري في أفريقيا دون الاشارة الى الدور الذي لعبه الأزهر الشريف في هذا المجال ولقد احتفلت مصر بل احتفل العالم الاسلامي والعربي في عام **١٩٨٢** بالعيد الألفي للازهر ، والحقيقة أن هذا الاحتفال لا ينصب على المبنى الشامخ الذي جاوز منذ ان وضع جوهر الصقلي قائد جيش المعز لدين الله الفاطمي حجر الأساس له في **٢٤** جمادى الأولى سنة **٣٥٩** هـ (ابريل سنة ٩٧٠ م) حتى اليوم ـ الألف عام ـ بل على الدور الذي قام به على مر العصور منذ انشائه الى اليوم ودور الأزهر لم يقتصر على الناحية الدينية فحسب بل ان دوره في نشر اللغة العربية وحضارتها يتعدى ذلك الدور المحدود .

---

(٦٤) تعددت حركات الاصلاح خاصة في شرق القارة وغربها وقد اشتهرت منها حركة عثمان بن فودي الذي استطاع أن يقود قبائل الفولاني ويؤسس سلطنة تنبكتو التي لعبت دورا هاما في نشر الاسلام في غرب افريقيا انظر :
Dubois, F. : Tomboctou, Le Mysterieuse (Paris 1899) PP. 152-153
ملاحظة : قام كاتب هذا البحث بنشر عدة بحوث عن دور بعض رجال الاصلاح في غرب افريقيا من أمثال أحمد بابا التمبكتي السوداني وعثمان بن فودى وغيرهما وذلك في مجلة المناهل المغربية ومجلة البحث العلمي التي يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط .

فالحقيقة ان اللغة العربية والدين الاسلامي ركنان مرتبطان بالأزهر فالأزهر هو حامي الدين واللغة .

ويضيق المجال عن شرح دور الرواد الأوائل من الافارقة الذين وفدوا الى الأزهر الشريف وتتلمذوا في أروقته المختلفة وتعلموا على شيوخه وأساتذته ثم غادروا لبلادهم في شرق القارة أو غربها أو شمالها فنشروا فيها ما تعلموه بين مواطنيهم .(٦٥)

ولم يقتصر دور رجال الأزهر على هذا الدور الثقافي فقد لعبوا دورا هاما في الكفاح الوطني في مصر وكان لذلك صداه العميق في باقي الأقطار الافريقية فهبت في وجه المستعمرين تطالب بحقها في الحياة الحرة الكريمة .(٦٦)

٣ - آثار اجتماعية

أثر العرب والاسلام تأثيرا قويا في المجتمعات الافريقية التي احتك بها العرب ، وقد أشرنا الى دور المصلحين الذين ظهروا في المجتمعات الافريقية والذين دعوا الى اصلاح ما وجدوه من انغماس الناس في كثير من الأمور التي ينهى عنها الاسلام .

ووصل الأمر الى شن حروب جهادية للوقوف في وجه تيار العادات التي استمر الناس يمارسونها رغم أنها لم تكن تتلاءم مع تعاليم الاسلام ومع

(٦٥) تعددت الأروقة الافريقية في الازهر فمنها (رواق المغاربة ، وزرواق الدرارفورية ، رواق البرنية ، رواق الجبرتية ، رواق البربر ، رواق الدكارنة ، رواق المغاربة ، رواق الفلاتة) وللمزيد عن هذه الاروقة يرجع الى :
علي مبارك : الخطط التوفيقية طبعة (١٣٠٤) جـ٤ ، وكذلك منصور علي رجب : الأزهر بين الماضي والحاضر (١٩٤٦) ص ٢٥ وما بعدها .

(٦٦) للمزيد من التفاصيل عن دور الأزهر الحضاري في أفريقيا يرجع الى :
شوقي عطا الله الجمل : الأزهر ودوره السياسي والحضاري في افريقيا (نشرته الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٨) .

الوضع الثقافي والحضاري الجديد .

ولقد أثرت الثقافة العربية والدين الاسلامي على المجتمعات الافريقية بما أدخلتـه من مفـاهيم جديدة أثـرت تلقـائيا في المفـاهيم الاجتماعية وفي التقاليد والعادات التي ارتبطت بمختلف المناسبات .

وقـد امتص الافـريقيون في شرق القـارة وفي غربها الكثير من معتقدات الاسلام . بالطبع لم يكن التغيير كاملا أو جذريا ـ لكن حدثت تغييرات كبيرة ـ فمثلا في بعض البلاد الافريقية كانت هناك مجتمعات أموية (تنتسب الى الأم) وتغير هذا ، كما نفذت قوانين الشريعة لتساير الشريعة الاسلامية ـ والتغيير كما قلنا لم يحدث فجأة ـ .

فإذا أخذنا مثلا مدينة من مدن أو ثغور شرق افريقيا وحاولنا دراسة حياة الناس فيها وتقاليدهم ومثلهم نجد أن الكثير مما يجري في حياة الناس اليومية يظهر فيه بوضوح أثر الاسلام والاحتكاك مع العرب .

لقد سما الاسلام بكثير من معتقدات الافريقي وعدل من سلوكه ، فقبل الاسـلام مثـلا كان شائعا عندهم تقديم الضحايا وغير ذلك من وسائل ارضاء القوى الخفية ـ أما في ظل الاسلام وتعاليمه ـ فالصدقة ، والزكاة ، الصيام فيها معنى التضحية ونكران الذات ، ولذا لم يكن صعبا على الافريقي ان يدرك هذه القيم ، وان يعدل من سلوكه حسب تعاليم الدين الجديد .(٦٧)

ولعل أهم أثر للاسلام في المجتمعات الافريقية هو الاحساس بأن الجميع

(٦٧) Trimingham : Op. Cit. PP. 41-46 and PP. 74-75

يعبدون إلها واحداً ، وهذه الوحدة الاجتماعية تزكيها اكبر ممارسة الجميع لفرائض واحدة .

ولا شك في أن البناء الأسري في المجتمع الافريقي قد تأثر بتعاليم الاسلام ومبادئه ، وبالطبع لا يمكن أن نتوقع أن القانون الاسلامي النموذجي هو الذي يمكن أن يسود ـ لكن لا شك ـ في أن التغيير الذي حدث كبير ، والصراع بين القديم والجديد ظل فترة غير قصيرة مستمرا .

ويشير ترمنجهام الى ذلك بوضوح حين يتحدث عن الثنائية التي تتضح في المجتمعات الافريقية ، فهناك نظم اسلامية صرفة جنبا الى جنب مع تقاليد ترجع الى ما قبل الاسلام وتختلف قوة كل من العاملين في المدن عنها في المجتمعات الزراعية أو الريفية .

٤ ـ آثار اقتصادية :

بدأت علاقات العمانيين بشرق افريقيا علاقات تجارية ـ كما ذكرنا من قبل ـ وتطورت هذه العلاقات التجارية ونمت واتسعت وكانت للعرب في شرق افريقيا شهرة واسعة في الاتجار في الذهب وغيره من الموارد الافريقية وتبادلها بالسلع التي يحتاجها الأفارقة ـ وقد اشتهر ميناء سوفاله (Sofala) بالذات كميناء لتصدير الذهب ـ .(٦٨)

ويذكر ابن بطوطة مثلا انه في مقديشيو كانت تقوم صناعة نوع من الأقمشة الدقيقة التي تصدر لمصر ، كما يذكر الادريسي أنه سمع ان في مالندي وسفاله توجد

(٦٨) Ransford, Oliver : The Rulers of Rhodesia From Earliest Times to the Referenoum (London 1966) P. 25

مناجم للحديد مستقلة ، كما ان العرب المهاجرين أدخلوا في هذه الجهات زراعة البرتقال والفواكه الأخرى بالاضافة الى البلح والبقول وغيرها من الزراعات فكانوا يزرعون هذه ـ الفواكه والخضروات بجوار مجاري المياه وفي المدن الحديثة التي انشأوها ـ هذا بالاضافة الى تربية الماشية والأغنام .

وحين زار ابن بطوطة كلوه ، وممبسة ، ومقديشيو سنة ١٣٢٣ أبدى دهشته من حالة الرخاء السائدة في هذه المناطق .(٦٩)

وفيما يتعلق بغرب افريقيا منذ أن استقر العرب في شمال القارة ووصلوا الى أقصى غرب القارة كثرت رحلاتهم الى غرب القارة وتضاعفت هذه الرحلات وانتظمت ، ووجدت طرق معروفة تخترفها القوافل الى مناطق الذهب والملح وغيرها من الموارد المتوفرة في غرب أفريقيا والتي كانت الحاجة لها ماسة .

ويشير بوفيل (Bovill) الى رحلات أهل المغرب بالذات وتجارتهم ، فقد كثرت رحلاتهم للحج والتجارة وغير ذلك ، وقد أمدنا هؤلاء بمعلومات طيبة عما بداخل القارة وعن المحطات التجارية وغيرها فنحن ندين بمعلوماتنا المبكرة لفئة قليلة من المؤلفين والرحالة من أهمهم المسعودي وابن حوقل ، والبكري ، والادريسي ، وياقوت والعمري ، وابن بطوطة ، وابن خلدون .(٧٠)

ولا شك في أن التجارة والاسلام في غرب أفريقيا مرتبطان كل الارتباط فقد لعبت التجارة دورا هاما في نشر الاسلام والثقافة العربية في غرب القارة برغم العقبات الطبيعية التي كانت تعوق الوصول الى قلب القارة فقد كانت هناك مراكز تجارية بمثابة الموانىء يتطلع اليها المسافرون عبر الصحراء حيث يجدون نبض

---

(٦٩) انظر الرحلة

(٧٠) Bovill, E.W.: Caravans of the old Sahara (Introduction to the History of the Western Sudan 1933) P.6

الحياة فيستريحون ويستبدلون الجمال الضعيفة المنهكة بغيرها ليستطيعوا مواصلة الرحلة وفيها يحدث التبادل التجاري ، وكانت بحيرة تشاد نفسها حلقة هامة من هذه السلسلة من طرق الاتصال .[٧١]

فالنيجر ينحني إنحناءة عظيمة صوب الشمال ويقترب من الصحراء ، وهذه الصحراء لا تتصل مباشرة بساحل المحيط لكنها تترك سهلا ساحليا جعل الاتصال عبره ممكنا بين الشمال والجنوب ، وعبر هذا الطريق اتصل عرب المغرب بالسهل الخصيب الواقع جنوب الصحراء الكبرى وكانت التجارة من أهم دوافع الاتصال بين الاقليمين .

وكان لعرب شمال افريقيا دور هام في هذه التجارة ، وكان ملح الطعام الذي يستخرج من مناجمه الواقعة جنوب المغرب الاقصى من السلع الهامة التي يحتاجها الأفارقة في المنطقة الواقعة جنوب الصحراء ، هذا بالاضافة الى النحاس والمنسوجات والتمر والعقود والحلي ، وكانوا على استعداد لمبادلة هذه السلع بالذهب والمحاصيل الافريقية الرعوية أو الاستوائية التي وجدت طريقها الى البحر المتوسط وأوروبا على يد التجار المغاربة على الخصوص ، ويكفي أن نذكر أن هذه البلاد انفردت لفترة طويلة بثروتها الذهبية ، فقد كانت المصدر الرئيسي لذهب العالم الى أن اكتشفت مناجم أمريكا الجنوبية والهند وجنوب افريقيا .[٧٢]

وقد نجح العرب والتجار على وجه الخصوص في نشر الاسلام في هذه البلاد التي تاجروا معها فكان انتشاره سريعا وهادئا دون اللجوء للعنف عبر هذه الطرق التجارية الممتدة من بلاد المغرب عبر الصحراء الكبرى أو على طول المحيط

(٧١) ارنولد توماس : الدعوة الى الاسلام ، مترجم ، القاهرة ١٩٥٧ ص ٣٧١ ، ٣٧٦ ، ٣٨٢ .

(٧٢) Fage, V.W. : An Introduction to the History of West Africa (Cambridge 1959) PP. 9-10

الأطلسي الى بلاد السنغال وأعالي النيجر ومنطقة بحيرة تشاد ، وساهم تجار الفولاني والحوصا ، والتكرور المسلمون أيضا بدور كبير في هذا المجال وأدى هذا لازدهار التجارة ونموها .

وكان التجار المسلمون في تنقلهم بين المراكز التجارية يحتكون بباقي الأفارقة ويؤثرون فيهم ـ بسلوكهم الشخصي وأمانتهم ونظافتهم ـ ، وكثيرا ما انتهى هذا الاحتكاك بدخول كثيرين منهم في الاسلام ، وعدد غير قليل من هؤلاء التجار كان يجمع بين التجارة والعلم فاذا ما استقر بهم المقام أنشأوا حلقات لتعليم القرآن أو العبادة وقاموا بمزاولة النشاط التعليمي والدعوة لاتباع مبادىء الاسلام بجانب نشاطهم التجاري ، ولذا تركز الاسلام على الخصوص في المبدأ في المراكز التجارية ومنها انتشر لمناطق متعددة أخرى ، وهكذا دخل الاسلام الى كثير من بلدان غرب أفريقيا في ركاب التجار ونتيجة لنشاطهم فقد أصبح الاسلام كما يقول ترمنجهام « بمثابة تصريح مرور لمن يريد الاتجار بنجاح مع الامارات التي نشأت في افريقيا الغربية » .(٧٣)

وقد ساعد قيام ممالك اسلامية قوية في غرب افريقيا الى استتباب الأمن ، مما أدى لازدهار التجارة التي أصبحت تلعب دورا هاما ورئيسيا في اقتصاد هذه الممالك .

ففي مملكة ـ مالي مثلا ـ يقدر نيام جبريل (Niam Djibril) عدد الجمال التي كانت تستخـــدم في عمليات التبـادل التجـاري عام) ١٣٥٠ بما لا يقـل عن ١٢,٠٠٠ جمل ، وعند حديثه عن اقتصاد مالي يذكر أن تجارة القوافل كانت تقوم

---

(٧٣) Trimingham : Op. Cit. P. 26

بدور هام في اقتصاد المملكة وأن عددا كبيرا من البربر والطوارق كانوا يشتركون في عمليات التبادل التجاري . (٧٤)

ومن القبائل العربية التي لعبت دورا هاما في التجارة عبر الصحراء ـ وكان لها في ذلك شهرة ـ قبيلة صنهاجه ، ولمتونه ، ومسوفه ، وجداله .

والحقيقة انه يمكن القول بأنه إذا كانت التجارة قد أسهمت في نشر الاسلام ، فقد أدى انتشار الاسلام الى مضاعفة النشاط التجاري ، فقد تغيرت نظرة الافارقة الى الزراعة ، فيما أصبحت للتجارة مكانة خاصة ووجدت طبقة جديدة من التجار العرب والافارقة في كل من غانه ومالي وغاو وأدى ذلك التبادل الى نشر ونمو المدن التجارية الكبرى مثل كومبي ، وتمبكتو ، ونياني ، وجنه ، وغاو ، وكانت كباره ميناء تومبكتو الحربي والتجاري وملتقى البضائع القادمة من شمال افريقية ومنها توزع الى مالي والنيجر الأعلى ، والداهومي كما تصل اليها البضائع الافريقية المنقولة عبر نهر النيجر في طريقها الى شمال افريقيا حيث قامت المدن التجارية في المغرب والقيروان وتونس وطرابلس ، وأصبح التجار يشكلون طبقة كبيرة في المجتمع الافريقي ، بل ان بعض القبائل الافريقية اتخذت التجارة حرفة رئيسية عرفت بها وأصبحت في المدن التجارية الهامة أحياء خاصة للتجار العرب يقيمون في دور بها بنوها فوق مستودعات بضائعهم ، وحرص هؤلاء على أن يتعلم أبناؤهم في المدارس والمساجد مع زملائهم الافريقيين . (٧٥)

والحقيقة ان الذين كتبوا عن قصة التجارة في شرق افريقيا وفي غربها وبين

---

(٧٤) Niam, Djibril : L'Ampirede Male (Conakry 1948)
ومؤلف هذا الكتاب غيني وله عدة كتب عن تاريخ غرب افريقيا تتميز بالدقة والاصالة .

(٧٥) نعيم قداح : مرجع سابق ص ١٢٥ وما بعدها .

شمال وغرب القارة ووسطها وما كان يتم في هذه الرحلات التجارية يعطينا صورة رائعة لاثر الاحتكاك البشري والحضاري والثقافي عن هذا الطريق .

فابن بطوطة مثلا يتحدث عن الطرق التجارية والآبار حيث يرتوي المسافرون ويستقرون وحيث كانت قوافل التجار تقيم في ضيافة التجار المحليين أو الشيوخ أوتكترى مسكنا تقضي فيه ايام الاستراحة ـ وتكون مناسبة لتبادل المنتوجات وشراء لوازم السفر ، كما يذكر ان الامتزاج كان على أشده بين الافارقة والتجار العرب الذين كانوا وسطاء في العمليات التجارية . كما كانوا يقومون بالترجمة والسمسرة ويعملون كأدلاء وحراس في الصحراء ، ونشير بالذات الى الكرم العربي الذي هو صفة من صفات العربي وكيف كان يظهر في هذه المناسبات بأجلى مظاهره التي قد تصل الى حد المبالغة في اكرام الغرباء .[٧٦]

ويتحدث البكري عن نفس الشيء ويشير الى شبكة الطرق الصحراوية التي انتشرت في غرب افريقيا بالذات ويعطي تقديرات تقريبية للمسافة التي تستغرقها الرحلة في كل مرحلة من مراحلها .[٧٧]

وقبل أن تزدهر التجارة الافريقية على أيدي العرب كانت طريقة المبادلة هي السائدة لكن العرب أدخلوا النقود الى جانب القطع الذهبية المسكوكة ، وقد وجدت في القصر الملكي في مالي ، وفي غاو قطع نقدية مغربية ومصرية ، ويشير أنتا ديوب (Anta Diop) في حديثه الطويل عن التجارة في غرب افريقيا الى ان الاسرة المالكة في غرب افريقيا أصبحت تشتري حاجاتها من منسوجات وتحف وغيرها من المغرب وبلدان شمال افريقيا الاخرى مباشرة أوعن طريق التجار

(٧٦) رحلة ابن بطوطة : مرجع سابق ص ١٢٥ وما بعدها .
(٧٧) البكري ، ابوعبدالله : المغرب ، في ذكر بلاد افريقية والمغرب (نشر دي سلان الجزائر ١٨٥٧) مشتق من كتاب المسالك والممالك) .

العرب ، كما يشير الى أن التجار الافارقة قلدوا ما كان سائدا في البلاد العربية من اقامة بعض الاسواق في مدن معينة في ايام معلومة ، كما يشير الى ان حكام هذه البلاد ـ حتى من لم يعتنق الاسلام منهم ـ اضطروا خاصة في المدن التجارية الى اقامة قضاء اسلامي يحكم حسب الشريعة الاسلامية وذلك للفصل في القضايا التي تتعلق بمصالح التجار المسلمين حرصا منهم على ان يشعر هؤلاء بالطمأنينة في معاملاتهم التجارية .[٧٨]

٥ ـ آثـار سـياسـية :

لا شك في أن من أهم الآثار الحضارية التي ترتبت على الاحتكاك العربي الافريقي التغيرات السياسية التي طرأت على البلاد الافريقية شرقها وغربها .

وفي شرق القـارة أشرنـا إلى أن العـرب بعد أن استقروا في أماكن معينة بالشـاطىء نجحوا في تكوين امارات عربية ، وأصبحت هذه الامارات العربية تجمـع في انظمتها بين اشياء افريقية اصيلة وبين اشياء عربية اسلامية لكن مما لا شك فيه أن العرب المهاجرين الى شرق افريقيا قد حملوا معهم حضارتهم الزاهرة .

ويذكـر كوبلاند أن الـرحالين العرب والأجانب على السواء الذين زاروا الامارات العربية في شرق افريقيا تحدثوا عما رأوه بهذه الامارات من مظاهر الحضارة والرقي .

ولا شك في أن النظام السياسي والاداري الذي ساد في الامارات العربية

(٧٨) Anta Diop : Op. Cit.
(الفصل الثاني على الخصوص) .

بشرق افريقيا تأثر في جوهره بما اعتاده العرب في بلادهم من نظام قبلي أو شبه قبلي فالأمير كان بمثابة شيخ القبيلة وكان يساعده جماعة من صفوة القوم في الامارات .

على أن الملاحظ أن العرب في شرق افريقيا كونوا امارات منفردة فلم تتكون امبراطورية عربية متحدة مثلا ، ولو انه في فترات منقطعة كانت لامارة أو أخرى من هذه الامارات سيادة على منطقة واسعة تشمل عدة امارات فمثلا في نهاية القرن الخامس عشر لما جاء البرتغاليون لشرق افريقيا كانت لامارة كلوه السيادة على الجزء الجنوبي من الساحل ، ولما وصل فاسكو دا جاما الى موزمبيق وجد أن حاكم المدينة كان نائبا عن سلطان كلوه ، وكان يجبي الضرائب لحسابه على السفن التجارية التي ترد للمدينة وكانت هناك علاقة مصاهرة بين سلطان كلوه ، وممبسه اذ ان هذا الاخير كان متزوجا من ابنة سلطان كلوه .

وهكذا كان لأمراء كلوه شيء من السيادة - سواء عن طريق السياسة أو المصاهرة - على جزء كبير من ساحل افريقيا الشرقي وان لم تكن لهم سيادة كاملة بالمعنى الذي نعرفه .

وهكذا استطاع العرب أن يوجدوا في شرق القارة تنظيمات ادارية قبل أن تتفتح عيون الأوروبيين للقارة الافريقية .

وأشير الى أن الأئمة في عمان على الخصوص استطاعوا ان يمدوا سلطانهم على الشمال الشرقي من أرض الصومال حتى نهر روفوما وأن يقيموا فيها امارات تابعة لهم وضعوا على رأسها رؤساء من العائلات العربية في ممبسه وزنجبار وغيرهما من المناطق الهامة .[٧٩]

(٧٩) للمزيد من التفاصيل عن هذه الامارات العربية بشرق افريقية يرجع :
شوقي الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ١٩٨٠ ص ٥١ .

أمـا فيما يتعلق بغرب افريقيا فقد تكونت ممالك وامبراطوريات في المنطقة الشـاسعـة التى تطل على المحيط الاطلنـطي غربا وخليج غينينا جنوبا وتحدها الصحراء الكبرى شمالا .

ومن هذه الامـبراطـوريات امبراطورية غانا وامبراطورية مالي وامبراطورية سنغاي وامبراطورية كانم ، وبرنو .

وقد كان لكل منها نظامها الاداري كما كانت لها علاقاتها الوطيدة بالبلاد الاسلامية الاخرى في شمال افريقيا ومصر وأخذت من النظم السائدة في البلاد هذه وتأثرت بها .

وقـد كانت للأحداث السياسية في هذه الدول العربية أصداؤها في هذه الدول الافريقية المتصلة بها .(٨٠)

ولابد من الاشارة في النهاية الى ان العرب كان لهم دورهم البارز في اذكاء الروح الوطنية في هذه الامارات والسلطنات في شرق القارة وغربها ، وظهر ذلك بوضوح حين واجهت هذه البلاد موجة الاستعمار الاوربي فوقفت تدافع عن كيانها وقاومت الاستعمار قدر طاقاتها وظهرت فيها بطولات عربية وافريقية وقد سبق أن أشرنا لبعض هذه الشخصيات التي برزت في ميدان الكفاح ضد الاستعمار .

ومن هذا العرض تتضح الحقائق التالية :

ترجع علاقة العرب (العمانيين بصفة خاصة) بافريقيا الى أقدم العصور ،

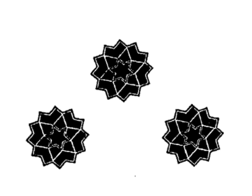
(٨٠) لمن يريد تفاصيل عن النظم السياسية والادارية في هذه الدول بافريقيا الغربية يرجع إلى : عبدالرحمن زكي : تاريخ الدول الاسلامية بافريقيا الغربية (١٩٦١) .

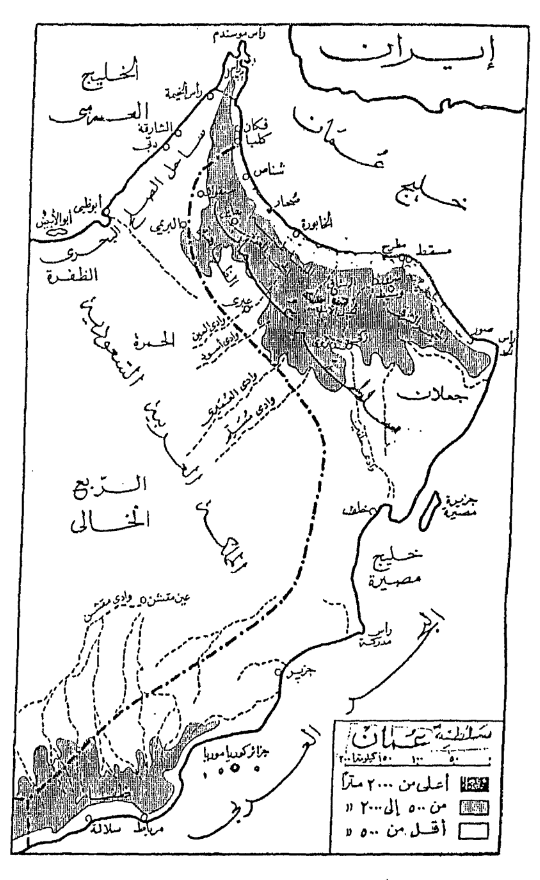
ساعـدت على ذلك عوامل جغرافية وعوامل اقتصادية وعوامل تاريخية ، وأعطى الاسلام دفعة كبيرة لهذه العلاقات وقد كان لهذا الاتصال العربي الافريقي آثار ونتائج حضارية ظهرت آثارها في المجالات المختلفة الثقافية والدينية ، والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وقد لمس ذلك الرحالون العرب بالاضافة الى الرحالين والكتاب الأجانب .

وقد ذهل الرحالون الأجانب حين جاءوا لأول مرة الى شرق القارة أو غربها وتـوغلوا فيها فوجدوا امارات وممالك على قدر كبير من التحضر وقد ظلت هذه الحضارات زاهرة الى أن نكبت القارة بالمستعمرين الأوربيين .

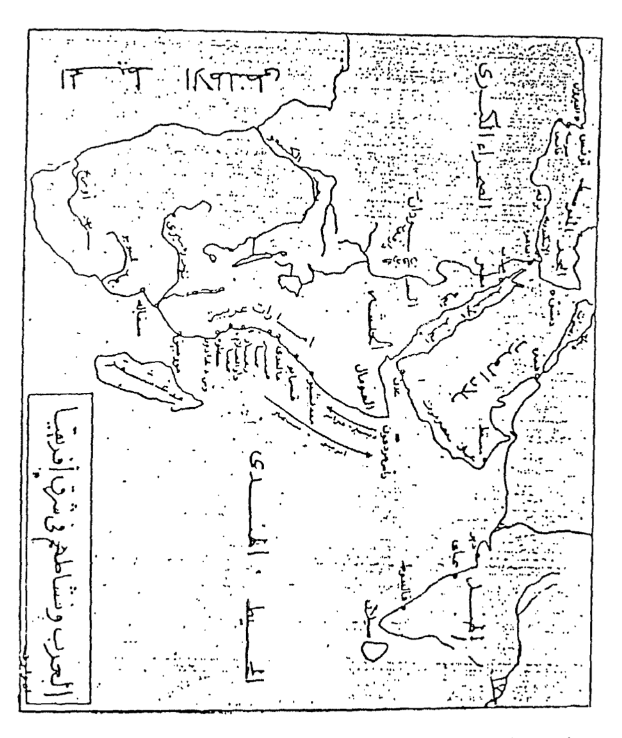
وقد حاول الاستعمار ان يقضي على هذه الحضارات الافريقية العربية وان يفرض على شعوب القارة حضارته ، ولا شك في أن من واجب الافارقة بعد أن استعادوا حريتهم واستقلالهم أن يستعيدوا وجههم الحضاري الأصيل المتمثل في اللغة والثقافة والتقاليد والعادات . ولا يعني هذا عدم الاخذ بالمفيد والملائم من حضارات الشعوب الأخرى .



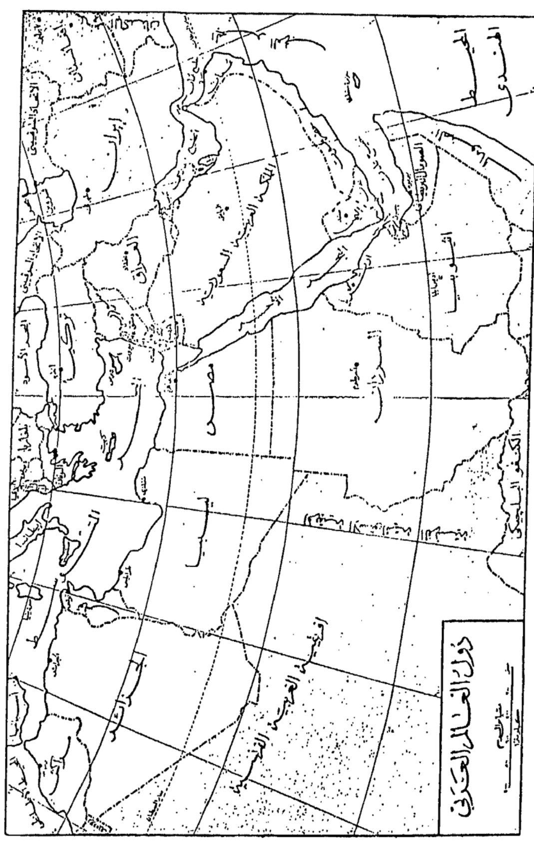


إيران
الخليج العربي
خليج عمان
راس موسندم
رأس الخيمة
الشارقة
دبي
فكان
كلبا
شناص
صحار
الخابورة
مطرح
مسقط
أبوظبي
البريمي
عبري
وادي العين
وادي أسود
جعلان
صور
جزيرة مصيرة
خليج مصيرة
راس مدركة
الربع الخالي
جزر كوريا موريا
مرباط
صلالة
بحر العرب
سلطنة عمان
كيلومترا
أعلى من ٢٠٠٠ متراً
من ٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ «
أقل من ٥٠٠ «

شكل (رقم ١)



شكل رقم (٢)



شكل رقم (٣)

مراجــع البحــث

أولا ـ مراجع باللغة العربية أو معربة :

١ ـ ابن بطوطة ، ابو عبدالله محمد بن عبدالله
تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار (بولاق ١٩٣٤) .

٢ ـ **ابن الوردي**
ذيل المختصر في أخبار البشر

٣ ـ **أحمد حمود العمري**
عمان وشرقي افريقية (١٩٧٩)

٤ ـ **ارنولد توماس**
الدعوة الى الاسلام (مترجم القاهرة ١٩٥٧)

٥ ـ **البكري ، ابو عبدالله**
المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (الجزائر ١٨٥٧)

٦ ـ **ترمنجهام ، سبنسر**
الاسلام في شرق افريقيا ، ترجمة عاطف النواوي (القاهرة ١٩٨٣)

٧ ـ **جيمس بريستيد**
تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسي (ترجمة د. حسن كمال ١٩٢٩)

٨ ـ حسن أحمد محمود (دكتور)
الاسلام والثقافة العربية في افريقيا

٩ ـ زاهر رياض (دكتور)
كنيسة الاسكندرية (١٩٦٢)

١٠ ـ سعد زغلول عبدالحميد (دكتور)
تاريخ العرب قبل الاسلام (بيروت ١٩٧٥)

١١ ـ سليم حسن (دكتور)
مصر القديمة (١٩٤٠) جـ١

١٢ ـ سونيا هاو
في طلب التوابل (ترجمة محمد عزيز رؤوف ـ القاهرة ١٩٥٧)

١٣ ـ شوقي الجمل (دكتور)
قضية روديسيا (القاهرة ١٩٧٧)

١٤ ـ شوقي الجمل (دكتور)
تاريخ كشف افريقيا واستعمارها (١٩٨٠)

١٥ ـ شوقي الجمل (دكتور)
سودان وادي النيل وحضارته وعلاقاته بمصر جـ١ (١٩٦٩)

١٦ ـ شوقي الجمل (دكتور)
الوحدة الافريقية ومراحل تطورها (١٩٦٦)

١٧ ـ **شوقي الجمل (دكتور)**
الأزهر ودوره السياسي والحضاري في افريقيا (١٩٨٨)

١٨ ـ **عبدالرحمن زكي (دكتور)**
الاسلام والمسلمون في شرق افريقيا (١٩٦٦)

١٩ ـ **عبدالرحمن زكي (دكتور)**
تاريخ الدول الاسلامية السودانية في افريقيا الغربية (١٩٦١)

٢٠ ـ **علي مبارك**
الخطط التوفيقية (١٣٠٤هـ)

٢١ ـ **العمـــري**
مسالك الأمصـــار

٢٢ ـ **محمـــد بلـــو**
اتفاق الميسور في أخبار بلاد التكرور

٢٣ ـ **محمد صفي الدين (دكتور)**
افريقيا بين الدول الاوروبية (القاهرة ١٩٥٩)

٢٤ ـ **محمد فؤاد شكري**
السنوسية دين ودولة (القاهرة ١٩٤٥)

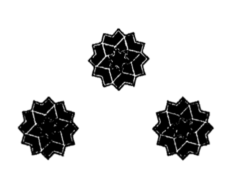
٢٥ ـ **محمد المعتصم سيد**
مهدي الصومال بطل الثورة ضد الاستعمار (د.ت)

٢٦ - **مصطفى مسعد (دكتور)**
الاسلام والنوبة في العصور الوسطى (١٩٥٦)

٢٧ - **منصور علي رجب**
الأزهر بين الماضي والحاضر (١٩٤٦)

٢٨ - **نعيم قداح**
افريقيا الغربية في ظل الاسلام (دمشق ١٩٦٠)

٢٩ - **يوسف فضل حسن**
الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية
ضمن أبحاث الندوة الفكرية لمركز دراسات الوحدة العربية (١٩٨٤)



ثانيا ـ مراجـــع أجنبيـــة :

1 - Anta Diop : L'Afrique Noir Pre Coloniale (Paris 1952)
2 - Aitchison, C.V. : A Collection of Treaties, Engament and Sanads relating to India & Neighbouring countries Vol. XII (Calcuta 1909)
3 - Burton, R. F. : The Lake Regions of Central Africa (London 1860)
4 - Coupland, R. : East Africa and Its Invaders (London 1938)
5 - Coupland, R. : The Exploitation of East Africa (London 1899)
6 - Dubois, F. : Tomboctou La Mysterieuse (Paris 1899)
7 - Duffy, James : Portuguese Africa (London 1958)
8 - Emergy, Walter, B. : Nubian Treasure (London 1948)
9 - Fage, V.W. : An Introduction to the History of West AFrica (Cambridge 1959)
10 - Freeman, G.S.. : The Medieval History of the Coast of Tangani (Berlin 1961)
11 - Freeman, G.S. : The East African Coast (Selected Documents from the First to the early Nineteenth (Oxford 1962)
12 - Hinde, Sidney Landford : The Fall of the Congo Arabs (London 1897)
13 - James, B. : Missionary Researches and Travels to Tanganyika (Dublin 1970)
14 - Mac Michael : History of the Arabs in the Sudan (Cambridge 1922)
15 - Nian, Djibril : L'Empire de Mali (Conakry 1948)
16 - Panikkar, Sardar : The Afro-Asian States and their Problems
17 - Ransford, Oliver : The Rulers of Rhodesia From Earliest Times to Refernoum (London 1966)
18 - Trimingham, J. Spencer : Islam is West Africa (Oxford 1964)

ثالثا - دوريـــــات :

١ - جمال زكريا قاسم (دكتور)
استقرار العرب في ساحل شرق افريقيا ، حوليات (آداب جامعة عين شمس المجلد العاشر) (١٩٦٧)

٢ - شوقي عطا الله الجمل
حضارة زمبابوي (مجلة الدراسات الافريقية العدد السادس)

٣ - شوقي عطا الله الجمل
الحضـارة الاسلامية العربية في غرب افريقيا سماتها ودور العرب فيها (بحث منشور بمجلة المناهل المغربية نوفمبر ١٩٧٦)

٤ - محمود طه ابوالعلا (دكتور)
المؤثرات العربية في شرق افريقيا (مجلة الجمعية الجغرافية المصرية مايو ١٩٦٠)

٥ - Strong, A. : History of Kilwa (Journal of Asiatic Society - April 1895)

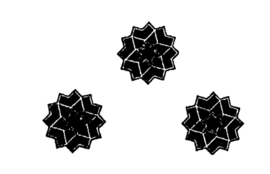
رابعا ـ رسائل جامعية :

١ ـ **ابراهيم عبدالمجيد محمد**

الاستعمار البريطاني في الصومال (١٨٨٤ ـ ١٩٢١) رسالة ماجستير غير منشورة من معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة ١٩٧٧

٢ ـ **نصر الدين رشوان حسن**

دولة ساموري في غرب افريقيا (١٨٧٢ ـ ١٨٩٨) رسالة دكتوراه من معهد البحوث والدراسات الافريقية ١٩٧٨



تعقيـــــب

د. ابراهيم الزين صغيرون

استاذ التاريخ الحديث المشارك بقسم التاريخ
كلية الآداب ـ جامعة السلطان قابوس

علـــى بحـــث

أ. دكتور شوقي عطا الله الجمل

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر بمعهد البحوث
والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة

بعنـــــوان

دور مصر وعمان الحضاري في افريقيا

في رؤية تاريخية عميقة وشاملة حاول د. شوقي عطا الله الجمل في هذا البحث القيام باستقصاء وتحليل الدور الحضاري الذي أسهمت به كل من مصر وعمان في افريقيا وأبعاد هذا الدور على المستوى الثقافي والديني والتجاري والاجتماعي والسياسي . ولعل الباحث في دراسته القيمة هذه يسهم في ابراز معالم جديدة في تاريخ العرب في افريقيا والذي لم يوضع حتى الآن في اطاره المنهجي السليم ولا يزال في حاجة الى جهود مكثفة من الباحثين عربا وأفارقة . وتنبع أهمية هذه الدراسة بوجه خاص نسبة للتحديات الفكرية والحضارية التي واجهت الاسلام والعروبة في فترة الهيمنة الأوروبية على القارة الافريقية . ولعل مثل هذه الدراسة تكون اشارة البدء إلى ضرورة تكثيف الجهود العلمية والفكرية لمزيد من الكشف عن تراثنا العربي الاسلامي حتى نتمكن من جعل تاريخ العرب في افريقيا وسيلة للالتقاء والتفاهم والتعاون بين العرب والأفارقة . فقد أثار الباحث في هذا البحث الكثير من القضايا وسلط الأضواء على كثير من الموضوعات التي تحتاج الى جهود مكثفة لاستجلاء معالمها .

وفي منهج علمي وموضوعي حاول الباحث أن يركز على محاور لعبت دورا كبيرا في نقل المؤثرات الحضارية الى شعوب القارة وهي الشرق الافريقي المتصل بعمان ومصر وبلاد المغرب العربي . وفي الحقيقة ان هذه المحاور الثلاثة كانت بمثابة مراكز الاشعاع الحضاري والفكري وكان ضعفها وركودها يؤثر بالضرورة على المناطق الافريقية التي كانت تستمد منها اشعاعاتها الحضارية والثقافية ، وليس غريبا أن من هذه المحاور نفسها انطلقت حركات التجديد والاصلاح في افريقية في القرن التاسع عشر وان كان توقيتها قد واكب الحركة الاستعمارية فكان من الطبيعي أن تصطدم بها (الصفحات ٣١-٣٤ من البحث) .

وقد أحسن الباحث وأجاد في تحليله في هذه الدراسة التي أوضحت بأن الاسلام أعطى بعدا جديدا وقويا للعلاقات العربية الافريقية وهو البعد العقائدي ، اذ اعتنقت كثير من القبائل الافريقية الدين الاسلامي . كما أشار الباحث بأن كثيرا من السلطنات التي قامت في غرب افريقية مثلا تجمع في نظمها بين أنماط محلية ونظم اسلامية (الصفحات ٩ـ١٧ . ٢٦ـ٣٦) .

ولعل الاستاذ الباحث يتفق معي بأن الدارس المتأمل في كثير من المراجع العربية والأجنبية وبخاصة المتعلقة بالتاريخ الحديث يشعر بأن الدور الحضاري العماني في افريقية لم يجد الاهتمام والعناية من الدارسين ولم ينل حقه من المعالجة العلمية والموضوعية البعيدة من الأهواء والتعصب خاصة الكتابات التي تناولت تاريخ شرق وأواسط افريقية التي كانت مسرحا للنشاط العماني . وفي اعتقادنا أن هذا يعزى لكثرة المصادر الأجنبية وطبيعة ومناهج الغالبية من هذه المصادر التي استهدفت التعتيم والتشويه لهذا الدور الريادي وشح وقلة المادة التي دونها العرب والمسلمون عامة خاصة في مجال التاريخ الحديث . وتعميما للفائدة واثراء للحوار ، وفي محاولة لكي تكتسب هذه الدراسة نوعا من التوازن في المعالجة أود أن أبدي بعض الملاحظات حول الموضوعات التي وردت في هذا البحث والمتعلقة بدور عمان الحضاري في افريقية مشيرة لبعض المصادر العمانية التي تم الكشف عنها مؤخرا والدراسات العربية والأجنبية التي تناولت هذا الموضوع والتي تمثل اضافة مهمة في استجلاء أبعاد هذا الدور الذي تناوله الباحث في هذه الدراسة .

انتشار الاسلام :

ذكر الباحث بأنه « قد اشتهر الاباضية بدورهم الواضح في نشر الاسلام خارج شبه الجزيرة العربية » (ص ٩) هذا مبحث لموضوع مهم وكنت أتمنى من

الباحث شرح هذا الدور ولو باختصار نسبة لأهميته اذ من الملاحظ أن معظم المراجع العربية الحديثة قد أغفلت هذا الدور عندما تناولت انتشار الاسلام في افريقية . وهذا يقتضي الاهتمام بتاريخ الاباضية في المغرب والذين كانوا يمارسون التجارة على نطاق واسع في غرب افريقية منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي .

فقد أدى استقرار الاباضية على أطراف الصحراء في واحات فزان وجبل نفوسه وغدامس وواحات الجزائر منذ القرن الثاني الهجري الى ارتباطهم القوي بتجارة الصحراء وعزز من ذلك الارتباط اعتناق مجموعات من قبيلتي هوارة وزناتة للمذهب الاباضي وتخصص كثير منهم في تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى . وتوسعت تجارة الصحراء بقيام الدولة الرستمية الاباضية في تيهرت بالجزائر (١٦٢-٢٩٧هـ) فقد أشرفت هذه الدولة على المنطقة الصحراوية ما بين سجلماسه وزويله واهتم الرستميون بالتجارة وطرقها فحفروا الآبار للقوافل وأرسلوا الجنود في صحبة التجار تأمينا لهم من غارات البدو . ولم ينحصر جهود الاباضية في نشر الاسلام على نشاط التجار فقط بل كانت لهم برامج مخططة « لأهل الدعوة » وهم مجموعة من رجال العلم اتجهت جهودهم لاعلاء كلمة الله وقد ذكر الشماخي أن « بلاد السودان بعامة وما يليها كانت تدين بالمذهب الاباضي » ويفهم من هذه الاشارة أن الاباضية هم أول من قام بتركيز الدعوة الاسلامية في غرب افريقية قبل وصول الاعداد الكبيرة من فقهاء المذاهب الأخرى .

ومن المعروف أن المذهب المالكي الذي ساد في غرب افريقية ـ قد ارتبطت سيادته بحركة المرابطين في الصحراء الغربية في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وقد استمر التأثير الاباضي في امبراطورية مالي

حتى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي حيث لاحظ ذلك الرحالة ابن بطوطـة .[(١)] ومما يجدر ذكره الصلة القوية التي كانت سائدة بين اباضية المشرق واباضية المغرب . وكان علماء تيهرت ونفوسه يحترمون اخوانهم في الشرق ويعتبرونهم الأساس الذي قام عليه المذهب ويلتمسون المشورة في كثير من أمور دينهم ودنياهم من أئمة المشرق ويحترمون آراءهم وينفذون نصائحهم .[(٢)]

وإذا انتقلنا الى شرق وأواسط افريقية نجد أن القرن التاسع عشر يمثل مرحلة مهمة من مراحل انتشار الاسلام حيث شقت الدعوة الاسلامية طريقها لأول مرة الى داخل البر الافريقي وقد كان ثمرة للدور الطليعي العماني في فترة السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي (١٨٠٦-١٨٥٦م) خاصة بعد اتخاذه زنجبار حاضرة للدولة العربية الاسلامية التي أرسى دعائمها في شرق افريقية . واستشرف الاسلام آفاقا جديدة عندما انتشر في تنجانيقا وأوغندا ومنطقة رواندا وبوروندي الحالية حتى امتد غربا الى أعالي الكونغو في الاقاليم الشرقية لزائير الحالية هذا فضلا عن منطقة بحيرة نياسا وجمهورية ملاوي اليوم . وقد جاء ذلك نتيجة لحركة القوافل التجارية التي انطلقت من زنجبار والساحل الشرقي الافريقي الى أواسط

---

(١) عن دور الاباضية في نشر الاسلام في افريقية اعتمدنا على دراسة قدمها الدكتور أحمد الياس حسين وعنوانها : « دور فقهاء الاباضية في اسلام مملكة مالي قبل القرن الثالث عشر الميلادي » والتي كان قد اشترك بها في « ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الاسلامية » والتي تم الاعداد لها باشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - معهد الدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٥م . وقد تم نشر هذه الدراسة أخيرا بسلطنة عمان وذلك بتقديم من الفاضل أحمد بن سعود السيابي المدير العام للشؤون الاسلامية بوزارة العدل والأوقاف وللمزيد من المعلومات التي تؤكد على هذا الدور للاباضية أنظر ما ذكره الدكتور عوض محمد خليفات في مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية . العرب وافريقية (١٩٨٤م) صفحات ٥٧-٥٨ .

(٢) الشيخ سالم بن حمد الحارثي : العقود الفضية في أصول الاباضية انظر أيضا عوض محمد خليفات : الأصول التاريخية للفرقة الاباضية ، اصدارات وزارة التراث القومي والثقافة (العدد ٢٧) النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية في شمال افريقية .

القارة حيث كان التجار العمانيون الى جانب نشاطهم التجاري يقومون بالدعوة الى الاسلام .[٣]

هذا الاسهام العماني في انتشار الاسلام قد تم دعمه فيها بعد بالتيار الاسلامي القادم من الشمال متمثلا في الدور المصري السوداني الذي شهدته منطقة البحيرات الاستوائية عندما امتد النفوذ السياسي المصري الى هذه المنطقة خاصة في فترة الخديوي اسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩م) . وقد جاء في المراسلات المتبادلة بين الكولونيل غردون مدير خط الاستواء والخديوي اسماعيل طلب الملك موتيسا الأول (١٨٥٦-١٨٨٤م) عاهل مملكة بوغندا لامداده بفقيه لتعليم أفراد شعبه تعاليم الدين الاسلامي واستجابة الخديوي بارسال بعثة دينية على رأسها « شيخ العلماء » ووصولها الى البلاد . ولعل انتشار الاسلام في اوغندا يمثل صورة مشرفة وناصعة تؤكد التقاء وتمازج الدور الحضاري العماني بالدور الحضاري المصري في منطقة استراتيجية في قلب افريقية .[٤]

النباهنة ودورهم في شرق افريقيا :

(البحث ص ١٢) هذا أيضا يعتبر من المباحث الهامة التي تعرض لها الباحث ولا يزال ينتظر المزيد من الدراسة نسبة لامتداد الفترة التي شهدت النفوذ

(٣) ابراهيم الزين صغيرون : لمحات تاريخية عن انتشار الاسلام في أوغندا ،مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، العدد السادس (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) صفحات ٢٠-٢٣ .

(٤) عن الدور المصري في انتشار الاسلام في منطقة البحيرات الاستوائية - أنظر الدراسة الوثائقية التي نشرها الاستاذ الدكتور محمد فؤاد شكري .

Shukry, M.F., Equatoria Under Egyptian Rule, (Unpublished Correspondence of Col. C.G. Gordon, 1874-1876), (Cairo, 1953

النبهاني من القرن الثالث عشر الى الثامن عشر الميلادي . وجاء في حولية بته (Pate Chronicle) وهي من المصادر المحلية المهمة بأن هذه الأسرة من النباهنة من عرب عمان قد تمكنت من توسيع سلطانها ونفوذها في القرن الرابع عشر الميلادي ففرضت سيادتها على أرخبيل لامو ومالندي وامتد النفوذ النبهاني شمالا الى اقليم البنـادر (وهي المـدن والقـرى التي على طول بلاد الصومال في ضفاف المحيط الهندي) فضمت الى حكمها قسمايو ، وبراوة ، ومقديشو . أما من ناحية الجنوب فقـد امتـد هذا النفوذ الى سنقومنارا (Songo Manara) بالقرب من كلوة المدينة الاسـلامية المشهـورة حيث شيدوا الجامع النبهاني الذي يرجع تاريخه الى القرن الرابع عشر الميلادي طبقا لما كشفت عنه الحفريات الأثرية الحديثة . وظلت الأسرة النبهانية في الحكم حتى عام ١٧٤٥م .(٥)

الكشـــوف الجغرافيـــة :

(البحث ص ١٧) ان ما ذكره الباحث عن الخدمات التي قدمها الشيخ حميد المرجبي للرحالة ستانلي في كشف نهر الكونغو جدير بالاهتمام ودليل واضح بأن أوروبا لم تنجح في كشوفها الجغرافية في افريقية الا باعتمادها على مساعدة عرب عمان كأدلاء أو بخطوط وطرق القوافل التي أنشأها العمانيون خاصة في عهد السيد سعيد بن سلطان ، هذا فضلا عن دراسة المصنفات التي كتبها العرب عن افريقية قبـل عدة قرون من بدء عملية الكشوف الجغرافية . فالطرق التجارية العمانية وصلت الى البحـيرات الاستـوائية وأواسط الكـونغو ، وانشاء الكثير من المراكز العربية الشهيرة (مثل تابورا ـ أوجيجي وكاسنجو) والتي كانت عاملا حضاريا في

---

(٥) أنظر كتاب الدكتور أحمد عيضة سالم أستاذ التاريخ الافريقي الحديث بجامعة نيروبي والمنشور باللغة الانجليزية :

Salim A.I., The Swahili Speaking Peoples of Kenyas Coast, 1895-1965, (Nairobi, 1973) pp. 21-23.

دواخل القارة الافريقية وقد اعترف الرحالة والمستكشفون الأوروبيون بأهمية هذه المراكز العربية في تحقيق كشوفهم[٦]هذا اضافة الى ما ذكرة ف. ب بيرس في كتابه « زنجبار حاضرة افريقية الشرقية » (لندن ١٩٢٠) بأن العمانيين الذين جاءوا في ركاب السيد سعيد قد كانوا رواد حركة الكشوف في « القارة المظلمة » وأشار بأن « رواياتهم عن البحيرات وقمم الجبال المغطاة بالثلوج هي التي اثارت اهتمام الأوروبيين بافريقية » .[٧]وقد أورد الشيخ سعيد بن علي المغيري في كتابه « جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار » رواية على قدر كبير من الأهمية . وتؤكد هذا الدور حين وصفهم بالمكتشفين للبر الافريقي ، وهم أول من وصل الى أعالي نهر الكونغو . وانفرد المغيري بذكر البعض من الرواد الأوائل الذين ترددت أسماؤهم في الروايات المحلية ومنهم : « سعيد بن محمد العيسري ، حبيب بن سالم العفيفي ، ناصر بن سيف المعمري ، عيسى بن عبدالله الخروصي ، عبيد الله بن سالم الخضوري الساكن صور بعمان ، وجمعه بن سالم البكري من أهل نزوى بعمان » .[٨]

المؤثرات العربية العمانية في الثقافة السواحلية :

(البحث ص ٢٦) أشار الباحث الى مدى اقتباس الألفاظ العربية في اللغة السواحلية والتي قدرها البعض بـ ٦٠٪ الا انني أعتقد بأن هذه النسبة لا يتعدى كونها احدى التقديرات التكهنية ولعل المصدر الذي اعتمد عليه الباحث قد جنح

(٦) 1. Burton, R.F., The Lake Regions of Central Africa, (London, 1860), Vol. II, pp. 194-195 and 326-328
2. Stanley, H.M., Through The Dark Continent, (London, 1878) Vol. I, p. 144
3. Speke, J.H., Journal of the Discovery of the Sources of the Nile, (London, 1863), pp. 207, 245.

(٧) Pearce, F.B., Zanzibar : The Island Metropolis of Eastern Africa, (London, 1920), pp. 119-120

(٨) الشيخ سعيد بن علي المغيري : جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار (ط ١) ، تحقيق عبدالمنعم عامر (ط ٢) ، تحقيق محمد علي الصليبي ١٩٨٥ ، وزارة التراث القومي والثقافة ، صفحات ١١٩-١٢٠ .

للمبـالغة خاصة إذا علمنا بأن السواحلية لغة افريقية في المقام الأول وهي لغة بانتـوية على وجـه التحـديد من حيث قواعـدهـا وتـراكيبها . وإذا أخذنا برأي المتخصصين من أبناء السواحلية والمهتمين بأمر البحث عن شؤونها نجد منهم من يذكر بأن حوالي ٧٢٪ من قاموس السواحلية يرجع للغة البانتويه وترجع نسبة ٢٢٪ للغة العربية . وان النسبة تختلف من منطقة الى أخرى ومن شخص لآخر ومن مؤلف لآخـر ومن شاعـر لآخر على حسب استعماله اللغة وطبقا لظروف الزمان والمكان . الا أن ما يهمنا في هذا الاطار هو دور العمانيين في تطور وانتشار اللغة السواحلية النابع من دورهم الحضاري في مجال الادارة والتجارة وانتشار الاسلام فاكتسبت اللغـة رقعة شاسعة ومجالات استعمال جديدة . فقد وصلت في الفترة ما بين ١٨٦٠-١٨٩٠ حتى مملكة بوغندا في أوغندا الحالية حيث استخدمت في الأسواق والبلاط والمحاكم وواصلت زحفها غربا في أواسط افريقية لتصل اقليم كاتنقا في زائير الحالية وامتدت على طول الساحل الشرقي حتى موزمبيق جنوبا . ولاشـك أن لذلـك ما يبرره فاللغـة السـواحلية ثمـرة من ثمار الاتصـال العربي الافريقي .[٩]هنا يجدر بنا أن نشير إلى محاولات المسخ والتشويه للدور الاسلامي والحضـاري للعرب بخاصة العمانيين منهم وقد امتد هذا المسخ لتحريف اللغة السواحلية بمحاولات استهدفت استبدال الكلمات ذات الأصول العربية بكلمات أخرى . فمثلا عندما تم القيام بوضع قاموس سواحلي ـ انكليزي في تنزانيا تعمد المسئولون تخفيض استخدام الألفاظ والمصطلحات العربية واستبدالها بكلمات من

(٩) سيد حامـد حريز : المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية (بيروت ، ١٩٨٨) صفحات ٨٨-٨٩ ، أنظر أيضا بحث الـدكتـور خريز : الثقافة السواحلية : أصولها ومقوماتها وتطورها والمنشور في كتاب : العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الافريقية (تونس ، ١٩٨٥) . ومن الباحثين المحليين الذين كتبوا عن « اسهام اللغة العربية في تطور اللغة السواحلية » الدكتور هـ.م باتيبو الاستاذ بجامعة دار السلام في تنزانيا . وقد نشر هذا البحث في مجلة « الاسلام اليوم » التي تصدرها المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، العدد الثاني (الرباط ١٩٨٣) وعنوانه :
Batibo, H.M., "Contribution of the Arabic Language to the Development of Kiswahili."

لغة البانتو.[10]

مشاركة عرب عمان الأفارقة في الوقوف ضد الاستعمار :

(البحث صفحات ٣٢-٣٣) هذا أيضا من الموضوعات المهمة التي تناولها الباحث في اطار العلاقات العربية الافريقية . فمن الأمور التي تسترعي الانتباه أن الارهاصات القومية ضد الحركات الاستعمارية شارك فيها العرب إلى جانب الأفارقة . أما عن الدور العماني فيمكننا أن نلخصه بوضوح في الدور الطليعي الذي قام به التجار العمانيون في دعم وتسليح انتفاضة المسلمين الأفارقة في أوغندا والتي انتهت بطرد المنصرين الأوروبيين في الفترة (١٨٨٨-١٨٩٠) .[11]

وحركة المقاومة التي تزعمها الشيخ بشيربن سالم الحارثي[12] في تنجانيقا ضد مذابح الألمان في شرق افريقية وحركة المقاومة والجهاد التي تزعمها كل من سيف بن حميد المرجبي ومحمد بن خلفان البرواني ضد الزحف البلجيكي في الكونغو.[13] وقد استمر النشاط التجاري العربي ونما تحت الاستعمار البلجيكي كما

---

(١٠) أنظر في هذا الاطار ما جاء في محاضرة الشيخ عامر بن علي بن عمير المرهوبي في ندوة رأس الخيمة التاريخية : « الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق افريقية (١٩٨٧) » الجزء الأول ، ص ٢٠ . والدكتور أحمد عيضة سالم « العرب وافريقيا » الندوة الفكرية لمركز دراسات الوحدة العربية (١٩٨٤) ، ص ٤٧ .

(١١) للمزيد من التفاصيل عن الثورة الاسلامية في أوغندا يرجع الى الفصل الثاني في كتابنا الصادر بالانجليزية :

Soghayroun, I.E., The Omani & South Arabian Muslim Factor In East Africa, (Riyadh, 1984), pp. 71-97.

(١٢) أفرد الشيخ المغيري فصلا في كتابه للحديث عن الشيخ بشيربن سالم الحارثي وحركة المقاومة التي تزعمها ضد الألمان . أنظر : « جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار » صفحات ٢٨٣-٢٨٧ .

(١٣) بعث القنصل البريطاني في زنجبار بتقرير عن وقائع حركة المقاومة العربية ضد الزحف البلجيكي في الكونغو الى وزارة الخارجية . لمزيد من التفاصيل يرجع الى هذا التقرير في الوثائق البريطانية :

F.O. 403/79, Acting Consul-General Holmwood to the Marquis of Salisbury, Zanzibar, January 8, 1887.

ساهم العرب في كفاح القومية الافريقية ضد ذلك الاستعمار ، وحاول البلجيك اثارة العداوة ضد العرب باتهامهم بأنهم كانوا تجار رقيق كي يضعفوا القومية الافريقية ويوجهوا عداوتها ضد العرب ويثيروا الانقسام بين الأفارقة والعرب ، الا ان هذه السياسة لم تنجح . لقد كان العرب أعضاء في الأحزاب السياسية الافريقية وتعرضوا لقسوة الاضطهاد مع الوطنيين الأفارقة تحت نير الحكم البلجيكي . كما أن باتريس لوممبا الزعيم الزائيري الراحل وأول رئيس لحكومة وطنية في البلاد قاوم الدعايات البلجيكية ضد العرب ووصف العرب بأنهم « أخوال » الزائيريين .[١٤]ونتيجة لهذا التلاحم والكفاح المشترك بين العرب والأفارقة كان من الطبيعي أن يدلي جرانفيل وزير الدولة في أول حكومة وطنية في الكونغو بالتصريح التالي والذي يدحض كل المفتريات التي استهدفت تشويه التاريخ العربي في افريقية حين قال :

لقد زور البلجيكيون كل شيء في الكونغو . . . فليست مدينة ستانلفيل سوى مدينة تيبوتب (حميد بن محمد المرجبي) القديمة التي أقامها قبل وصول الرحالة ستانلي ، وليس العرب المسلمون ـ كما قالوا لنا ـ تجار رقيق ، وانما هم تلك الموجة الانسانية التي اختلطت بنا وصاهرتنا وتركوا لنا على أرضنا دماءهم والبلجيكيون يحصدونهم بالأسلحة الحديثة ، وليس أعز علينا شيء سوى هذا الدم العربي الذي سال في الماضي كما سال ويسيل دمنا على أرضنا . . . على أيدي نفس أعداء العرب في القرن الماضي » .[١٥]

---

(١٤) أحمد عيضة سالم : العرب وافريقيا ، الندوة الفكرية لمركز دراسات الوحدة العربية (١٩٨٤) ص ١٥٦ .

(١٥) أحمد ابراهيم دياب : لمحات من التاريخ الافريقي الحديث (الرياض ١٩٨١) ص ٨٢ .

قيام حركات الاصلاح ودور الأزهر الحضاري والعلماء في شرق افريقية :

(البحث صفحات ٣٣-٣٥) قد اتضح الدور العماني في هذا الجانب الحيوي بظهور طائفة من العلماء الأفذاذ الذين كانت لهم مكانة سامية في الدولة البوسعيدية ، وكانوا موضع الاحترام والتكريم من سلاطين زنجبار . فالعلماء والفقهاء كانوا القوة المحركة في مجالات حيوية متعددة . فقد كانوا هم الذين يقومون بتطبيق حكم الشرع في زنجبار وملحقاتها كما أوكلت اليهم مهمة التربية والتعليم والارشاد وبالتالي الاشراف على النظام التعليمي واشاعة القيم الاسلامية في مجتمع زنجبار وشرق افريقية . وقد أسهم هؤلاء العلماء في نشر الوعي والثقافة الاسلامية تدريسا وتأليفا وتتلمذ على أيديهم أعداد غفيرة من سكان زنجبار والمناطق الداخلية في شرق افريقية . ومن هذا المنطلق ولتحقيق الهدف المنشود فقد قاموا بالرحلات العلمية للاحتكاك والافادة من مصادر المعرفة الأصيلة في المعاهد العلمية الكبيرة ومراكز الدراسات الاسلامية في الأراضي المقدسة وعمان وحضرموت . وبمرور الأيام كونوا لأنفسهم مركزا مرموقا ومستقلا لا يقل عن المراكز الاسلامية التقليدية الأخرى في العالم الاسلامي .[١٦]

وقد تأثر علماء شرق افريقية برواد حركة التجديد الاسلامي في مصر وذلك في الدعوة الى تجديد حيوية المسلمين ، والهامهم بالاحساس بالكرامة والتمشي مع روح العصر والتضامن والحفاظ على القيم الدينية . وكان من الطبيعي أن تجد هذه الأفكار صدى وتجاوبا معها في أوساط علماء شرق افريقية . وقد أوردت المراجع المحلية الحديثة تأثير رواد حركة الاصلاح في مصر الذي انعكس على عدد من

---

(١٦) ابراهيم الزين صغيرون : « المؤثرات الحضارية العمانية في شرق افريقية في ظل الدولة البوسعيدية » ص ٣٤-٣٥ . بحث مقدم إلى وزارة الاعلام بسلطنة عمان ضمن أبحاث قدمت لندوة علمية موضوعها« عمان في التاريخ » .

مشاهير العلماء من أمثال سيد منصب بن علي (١٨٦٣-١٩٢٧) الذي تتلمذ على يدي الشيخ علي بن خميس بن سالم البرواني (١٨٥٢-١٨٨٦م) ، والشيخ أحمد بن سميط (١٨٦١-١٩٢٥م) والشيخ الأمين بن علي المزروعي (١٨٩١-١٩٤٧م) . أشارت المصادر المحلية لتداول كتب الامام محمد عبده ومن المجلات والدوريات المصرية « المنار » المجلة الاصلاحية التي كان يصدرها محمد رشاد رضا ومجلة « الهلال » و« المقتطف » ومن الجرائد « اللواء » لسان حال الحزب الوطني بزعامة مصطفى كامل و« المؤيد » التي كانت من أبرز جرائد التضامن الاسلامي والتي كان يحررها الشيخ علي يوسف .[١٧]

ومن الأشياء الجديرة بالتسجيل أن العلماء في شرق افريقية لم يكونوا في موقف التلقي السلبي والأخذ دون العطاء فقد أسهموا بدورهم في اصلاح المجتمعات الاسلامية عمليا سواء في حلقات الدرس في المساجد والمدارس ودور كبار العلماء أو في مجال الكتابة والتأليف والتي تشكل في مجملها القاعدة الأساسية للتعليم الاسلامي في زنجبار والمراكز الأخرى في بيمبا ولامو وممباسة ومالندي وكلوه . ومما يبرز الفكر الاصلاحي بجلاء سواء في مناهج التعليم أو النشاط الثقافي الاسلامي بصفة عامة نشأة الصحافة لأول مرة في شرق افريقية . فقد كان مولد الصحافة العمانية في زنجبار حيث أنشأوا هناك صحفا منها « الفلق » و« النهضة » و« النجاح » و« الاصلاح » . وقد قامت هذه الصحف بدور ملحوظ في النهضة الأدبية وتوعية المسلمين في شرق افريقية بأمور دينهم ودنياهم ،

---

(١٧) أحمد عيضة سالم :

'The Swahili Speaking Peoples of Kenyas Coast, 1895-1965' pp. 159-168

أنظر أيضا : ابراهيم الزين صغيرون : « المؤثرات الحضارية العمانية في شرق افريقية » صفحات ٣٦-٣٧ .

وبالأخطار التي تتعرض لها المجتمعات الاسلامية في تلك الفترة ، والمبادىء والقيم التي ينبغي التمسك بها للحفاظ على هويتهم العربية والاسلامية .[١٨]

الآثــار الاجتماعيــة :

(البحث صفحـات ٣٥-٣٦) لابـد من الاشـارة هنا الى ظاهرة جديرة بالتسجيل وهي تتعلق بروح الانـدماج والانصهار في المجتمعات الافريقية التي أبداها العمانيون في هجراتهم الى مناطق أواسط افريقية . وقد تم ذلك عن طريق التـزاوج والمصـاهـرة وتجاهل التصنيف العرقي ، هذا فضلا عن قيام مجتمعات حضرية لاتـزال متمسكـة بهويتهـا العـربية الاسلامية في مناطق في قلب القارة الافريقية في كل من رواندا وبوروندي وشرق زائير في أعالي نهر الكونغو . وكان لهذا التجـانس الاجتـماعي دلالات ومغـزى عميق في تاريخ العلاقات العربية الافـريقية ، فقـد ضرب الرواد من العمانيين من حملة مشاعل الحضارة العربية الاسلامية في مجاهل القارة الافريقية ، مثلا رائعا في الاندماج والانسجام الايجابي حيثما كانوا يقيمون بين من يتصلون بهم من الجماعات الافريقية ، وذلك بالمشاركة الفـاعلة في حياتهم الاجتماعية وتوثيق صلاتهم بهذا المنهج والأسلوب الاسلامي الـذي لا يعرف التفرقة والفصل العنصري . ونتيجة لهذا الموقف انصهر سكان

---

(١٨) كان من أبرز رؤساء التحرير لصحيفتي « الفلق » و« النهضة » كل من الشيخ أحمد بن حمدون الحارثي والشيخ هاشل بن راشد المسكري والشيخ عبدالله بن حمود الحارثي والسيد سيف بن حمود بن فيصل والشيخ ناصر بن سليمان اللمكي كما أصدر العلامة الشيخ ابو مسلم ناصر بن سالم الرواحي جريدة « النجاح » الأسبوعية في زنجبار وتولى رئاسة تحريرها عدة سنوات . لمزيد من التفاصيل عن الدور العماني في هذا المجال أنظر :

(١) أحمد الفلاحي : التأليف والنشر في عمان ، مجلة عالم الكتب ، المجلد الثالث (الرياض ، ١٩٨٣) ص ٥٩٥ .

(٢) ابراهيم الزين صغيرون : « المؤثرات الحضارية العمانية في شرق افريقية » صفحات ٣٨-٣٩ .

(٣) مجلة الأسرة : سلطنة عمان ، العدد ٤٩٣ بتاريخ ١٦/٥/١٩٩٠م مقالة عنوانها : « أبو مسلم الرواحي : العالم : الشاعر . الصحفي ، صفحات ٤٨-٥١ . »

بعض هذه المجتمعات في شرق افريقية في الدم العربي ، وهذه الرغبة في الزواج والمصاهرة بالاضافة إلى أن هيبة الاسلام وثراء حضارته تعللان لنا حقيقة أن الكثيرين من الأفارقة يشعرون بفخر الانتهاء الى النسب العربي اضافة الى هويتهم الاسلامية .(١٩)

الآثار السياسية وقيام الدول :

في الحديث عن النظام السياسي والاداري الذي ساد في شرق افريقية أبدى الباحث ملاحظة « بأن العرب في شرق افريقية كونوا امارات منفردة فلم تتكون امبراطورية عربية متحدة مثلا » هذا القول يصدق على الفترة التاريخية التي سبقت وتزامنت مع الاحتلال البرتغالي لشرق افريقية . أما الفترة التي أعقبت الانتصار العماني على البرتغاليين وطردهم من شرق افريقية فقد مهدت السبيل لقيام دولة كبيرة واسعة الأرجاء في عهد السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي (١٨٠٦-١٨٥٦م) خاصة بعد أن انتقل الى زنجبار في عام **١٨٣٢**م .

وأصبح يشار لسلطنة زنجبار وملحقاتها في كثير من المصادر وحتى الأوربية منها بـ « امبراطورية شرق وأواسط افريقية » حيث امتد نفوذها الى أواسط افريقية في الدولة التي أقامها حميد بن محمد المرجبي في أعالي الكونغو والتي كانت تدين بالولاء لسلاطين زنجبار .

وليس هناك شك في أن سلطنة زنجبار في شرق افريقية قد أدخلت المنطقة من باب التاريخ الحضاري الواسع . ويعتبر عصر السيد سعيد بن سلطان من

---

(١٩) كوليت ميزون : « هجرات الحرث الى أواسط القارة الافريقية » ، وزارة التراث القومي والثقافة ، العدد ٦١ ، نوفمبر ١٩٨٤م .

أزهى العصور التي مرت بشرق افريقية خلال القرن التاسع عشر رغم الصعوبات التي واجهته في بناء الدولة وارساء قواعد الأمن والاستقرار في هذه الامبراطورية العربية الافريقية مما جعل الكثير من المؤرخين عربا وأجانب يصفونه بأنه من أبرز الشخصيات الهامة ليس في تاريخ العرب الحديث فحسب بل في التاريخ الافريقي . فالدولة التي أرسى دعائمها شملت كل مظاهر ومقومات الدولة العصرية الحديثة سواء في نظم الحكم من ولاة ووزراء ومستشارين وقوات تظامية تتمثل في الجيش والأسطول ونظام المحاكم والقضاء هذا فضلا عن التنمية والنهضة الزراعية التي شهدتها زنجبار وشرق افريقية وذلك بادخال محاصيل جديدة لأول مرة في تلك المنطقة .[٢٠] وغني عن القول أن الازدهار الاقتصادي المتمثل في النشاط التجاري وفتح طرق القوافل التجارية الى مجال القارة الافريقية قد انعكس كل هذا في مجال العلاقات الخارجية في النشاط الدبلوماسي المكثف والذي برز في معاهدات التجارة والصداقة التي أبرمت مع الدول الأوروبية والولايات المتحدة

---

(٢٠) من أفضل المصادر العمانية التي تم الكشف عنها بجهود وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان والتي عالجت سيرة السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي والدولة البوسعيدية في شرق افريقية وأسهم بها مؤلفون معاصرون للأحداث واعتمدوا على مصادر وثائقية عربية وألقت الضوء على الدور العماني في افريقية في مختلف المجالات ما يلي :

(١) المغيري : « جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار » ، وقد قام بتحقيق الكتاب كل من الأستاذين عبدالمنعم عامر؛ طبعة أولى ؛ (١٩٧٩) ، ومحمد علي الصليبي طبعة ثانية (١٩٨٦) .

(٢) الشيخ عبدالله بن صالح الفارسي : « البوسعيديون حكام زنجبار » ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، وزارة التراث القومي والثقافة (١٩٨٢) .

(٣) حميد بن محمد بن رزيق : « الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين » ، تحقيق عبدالمنعم عامر و د. محمد مرسى عبدالله ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م . وقد أفرد ابن رزيق في كتابه ملحقا كاملا تناول فيه سيرة السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي يقع في مائة صفحة سماه « بدر التمام في سيرة السيد الهمام سعيد بن سلطان » أنظر صفحات ٤٥٦-٥٦٥ .

الأمريكية والذي جعل من زنجبار بحق مركز اشعاع سياسي واقتصادي وثقافي وحاضرة شرق افريقية دون منازع .[21]

ولعل من المناسب في اطار هذه الندوة وموضوعاتها : « العلاقات العمانية المصرية عبر التاريخ » وعلى سبيل التماثل والتمازج في الدور في افريقية والمعاصرة في الفترة التاريخية استقصاء أوجه الشبه في الدور الحضاري في افريقية في سيرة الوالي محمد علي في مصر (١٨٠٥-١٨٤٩) والتي تزامنت الى حد كبير مع فترة السيد سعيد بن سلطان في شرق افريقية (١٨٠٦-١٨٥٦) . ويمكن على سبيل المثال الاشارة الى الدور الذي قام به محمد علي في قيام الدولة الحديثة في مصر وبناء امبراطورية امتدت الى مشارف البحيرات الاستوائية والمؤثرات الحضارية المصرية التي جاءت في ركاب هذه الدولة للمناطق الافريقية المختلفة التي وصلها النفوذ المصري . ومما يدعم هذا المفهوم في تناول الدورالحضاري لكل من مصر وعمان في افريقية ما أثبته الدكتور رفعت غنيمي الشيخ في احدى الدراسات التي قدمها عن العلاقات الودية المتبادلة بين السيد سعيد والوالي محمد علي في هذه الفترة .[22]

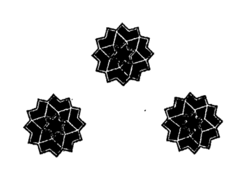
وختاما ان الملاحظات والتعليقات التي جاءت في هذا التعقيب لا تقلل بحال من الأحوال من قيمة هذا البحث وانما دليل على أهميته وحيويته التي دفعتني بدوري للاسهام ببعض الملاحظات والاشارات التي تتعلق بالدور العماني في افريقية اثراء للحوار في هذه الندوة ولعلها مع هذه الدراسة القيمة للاستاذ الدكتور/ شوقي الجمل تكون بمثابة دعوة للباحثين العرب والافارقة أن يتحروا بموضوعية ما يأخذونه عن المصادر الأجنبية التي عمد الكثير منها الى تشويه تاريخ

---

(٢١) ابراهيم الزين صغيرون : « المؤثرات الحضارية العمانية في شرق افريقية » ، صفحات ٤-٥ .

(٢٢) أ.د. رأفت غنيمي الشيخ: « صلات عمان بالولايات المتحدة الامريكية خلال فترة حكم السيد سعيد بن سلطان » ، وزارة التراث القومي والثقافة ، العدد التاسع ، (١٩٨٣) ، صفحات ٥-٧ .

العرب في افريقية ومن ثم ينبغي التصدي لما جاء فيها وليس الوقوع تحت تأثيرها ، لتصحيح صورة العرب في ذهن الأفارقة وذلك لن يتأتى الا بجهد علمي وفكري يربط الأفارقة والعرب بتراثهم العربي الذي حجبه الاستعمار وتنقية تاريخ العرب في افريقية من الشوائب والتشويه المتعمد . وهنا لابد من تضافر الجهود لاجراء الدراسات الميدانية وذلك بالتنسيق مع الجهات الرسمية والمعاهد العلمية في تلك البلاد لجمع التراث المدون في المخطوطات والوثائق قبل أن يتعرض للضياع والاندثار ، والله الموفق وهو الهادي الى سواء السبيل .



المصــادر :

(١) عن دور الاباضية في نشر الاسلام في افريقية اعتمدنا على دراسة قدمها الـدكتور أحمد الياس حسين وعنوانها : « دور فقهاء الاباضية في اسلام مملكة مالي قبل القرن الثالث عشر الميلادي » والتي كان قد اشترك بها في « ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الاسلامية » والتي تم الاعـداد لها باشراف المـنظمـة العـربية للتربية والثقـافة والعلوم ـ معهد الدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٥م . وقد تم نشر هذه الدراسة أخيرا بسلطنة عمان وذلك بتقديم من الفاضل أحمد بن سعود السيابي المدير العام للشئون الاسلامية بوزارة العدل والأوقاف وللمزيد من المعلومات التي تؤكد على هذا الدور للاباضية أنظر ما ذكره الدكتور عوض محمد خليفات في منـاقشـات النـدوة الفكـرية التي نظمهـا مركـز دراسـات الـوحـدة العربية . العرب وافريقية (١٩٨٤م) صفحات ٥٧ـ٥٨ .

(٢) الشيخ سالم بن حمد الحـارثي : العقود الفضية في أصول الاباضية انظر أيضـا عوض محمـد خليفـات : الأصـول التـاريخية للفـرقة الاباضية ، اصدارات وزارة التراث القومي والثقافة (العدد ٢٧) النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية في شمال افريقية .

(٣) ابـراهيم الـزين صغـيرون : لمحـات تاريخية عن انتشـار الاسـلام في أوغنـدا ،مجلة كلية العلوم الاجتـماعية ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، العدد السادس (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م) صفحات ٢٠ـ٢٣ .

(٤) عن الدور المصري في انتشار الاسلام في منطقة البحيرات الاستوائية ـ أنظر الدراسة الوثائقية التي نشرها الاستاذ الدكتور محمد فؤاد شكري .

Shukry, M.F., Equatoria Under Egyptian Rule, (Unpublished Correspondence of Col. C.G. Gordon, 1874-1876), (Cairo, 1953

(٥) أنظر كتاب الدكتور أحمد عيضة سالم أستاذ التاريخ الافريقي الحديث بجامعة نيروبي والمنشور باللغة الانجليزية :

Salim A.I., The Swahili Speaking Peoples of Kenyas Coast, 1895-1965, (Nairobi, 1973) pp. 21-23.

(٦)
1. Burton, R.F., The Lake Regions of Central Africa, (London, 1860), Vol. II, pp. 194-195 and 326-328
2. Stanley, H.M., Through The Dark Continent, (London, 1878) Vol. I, p. 144
3. Speke, J.H., Journal of the Discovery of the Sources of the Nile, (London, 1863), pp. 207, 245.

(٧) Pearce, F.B., Zanzibar : The Island Metropolis of Eastern Africa, (London, 1920), pp. 119-120

(٨) الشيخ سعيد بن علي المغيري : جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، تحقيق الاستاذين عبدالمنعم عامر (ط ١) ١٩٧٩ ومحمد علي الصليبي (ط ٢) ١٩٨٥ ، وزارة التراث القومي والثقافة ، صفحات ١١٩-١٢٠ .

(٩) سيد حامد حريز : المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية (بيروت ، ١٩٨٨) صفحات ٨٨-٨٩ ، أنظر أيضا بحث الدكتور حريز : الثقافة السواحلية : أصولها ومقوماتها وتطورها والمنشور في كتاب : العلاقة بين .

الثقافة العربية والثقافة الافريقية (تونس ، ١٩٨٥) . ومن الباحثين المحليين الذين كتبوا عن « اسهام اللغة العربية في تطور اللغة السواحلية » الدكتور هـ. م باتيبو الاستاذ بجامعة دار السلام في تنزانيا . وقد نشر هذا البحث في مجلة« الاسلام اليوم » التي تصدرها المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، العدد الثاني (الرباط ١٩٨٣) وعنوانه :

Batibo, H.M., "Contribution of the Arabic Language to the Development of Kiswahili."

(١٠) أنظر في هذا الاطار ما جاء في محاضرة الشيخ عامر بن علي بن عمير المرهوبي في ندوة رأس الخيمة التاريخية : « الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق افريقية (١٩٨٧) » الجزء الأول ، ص ٢٠ . والدكتور أحمد عيضة سالم « العرب وافريقيا » الندوة الفكرية لمركز دراسات الوحدة العربية (١٩٨٤) ، ص ٤٧ .

(١١) للمزيد من التفاصيل عن الثورة الاسلامية في أوغندا يرجع الى الفصل الثاني في كتابنا الصادر بالانجليزية :

Soghayroun, I.E., The Omani & South Arabian Muslim Factor In East Africa, (Riyadh, 1984), pp. 71-97.

(١٢) أفرد الشيخ المغيري فصلا في كتابه للحديث عن الشيخ بشير بن سالم الحارثي وحركة المقاومة التي تزعمها ضد الألمان . أنظر : « جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار » صفحات ٢٨٣-٢٨٧ .

(١٣) بعث القنصل البريطاني في زنجبار بتقرير عن وقائع حركة المقاومة العربية ضد الزحف البلجيكي في الكونغو الى وزارة الخارجية . لمزيد من التفاصيل يرجع الى هذا التقرير في الوثائق البريطانية :

F.O. 403/79, Acting Consul-General Holmwood to the Marquis of Salisbury, Zanzibar, January 8, 1887.

(١٤) أحمد عيضة سالم : العرب وافريقيا ، الندوة الفكرية لمركز دراسات الوحدة العربية (١٩٨٤) ص ١٥٦ .

(١٥) أحمد ابراهيم دياب : لمحات من التاريخ الافريقي الحديث (الرياض ١٩٨١) ص ٨٢ .

(١٦) ابراهيم الزين صغيرون : « المؤثرات الحضارية العمانية في شرق افريقية في ظل الدولة البوسعيدية » ص ٣٤-٣٥ . بحث مقدم إلى وزارة الاعلام بسلطنة عمان ضمن أبحاث قدمت لندوة علمية موضوعها « عمان في التاريخ » .

(١٧) أحمد عيضة سالم :

'The Swahili Speaking Peoples of Kenyas Coast, 1895-1965' pp. 159-168

أنظر أيضا : ابراهيم الزين صغيرون : « المؤثرات الحضارية العمانية في شرق افريقية » صفحات ٣٦-٣٧ .

(١٨) كان من أبرز رؤساء التحرير لصحيفتي « الفلق » و « النهضة » كل من

الشيخ أحمد بن حمدون الحارثي والشيخ هاشل بن راشد المسكري والشيخ عبدالله بن حمود الحارثي والسيد سيف بن حمود بن فيصل والشيخ ناصر بن سليمان اللمكي كما أصدر العلامة الشيخ ابو مسلم ناصر بن سالم الرواحي جريدة « النجاح » الأسبوعية في زنجبار وتولى رئاسة تحريرها عدة سنوات .
لمزيد من التفاصيل عن الدور العماني في هذا المجال أنظر :

(١) أحمد الفلاحي : التأليف والنشر في عمان ، مجلة عالم الكتب ، المجلد الثالث (الرياض ، ١٩٨٣) ص ٥٩٥ .

(٢) ابراهيم الزين صغيرون : « المؤثرات الحضارية العمانية في شرق افريقية » صفحات ٣٨-٣٩ .

(٣) مجلة الأسرة : سلطنة عمان ، العدد ٤٩٣ بتاريخ ١٦/٥/١٩٩٠م مقالة عنوانها : « أبو مسلم الرواحي : العالم : الشاعر . الصحفي ، صفحات ٤٨-٥١ . »

(١٩) كوليت ميزون : « هجرات الحرث الى أواسط القارة الافريقية » ، وزارة التراث القومي والثقافة ، العدد ٦١ ، نوفمبر ١٩٨٤م .

(٢٠) من أفضل المصادر العمانية التي تم الكشف عنها بجهود وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان والتي عالجت سيرة السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي والدولة البوسعيدية في شرق افريقية وأسهم بها مؤلفون معاصرون للأحداث واعتمدوا على مصادر وثائقية عربية وألقت الضوء على الدور العماني في افريقية في مختلف المجالات ما يلي :

(١) المغيري : « جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار » ، وقد قام بتحقيق

الكتاب كل من الأستاذين عبدالمنعم عامر؛ طبعة أولى ؛ (١٩٧٩) ، ومحمد علي الصليبي طبعة ثانية (١٩٨٥) .

(٢) الشيخ عبدالله بن صالح الفارسي : « البوسعيديون حكام زنجبار » ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، وزارة التراث القومي والثقافة (١٩٨٢) .

(٣) حميد بن محمد بن رزيق : « الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين » ، تحقيق عبدالمنعم عامر و د. محمد مرسى عبدالله ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م . وقد أفرد ابن رزيق في كتابه ملحقا كاملا تناول فيه سيرة السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي يقع في مائة صفحة سماه « بدر التمام في سيرة السيد الهمام سعيد بن سلطان » أنظر صفحات ٤٥٦-٥٦٥ .

(٢١) ابراهيم الزين صغيرون : « المؤثرات الحضارية العمانية في شرق افريقية » ، صفحات ٤-٥ .

(٢٢) أ. د. رأفت غنيمي الشيخ : « صلات عمان بالولايات المتحدة الامريكية خلال فترة حكم السيد سعيد بن سلطان » ، وزارة التراث القومي والثقافة ، العدد التاسع ، (١٩٨٣) ، صفحات ٥-٧ .

المناقشات والمداخلات

من أهم المداخلات التي عقبت محاضرة الاستاذ الدكتور شوقي عطا الله الجمل استاذ التاريخ بمعهد البحوث والدراسات الافريقية . والتي تلت التعقيب المعد من قبل الدكتور ابراهيم الزين الصغيرون من جامعة السلطان قابوس .

● تعليق الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ عميد كلية الآداب بجامعة الزقازيق والأمين العام المساعد للندوة على الفقرة التي وردت في تقديم الدكتور الحسيسي رئيس الجلسة لورقة البحث واعتباره (البحث الوحيد الموثق) حيث نقض في تعليقه ذلك بقوله : (انه ليس البحث الوحيد الموثق) .

● وناشد الشيخ سالم بن محمد العبري المستشار بوزارة الاعلام في مداخلته المؤسسات العلمية بأن تقدم حضارتنا لدى هؤلاء المعنيين من الافارقة بالصورة المشرفة واللائقة .

● أما سعادة الشيخ عبدالله بن صخر العامري المستشار بوزارة التراث القومي والثقافة / رئيس لجنة الاعداد والتحضير للندوة فقد تساءل عن الخريطة المرفقة ببحث الاستاذ الدكتور شوقي عطا الله الجمل ، وفيما إذا كانت توضح الحدود السياسية للسلطنة في القديم أو الحديث ، وهي من كلا الوجهين لا تعطي توضيحا عن حدود السلطنة في الماضي أو الحاضر ، مقترحا سعادته استبدالها بأخرى مناسبة .

● سعيد الهاشمي من جامعة السلطان قابوس أبدى بعض الملاحظات على ورقة البحث المطروحة للنقاش طالبا القاء الضوء عليها ومن أبرز هذه النقاط :

● وردت (مملكة بيت) ولفظها الاستاذ (بات) كما لفظها الاستاذ

المعقب د. ابراهيم الزين الصغيرون (بتّا) مطالبا التحقق من الصواب ؟

● ورد في الفقرة الثانية (ص ١٠) من البحث ذكر (سليمان وسعيد بني عباد الجلندى) : مقترحا تعديل العبارة (سليمان وسعيد ابني عباد) .

● السطر الثاني (ص ١٢) ورد ذكر سليمان بني سليمان المظفر النبهاني الذي وصل الى (بتا) ، وأضاف في مداخلته قائلا : (هناك سليمان) لكنه غير معـروف ، ولم نتـأكـد أهـو الشخصية المعـروفة لدينا سليمان بن سليمان المظفر النبهاني ، وان كان هو المقصود فإن التاريخ الملحق (٧٠٣ هـ) لا يتفق مع ما ذكـرته مصادرنا (٨٨٥ هـ ـ ١٤٨٠م) وقد ذكر ابن رزيق (ان هذا الشخص المذكور آنفا توفي سنة ١٥١٥م) .

● (ص ١٦) أشار الاستاذ الباحث الى اتفاقية تجارية عقدت بين عمان وانجلترا سنة ١٨٣٣م لتأمين مصالحها في زنجبار ، معقبا أن الاتفاقية كانت بين عمان والولايات المتحدة الامريكية ، ووقع عليها الكونجرس سنة ١٨٣٤م .

● محمـد سعـد المقدم اثار في مداخلته على المحاضرة نقطة في غاية من الأهمية حين تساءل لماذا ركز المؤرخون من غير العرب على تجارة الرقيق التي تمثل الجانب السلبي ولم يركزوا على الجوانب الايجابية والوجه الحضاري للوجود العربي في شرق افـريقيا ، كما تساءل في مداخلته عن غياب التعريب في شرق افريقيا بالرغم من القرب الجغرافي والتأثير الحضاري ؟

● علي بن محسن آل حفيظ يعرب في مداخلته عن خشيته من السلبيات التي قد تعـود علينـا باتجـاه التركيز على دور العرب في اكتشاف بعض المجاهل الافريقية ، ومساعدة المستكشفين الأوروبيين في هذا المجال بأن يجلب مثل هذا

علينا سخط الأفارقة ـ فيما نحن في غنى عنه ـ ، ضاربا مثالا لذلك بابن ماجد وما دار حوله من جدل في ارشاد فاسكو ديجاما عبر رأس الرجاء الصالح .

● الاستاذ الدكتور شوقي عطا الله الجمل ابدى ارتباحه من النظرة الشمولية التي تناولت ورقة بحثه في ضوء الرغبة الملحة في الابداع والتقدم مؤكدا بأنه ليس ممن يتعصبون للرأي ، موضحا أن الحاجة ملحة إلى تبادل المعلومات وتحريك الارادة ، مشيرا الى أن كثيرا من الملاحظات الواردة على خطته البحثية صحيحة ، وان ما قيل عن اثبات بعض التواريخ يحتاج الى مراجع في ظل الدراسات المقارنة المطلوبة .

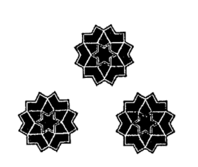
أما كلمة (بات) والتي اثيرت فقد حققها (الباحث) عن عدة مصادر في الانجليزية (Bat) ونطقها بالعربية (بيت) .

أما فيما يتعلق بالمرجبي « فانني احتفظ برسالة تقع في أكثر من (٥٠٠) صفحة لباحث تعقب فيها الموضوع ، واني لاشفق عليه اذ ليس هناك المراجع المتوفرة » .

وفيما يتعلق بالدور الحضاري فانني (الباحث) لم أتعمق فيه ، ولذلك أرى من هذه التجربة الفريدة بداية ، وان ما رصدته هو ما تيسر لي عن (الدين والعقيدة وما الى ذلك) وأملي أن نستطيع توجيه جيل الشباب المفكر الى المزيد من الدراسات والبحوث وتجسير العلاقة بيننا وبين الدور الحضاري الذي قامت به امتنا في شرق افريقيا بشكل خاص والعالم بشكل عام .

وعندما نأتي الى موضوع الكشوف الجغرافية الذي اثير في مداخلات الاساتذة وتساؤلاتهم فاني أشير الى كتاب لي يقع في الف صفحة ، أشرت فيه إلى

دور العرب في الكشوف الجغرافية وانهم (العرب) ليسوا هم المسئولين عن تجارة الرق ، بل كان موجودا وان الأوروبيين هم الذين شجعوا العرب ، مشيرا بهذا الصدد إلى اسواق لشبونة ، مبرئا العرب ذاكرا ان ما نسب اليهم انما هي تهمة بغيضة الصقت بهم .





مصـــر وعـمـان

عـلاقـة حضـارية متميزة عـبر التاريخ

عبد التــواب يوسـف

مقدمة

هناك علاقات طبيعية ، يصنعها الله ، جل جلاله . .

وهناك علاقات تمليها المصالح ، يصنعها البشر . .

والعلاقات المصرية العمانية ، جمعت بين اللونين على مدى التاريخ .

وفي استطاعتنا أن نشير الى نماذج من العلاقات الطبيعية ، كالجوار ، الذي يفرض التعاون أحيانا ، أو التنافس في احيان أخرى ، وقد تتوحد الجهود ، وقد تتنافر الى حد الصراع المسلح . . الجوار يخلق علاقات « طبيعية » . . والبشر يصيغون بشكل أو بآخر صفة هذه العلاقات وفق مصالحهم ، وقد يجدون انهم قادرون معا على مواجهة الظروف المتشابهة ، وحماية أنفسهم ـ من فيضان نهر ، مثلا ـ وقد تتعارض المصالح وتتباين ـ رسم الحدود ، مثلا ـ فيمتد الخلاف بينهم طويلا ، وعميقا . . ومصر وعمان كما نعرف ليسا جارين ، لكن تفصل بينهما مسافات واسعة ، ومساحات شاسعة . . والسؤال : كيف تأتى لهما تكوين هذه العلاقة التاريخية الحضارية الموغلة في القدم ؟

تتمتع مصر ، بما أسماه د. جمال حمدان « عبقرية المكان » . . ونستطيع في يسر وسهولة أن نجد ان عمان تتمتع بنفس المكانة والصفة . . ان ذلك يعني ، من بين ما يعنيه ، ان موقع كل منهما فريد ؛ ويشكل أهمية بالغة بالنسبة لعالمنا ، وتوسط مصر وعمان بين بلدان تفصلهما صحارى وبحار جعل لكل منهما على حدة خاصية متميزة ، ومركز اتصال ، ومحطة لابد من التوقف عندها ، كما ان ذلك فرض صلة وعلاقة بينهما ، وكان التعاون ابرز القسمات في هذه الصلة ، وكانت المصلحة المشتركة رابطا قويا بينهما ، وما عرف التاريخ بينهما قطيعة أو تنافرا ، أو حتى تنافسا .

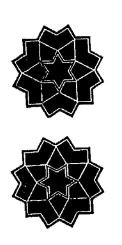
ان موقع مصر ، بين قارات العالم القديم الثلاثة : افريقيا وآسيا وأوربا فريد فقد امتدت سواحلها على البحرين الأبيض ، والاحمر ، واستطاعت بمناخها المعتدل ، وجوها المقبول صيفا وشتاء ، وبواسطة نهرها العظيم ، وأرضها السهلة ، أن تصنع حضارة ، كان التحدي صفتها الأولى . . اذ تمكنت من ترويض النهر الجامح ـ خاصة ايام الفيضانات صيفا ـ ، وتمكنت مصر بذلك من أن تضيء فجر التاريخ الانساني ، وأن تشع على من حولها . . كما ان عبقرية المكان قد أتاحت لها فرصة أن تكون صلة ما بين القارات الثلاث ، وما بين الغرب في أوربا ، والشرق الادنى ، والاوسط ، والاقصى . . وأيضا ما بين الشمال في آسيا وأوربا ، وما بين الجنوب في افريقيا .

وموقع « عمان » فريد أيضا ، وله نفس العبقرية .

توسطت ما بين غربها وشرقها ، شمالها وجنوبها ، بشكل مميز ، لا سبيل الى انكاره ، بل لابد من الاعتراف بأنها حلقة اتصال ، ما بين آسيا وافريقيا . . آسيا التي تضم مع ايران والجزيرة العربية شبه القارة الهندية ، والشرق الاقصى المتمثل في الصين وما حولها ، وما بعدها ، وافريقيا وسواحلها الشرقية ، وأيضا شمالها المتمثل في مصر . . وتضع عمان ذراعا على الخليج ، وآخر على بحر العرب ، وصولا للمحيط الهندي ، وتستقر فوق مساحة كبيرة مع جو قاس ، تصحبه ندرة المياه . . ولكنه « التحدي » ـ الذي قال به توينبي انه صانع الحضارة ـ هو الذي جعل عمان مركز اتصال عالمي قديما وحديثا .

لقد فرض بعد البلدين عن بعضهما « قربا » ، و « تقاربا » ، واستطاع هذا التشابه الجغرافي الطبيعي في الموقع أن يصنع بينهما صلة كبيرة ، وحميمة ، وربط بينهما برباط وثيق وعميق . . انهما حلقتان متشابكتان في سلسلة بلدان الدنيا ،

بدونهما ينفرط عقد هذه السلسلة ، وهما لؤلؤتان تلمعان فيها بسبب توسطهما ، وحاجة العالم اليهما معا ، وحاجتهما الى ان يتلازما ، ويتعاونا دون اختلاف أو حتى مناقشة . . اذ ان بينهما من وشائج الصلات ، خاصة بعد ان أشرق الاسلام على الدنيا ، وعليهما فزاد من علاقتهما وصلاتهما .



(١)

التـاريـخ القـديـم

العلاقة المصرية العمانية قبل ظهور الاسلام

قد يقول قائل : ما جدوى مثل هذه العلاقات الموغلة في القدم ، والتي تفصل بيننا وبينها هوة سحيقة من الزمان ، وتاريخ انقطع ، ولم يعد يتبقى منه غير بعض آثار يحتفظ بها في المتاحف ؟

الحق ، ان الشجرة التي تغرس جذورها عميقة في الارض هي التي تستطيع ان تعيش وتواجه العواصف ، وتنتح الماء من الاعماق . . وهكذا شجرة التاريخ أيضا .

ولقد عرفت مصر ـ منذ فجر الحضارة الانسانية ـ طريق البحر الأحمر من مينائها طيبة ـ الاقصر ـ على نهر النيل في صعيد مصر ، اذ كانت تقلع منها السفن الكبيرة لجلب البضائع كالبخور الذي يستخدم في المعابد الفرعونية خلال الطقوس الدينية ، وكذلك التوابل ، والبهارات ، والعطور . . وليس أروع من قراءة ما كتبه المؤرخ الامريكي بريستد وصفا لوصول هذه السفن ـ على أيام حتشبسوت ـ وقد امتلأت بكل ما هو غال وثمين ، وكيف نزلت الملكة لاستعراضه والبحارة « يقدمون » اليها ما جلبوه ، وهم فخورون معتزون بصنيعهم . . وكان ذلك من حقهم ، فقد كانت السفن في بداية عهدها ، وقد واجهت العواصف والرياح في طريق الذهاب والعودة سالمة .

وإذا كان الغموض مازال ـ كما يقول « دونالد هولي » ـ يحيط بمنطقتين هما « ماجان » و « بنت » الا ان صلة مصر بهما معا شبه مؤكده . . وكذلك من خلال

ما تركه لنا الفراعنة من رسوم على جدران المعابد ، وفي أوراق البردي . . واولى المنطقتين ـ على الارجح ـ هي « عمان » ، وثانيتهما ، من المحتمل أن تكون الصومال أو مكان ما شرق افريقيا . . وكانت « ماجان » على علاقة وطيدة ببلاد النهرين ، وقد ورد ذكرها على الألواح السومارية ، ولغة تعني الكلمة (القوم الذين يركبون البحر) وهي صفة لازمت العمانيين منذ فجر التاريخ . . ومما لا شك فيه أن بحارتها قد شاركوا في التجارة مع كل من العراق وفارس ، وشرق افريقيا ، بل وشمالها : اي مصر . . كما ان حضارتي النيل والنهرين كانتا على صلة كبيرة .

وفي عصر النحاس ـ الذي كان سلعة مطلوبة في المدن السومارية ـ توطدت العلاقة بين ماجان ـ التي سميت جبل النحاس ـ مع سومر ، وذلك في فترة موازية لازدهار صناعة النحاس ـ المستخرج من سيناء ـ في مصر . . والنحاسيات تؤكد درجة عالية من المهارة تمتع بها أهل الحضارتين . . وكما اتخذ المصريون في ذلك العهد القديم مبانيهم من الحجارة المكسوة بطلاء جيد ، فعل ذلك أهل ماجان ، فكانوا معا يبنون المعاقد والمباني العامة والتحصينات ويشيدون الاسوار حول مناطق واسعة . . كما ان أوانيهم الفخارية فيها تشابه بما كان يصنع في سومر وغيرها .

وكانوا يستخدمون مصادر المياه ـ من أمطار ومياه جوفية ـ لري مزارعهم ـ ، وتوصلوا الى زراعة القمح ـ كما كانت تفعل مصر من مياه النيل ـ ، وكانوا يسيطرون على الطرق الرئيسية في الشعاب الجبلية باتخاذ قلاع وحصون فيها . . وهناك فترة بعد الالف الثالثة قبل الميلاد لم تعد « ماجان » على نفس الدرجة من الازدهار ، الا انها عادت مرة اخرى مع ظهور الدولة الاشورية ، التي كانت لها أيضا صلات مع مصر . . وقد حاول الاشوريون مساعدة عمان على ان ترجع الى

سابق عهدها مركزا تجاريا بدلا من ساحل فينيقيا والشام ، وعمروا مدينة صور ، الا ان ذلك لم يفد كثيرا (كان ذلك على يد الملك سنحاريب الذي عاش بين عامي ٧٠٥ و ٦٨١ ق . م) . . ولم يعد للبحر الاحمر مكانته الا بعد غزو الفرس لمصر ، على يد قمبيز (٥٥٠ـ٥٢١ق . م) وطلب خلفه من البحارة ان يختبروا الطريق البحري ما بين الهند ومصر ، ولم يكن هناك من سبيل الى ذلك الا بالمرور على ماجان .

وجاء الاسكندر الأكبر الى مصر ، باسطوله ، محاربا للفرس ، موغلا في امبراطوريتهم . . وقد ترك الغزو اليوناني لمصر آثارا باقية ، ولم تنمح ، والاسكندرية ـ التي تحمل اسمه ـ قائمة تؤكد ذلك ومكتبتها التي يعاد بناؤها . . وكذلك جامعتها الشهيرة . لقد نبه الاسكندر أوربا الى مصر وأهمية موقعها .

ويشير جان جاك بيريبى الى ان الفضل يعود الى الاسكندر الاكبر في اكتشاف مياه الخليج وشواطئه لأول مرة في التاريخ ، وكان ذلك اثناء عودة القائد الكبير من الهند عندما مر بشواطىء الخليج ، حيث امر نيارك ـ اونياركوس ـ احد قادة الاسطول ، بان يسبر غور مياه الخليج حتى مصب نهري دجلة والفرات ، وكانت مهمة الاميرال البحري من أهم المهمات التي اجريت في العصور القديمة ، اذ انطلق من مصب نهر الهندوس سنة ٣٢٤ ق . م واستمرت مغامراته مائة وثلاثين يوما قبل ان يصل الى رأس الخليج العربي ـ وقد أشار اليه في مذكراته ، واسماه ماكيتا ، ولعله هو رأس مسندم ـ وقد وصف هذا الميناء على انه « مركز للتجارة البحرية في البخور والمنتجات العطرية الاخرى المستوردة من الشرق الى كافة أنحاء العالم » . . وقد القى تقرير اونياركوس ضوءا مشعا على أهمية التجارة بين بلدان حوض البحر الابيض والهند .

لقد وصل الجنود اليونان الى مصر . . وعمان . . وقدم الرومان الى مصر ، خلال صراعهم مع اليونان . . وقد سعوا هم أيضا الى امتلاك ناصية التجارة ما بين الشرق والغرب ، وحاولوا من خلال بعثات استكشافية معرفة طريق الصحراء الى عمان وسبأ . . ولم تنجح هذه البعثات . . وأخيرا تعلم الرومان المقيمون بمصر كيف يركبون البحر الاحمر وصولا الى الهند مرورا بالضرورة على (عمان) اذ حاول تراجان الروماني اقتفاء اثر الاسكندر ، وقد وصف المؤرخ الروماني بليني (**٢٣-٧٩ ق.م**) الساحل العربي في الخليج وذلك في كتابه « التاريخ الطبيعي » وذكر عمان ، وأشار الى ان الواح سفنها كانت تخاط معا - مازال هذا يشاهد في بعض الزوارق القديمة - وانهم كانوا يستفيدون من الرياح الموسمية الشمالية الشرقية للتجارة مع الهند . . غير أن تلك الرحلات التجارية كانت تواجه بالقراصنة مما اضطر السفن الى ان تحمل معها مجموعة من رماة السهام .

وقد تمكن الرومان من السيطرة على التجارة بعد ذلك ، مما ادى الى صراع روماني فارسي استمر نحو ثلاثة قرون وتمكن الرومان من ان يواجهوا ضربة قاصمة الى جنوب الجزيرة ، وقد احتكر أهلها هذه التجارة لسنوات طالت . . في الوقت الذي صدر أول وصف مسهب لأحوال التجارة البحرية في هذه المنطقة مع الاشادة بثروات الخليج العربي التي لا تضاهى .

ومن الواضح انه في فترات ازدهار امبراطوريات الفرس واليونان والرومان ، انها حاولت ان تسيطر على كل من مصر وعمان . . لانهما مفتاح للسيطرة على تجارة الشرق والغرب .

(٢)

التـاريـخ الـوسـيـط

راية الاسلام ترفرف على : « عمان » و « مصر »

واشرقت الأرض بنور ربها ، ونزل الوحي على الرسول محمد بن عبدالله ، ﷺ . . وتبدأ علاقة جديدة ـ من صنع الله ـ تربط ما بين مصر وعمان .

* لقد اسلمت « عمان » على يد عمرو بن العاص .

* وفتحت مصر من قبل المسلمين والعرب على يد عمرو بن العاص .

ولسنا بحاجة الى ان نقول الكثير هنا ، اذ أن كتب التاريخ حافلة بما حدث ، وما جمعه الله لا يفرقه الانسان . . في حوالي عام ٦٣٠ م وصل عمرو بن العاص الى عمان حاملا رسالة من النبي (ﷺ) الى جيفر وعبد ، ابني الجلندى ، ولم يلبث ان اعتنق العمانيون الاسلام ، وبقي معهم عمرو بن العاص يبصرهم بالدين الجديدالى ما بعد وفاة الرسول (ﷺ) ، واستدعاء الخليفة ابي بكر الصديق له ، لكي يشارك في حروب الردة .

وقد لقيت عمان ومصر تكريما خاصا من الرسول (ﷺ) . . ومن أحاديثه الشريفة . . « سيزيد الله أهل عمان خصبا وصيدا . . فطوبى لمن آمن بي ورآني . . وطوبى لمن آمن بي ولم يرني ، ولم ير من رآني . . ان الله سيزيد أهل عمان اسلاما » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« إذا فتح الله عليكم بعد (مصر) فاتخذوا منها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض . . لأنهم في رباط الى يوم القيامة » .

و « ستفتحون بعدي أرضا يذكر فيها القبط . . فاذا افتتحتموها فاستوصوا بأهلها خيرا ، فان لهم نسبا واصهارا » .

و « مصر كنانة الله في أرضه . . ما كاد أهلها أحد الا كفاهم الله تعالى مفروضه » .

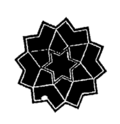
ونحن لسنا بحاجة الى ان نستعرض تاريخنا المشترك ـ عمان ومصر ـ خلال الحقبة التي ازدهرت فيها الحضارة الاسلامية ، اذ هي صفحات مجد وفخار ، تشهد بروعة ما قدمناه خلالها للانسانية في كافة المجالات . . لكن خصوصية العلاقة بين البلدين ظلت واضحة من خلال قوافل السفن بينهما ، غادية رائحة ، تحمل التجارة ، والثقافة ، وراية الاسلام ترفعها في كل مكان ، خاصة في الشرق الاقصى .

كانت عمان ومصر معا منذ عهد عمر بن الخطاب ، ومن بعده ايام الامويين ، والعباسيين ، وما تلا ذلك من عهود توحدت الى حد كبير خلالها الامة الاسلامية ، والوطن العربي . . ونستطيع ان نتلمس الكثير من سبل التعاون والتآزر اثناء هذا التاريخ الذي امتد قرونا ، غير اننا نود فقط ان ندلل على ما نقول بصفحة واحدة ، كنموذج لهذه الصلة . . اذ لم تكن هناك عزلة بين البلدين خلال العصور الاسلامية المختلفة . . وهناك أمثلة كثيرة للصلة الوثيقة بينهما ، فعندما تمركزت الدولة الفاطمية في مصر ، وصلت الى عمان ، وخرج من القاهرة دعاة ينشرون مذهب البيت العبيدي حدث ذلك ايام الخليفة المستنصر ـ سنة **٤٦٩** هجرية على وجه التحديد ـ عندما بعث المستنصر الى المكرم بن علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن يأمره بتولي شؤون ولاية عمان ، وكان الاضطراب قد سادها بعد ذهاب ريح القرامطة ، واقامت الدولة الفاطمية داعيا لها في عمان ،

يسمى اسماعيل بن ابراهيم بن جابر ، ومن عمان ارسل الفاطميون احد دعاتهم الى الهند . . وإذا كانت الدعوة الفاطمية هي الصورة التي اخذتها الثقافة المصرية الرسمية في ذلك المبنى ، فمعنى ذلك أن حدود مصر الثقافية قد وصلت الى الخليج ، وان وطننا المصري كان في العصور الوسطى فعلا مركز اشعاع ثقافي بعيد المدى شرقا وغربا وجنوبا . . وليس غريبا ان تبعث معه بأبنائها من المعلمين ليعملوا في عمان . . انها رسالة قامت بها مصر في العصور الوسطى ، وتواصلها في العصر الحديث ، انها علاقة ممتدة ، لم تنكسر حلقاتها ، رغم كل المحاولات القديمة والجديدة .

على أن الوحدة الاسلامية قد سادت أرجاء الوطن العربي خلال عهد الخلفاء الراشدين ، ثم الامويين . . غير ان العمانيين في أواخر عهد بني أمية رفعوا راية العصيان على ثورات الحكم ، فأقاموا دولة مستقلة تختار لنفسها أمامها . . وفي عهد الأمويين سيطر العمانيون لفترة على البصرة ـ خلال قيادة المهلب بن أبي صفرة لها ـ ، وشاركوا في فتح خراسان وكرمان ، لكن الحجاج الثقفي استطاع بعد ذلك أن يشتت قواهم . . ولم تكن الحكومة المركزية الاسلامية قادرة على أن تمد ذراعها الى عمان وشواطىء الخليج التي ظلت تمارس التجارة بنجاح ما بين الهند والشرق الاقصى ، والعراق مرورا من البصرة . . أو ما بين الهند ومصر عبر البحر الاحمر . . وذلك خلال العصور الاسلامية المختلفة ، بل لقد ظهرت قصة في الف ليلة تحمل عنوان « حكاية الشاب العماني مع هارون الرشيد » والمعروف ان هذا الكتاب الرائع من كتب التراث العربي كتب في القاهرة . . ودارت أحداثه ما بينها وما بين بغداد ، ودمشق . . الامر الذي يؤكد ان « عمان » كانت حاضرة دائما في التاريخ الاسلامي ، وحضارته الزاهرة .

على ان عمان تعرضت لكثير من الغارات الخارجية ، اذ هاجمها العباسيون أولا ثم القرامطة في القرن الرابع ، ثم الفرس (٦٦٤هـ ـ ١٢٦٥م) واليمنيون (٦٧٧هـ ـ ١٢٧٨م) ثم البرتغال ومنذ عشرة قرون ؛ والعمانيون ، كما يقول تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة للدكتور احمد السعيد سليمان ـ يجوبون المحيط الهندي ، وبحر العرب ، والخليج ، والبحر الأحمر من أجل التجارة ، وكونوا مملكتهم المعروفة في شرق افريقيا . . وظلت صلاتهم بمصر قائمة عبر كل هذا التاريخ ، وصولا الى عصر الاستعمار .



(٣)

التاريخ الحديث

الصراع المصري العماني المشترك ضد الاستعمار والتوسع البرتغالي

قلنا انه منذ فجر الاسلام والعرب يتحكمون في تجارة الشرق التي عادت عليهم بأربـاح وفيرة ، فقد كان البحارة والتجار العرب يحتكرون احتكارا يكاد يكـون كامـلا تجارة التـوابل التي كانت تجد رواجا متزايدا في أوربا ، وقد جنى العمانيون الارباح الكبيرة وازدهرت مدنهم الساحلية . . وكان ازدهار عمان يعني بالتالي ازدهار مصر ، فالتجارة التي تمر من الشرق الى الغرب تمر بهما معا .

وكـانت الـبرتغـال تتعاظم قوتها في اواخر القرن الخامس عشر ، وانطلق بحارتها هنا وهناك ، وقدموا الى المنطقة العربية يحملون في نفوسهم حقدا صليبيا اسـود ، كأنـما يريدون أن ينتقموا من العرب الذين كانوا رسل نور وحضارة في الاندلس . . وقام صراع طويل ما بينهم وما بين المماليك في مصر ، وكان ذلك قبيل الوقت الذي أبحر فيه « فاسكو دا جاما » حول افريقيا مكتشفا طريق رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٧ . . وقد أحدثت رحلته هذه ثورة في ميدان التجارة الأوربية ، وزاد الـبرتغـاليون قوتهم البحرية والعسكرية في البحر الاحمر ، وبحر العرب ، والخليج العربي ، والمحيط الهندي . . ولعلها من سخريات القدر أن يكون البحار العماني الشهير أحمد بن ماجد هو الذي قاد سفنهم من ماليندي في شرق افريقيا عبر المحيط الهندي الى كلكتا(*)

ولم تكن البحار الشرقية حتى ذلك الحين مسرحا للسفن الحربية ، فالمعارك البحرية ، اذ كانت سفن العرب سفنا تجارية ، تمضي في سلام ، تنقل التجارة وتقـوم بدورهـا الحضـاري في نشر الاسلام والثقافة العربية ، فجاء البرتغاليون بمـدافعهم ، فطلبت الجزيرة العربية واليمن وعمان المساعدة من مصر ، فجهز السلطان قنصواه الغوري حاكم مصر يومئذ اسطولا عدد وحداته خمسون سفينة

(*) (في القضية نظر) .

بقيادة امير البحر « حسين الكردي » ، وقام بتحصين جدة ، لتكون الملجأ لسفن الاساطيل المصرية ، وتكون قاعدة لحماية الاراضي الاسلامية المقدسة . . وقد وقعت عقب ذلك معارك عديدة بين الاسطول المصري والاسطول البرتغالي ، في واحدة منها اخذ البرتغاليون سفينة مصرية تخص قنصوه الغوري ـ عام ١٥٠٣ ـ وفي العام التالي حدثت معارك طاحنة ، تمكن البرتغاليون خلالها من الاستيلاء على سبع عشرة سفينة استولوا على حمولتها وذبحوا بحارتها وتجارها واحرقوها ، بعد قتال عنيف من الجانبين ، وقد استاء الغوري وغضب لما حدث ، ولتهديد البرتغاليين للأراضي الاسلامية المقدسة ، ولما أصاب سفنه ورجاله ، ونذر ان ينتقم منهم شر انتقام ، وقام باعادة بناء الاسطول بهمة ونشاط ، واستطاع ان يوقع الهزيمة بسفن لورنزو الالميدي ، وقتل .

ويضيف السير وليم موير في كتابه تاريخ دولة المماليك في مصر (١٤٦٠ ـ ١٥١٧) انه في عام ١٥٠٨ انتقم البرتغاليون لهزيمتهم من الجيش المصري انتقاما مروعا ، اذ احتل الفونس البوكيرك عدن وعمان ، وحاقت بالجيوش المصرية في اليمن كارثة كبيرة . . وعند ذلك اعد الغوري من جديد اسطولا لمعاقبة الاعداء وتحرير الارض التي احتلت ولحماية تجارة الشرق ، لكن الوقت لم يسعفه ، اذ فقدت مصر سيطرتها على البحر الاحمر ، واراضي الجزيرة ، واليمن .

وكان الفونس البوكيرك قد احتل عمان في عام ١٥٠٨ . . وكان وصول البارود والمدافع فوق السفن البرتغالية قد غير وجه التاريخ ، فقد قام هذا البحار الذي لقب بكلب البحر الشرس ، بنهب مسقط ، وحاصر البحر الاحمر من اجل قطع التجارة الشرقية التي كانت القاعدة التي يستند اليها ازدهار مصر وعمان . . وباحتلال هرمز وعدن سيطر على مراكز التجارة.

وفي عام ١٦٥٠ ثار العمانيون وانقضوا من معاقلهم الجبلية ينتزعون من البرتغاليين مستعمراتهم في افريقيا الشرقية . . وبعد عام ١٧٤٣ تمكنوا من احتلال ساحل البلاد كله ، واجتازوا البحر ليستخلصوا جزر كشم وهرمز باسطين نفوذهم على المضيق الشهير .

لقد وقعت عمان في براثن البرتغاليين ، ووقعت مصر في مخالب العثمانيين ، وفقدتا معا استقلالهما ، وازدهارهما ورخاءهما .

وضاقت مصر بالحصار البحري المفروض على البحر الاحمر فقام اسطول منها بقيادة واليها سليمان باشا ـ عام ١٥٣٨ ـ ، وقاتل ضد البرتغاليين . . ثم قدم اسطول تركي اجتاح الخليج واخرج البرتغاليين . . لكنهم عادوا . . كانت المعارك كرا وفرا .

الصراع الفرنسي البريطاني على «عمان» و «مصر » :

في العام السابق على قدوم نابليون بونابرت الى مصر ، أي في سنة ١٧٩٧ نجح البرتغاليون في عقد معاهدة صداقة مع مسقط ، حولوها في العام التالي معاهدة ضد فرنسا بصورة خاصة . . وكان ذلك بداية عهد من التنافس الفرنسي البريطاني دام قرنا .

ومنذ عام ١٧٩٨م ، وحملة نابليون بونابرت على مصر ، والصراع البريطاني الفرنسي قائم على قدم وساق ، للسيطرة على طريق اوربا الى الشرق . . وكان من نتيجة هذا الصراع ، وبعد ثورات مصر ضد الفرنسيين إلى أن خرجوا ، وحاولت انجلترا عام ١٨٠٧ احتلال مصر ، لكن شعب رشيد هزمها ، فخرج الانجليز .

وطيلة عصر أسرة محمد علي تبادل الفرنسيون والانجليز النفوذ . . وقد انحاز محمد علي للفرنسيين فأرسل ببعثاته الى باريس ، واستقدم سليمان الفرنساوي لتدريب الجيش المصري . . بينما انحاز عباس الأول للانجليز ، وقبل مد خطوط السكك الحديدية ما بين القاهرة والاسكندرية ، القاهرة والسويس لنقل البضائع ، رافضا مشروع قناة السويس ، وقبله سعيد باشا الذي خلفه . . وتقاسمت انجلترا وفرنسا النفوذ بعد ذلك ، بل ان الاسطول القادم لمصر عام ١٨٨٢ كان مشتركا ، لكن الانجليز انفردوا بالعمل واحتلوا مصر ، وناوأتهم فرنسا الى ان عقد بينهما الاتفاق الودي عام ١٩٠٤ ، باطلاق يد فرنسا في الشمال الافريقي ، واطلقت يد انجلترا في مصر .

وبعد تأميم شركة قناة السويس عام ١٩٥٦ قدما معا لضرب مصر وبورسعيد .

وقد دار نفس الصراع البريطاني الفرنسي حول « عمان » .

اذ وقعت فرنسا معاهدة مع العثمانيين عام ١٨٤٤ ، كانت فاتحة مرحلة جديدة من التنافس بين انجلترا وفرنسا . . اعلن فيه استقلال السلطنة واحترام سيادتها .

وعندما حاولت بريطانيا تحويل السلطنة الى محمية عام ١٨٩١ ـ بعد احتلال مصر ـ احتجت فرنسا ، وتسلحت ببيان ١٨٦٢ لتتدخل تدخلا غير مرغوب فيه من جانب الانجليز ، ففضل هؤلاء عقد اتفاق مع الفرنسيين في مارس ١٨٩١ سمي « معاهدة الصداقة والابحار والتجارة » ضم كل البنود المانعة التي تشير اليها الاتفاقات الاخرى التي عقدت مع امارات الخليج ، ومنذ ذلك التاريخ وبريطانيا تحرص على المحافظة على هذا الاستقلال ومظاهره .

وفي عام ١٨٩٣ عينت فرنسا نائب قنصل في مسقط ، رفعته الى قنصل عام سنة ١٨٩٨ ، واشتعل الصراع ، اذ سمحت فرنسا لبعض السفن العربية العمانية برفع العلم الفرنسي ، واحتجت انجلترا ، ووجهت انذارا شديد اللهجة عام ١٨٩٩ لوقف ذلك ، لكن الامر استمر . . واجريت مباحثات استمرت حتى عام ١٩٠٣ ، وكادت تحدث مصادمات مسلحة بينهما ، لكن المفاوضات دارت ورفع الامر الى هيئة تحكيم دولية في لاهاي .

وبدأ التقارب بين الدولتين ، وتفاهمتا ، واتفقتا على تسوية المشكلات المعقدة بينهما لمواجهة الخطر الالماني الذي كان قد بدأ ينمو ويقوى .

وكان ان تم توقيع الاتفاق الودي بينهما سنة ١٩٠٤ . . كما سبق أن أشرنا .

ونستطيع ان ندرك أن هذا الصراع الذي دار بين الدولتين الكبيرتين خلال فترة التوسع الاستعماري يؤكد اعترافهما معا بذلك التشابه الذي يصل لحد التطابق بين موقعي كل من مصر وعمان ، وأهميتها للملاحة العالمية ، ومن أجل هذا كان تسابقهما للسيطرة عليهما . . لقد ادركوا هذا من جانبهما ، فلا أقل من ان ندركه نحن ، وان نتعامل على أساسه .

ولسنا نريد ان نواصل الحديث عن مصر وعمان بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر ، وبزوغ فجر النهضة في سلطنة عمان يوم ٢٣ يوليو ١٩٧٠ . . اذ ان لذلك قصة اخرى ، طويلة ، تحمل آخرون عبء سردها .

وبعد . .

لقد تساءل كثيرون عن العلاقة الثابتة والصلة الوطيدة بين مصر وعمان ، خلال الثمانينات كيف ظلت ؟ ولماذا بقيت ؟!

ان العلاقات العربية المصرية تعثرت ، بل وتمزقت في سنوات ٧٩ ـ ١٩٨٩ بينما استمرت عمان ومصر ، ولم تقطع العلاقة الرسمية ولا الشعبية ، طيلة ذلك العقد . . ما السر ؟

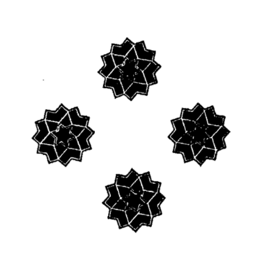
في تقديرنا ان علاقة توطدت بين البلدين على مدى التاريخ لا يمكن أن تنفصل أو تنفصم لاسباب عارضة ، كلا البلدين يؤمن انها علاقة استراتيجية ، وليست مرحلية ، وبالتالي فإن بقاءها يعني بالنسبة لهما الكثير . . العلاقة بينهما ثمرة امور طبيعية أوجدها الله ، ونتيجة مصالح مزدوجة صنعها الشعبان في مصر وعمان ، وما من سبيل لزعزعتها ، اذ يدخل في يقين كل منهما انه لا غنى لواحدة عن الاخرى ، فهما في زورق واحد ، يمخر بهما عباب بحر السياسة الهائج المائج ، وكل منهما يحمل مجدافه ، ويصر على ان يواجه المخاطر ، ويصل بالسفينة الى بر النجاة . . رغم كل الاعاصير اما الرياح والزوابع ، مهما اختلفت الآراء ، وتعددت وجهات النظر ، خاصة وكل منهما لا ينظر الى مصلحته الخاصة ، بل وضع نصب عينيه المصلحة المشتركة لهما ، ولكل العرب .

هذا هو الخط الاستراتيجي لهذه العلاقة . . اما التفاصيل والفرعيات فانه من الممكن ان تبحث وتناقش في لقاءات ثنائية متكررة ، وصولا الى حل ، الزمن قادر على افرازه . . اما القطيعة ، فهي مرفوضة جملة وتفصيلا ، ولا تفكير فيها بأية حال من الأحوال ، لأن الذئب يأكل القاصية من الشياه ، ولان التاريخ يأبى ان تعمل كل منهما منفصلة عن الأخرى، فقد التحمت الجديلتان ، وما من وسيلة لفصل واحدة عن الاخرى . . واثبتت الايام بعد نظر عمان في الابقاء على الصلة رسميا وشعبيا ، واستمرت العلاقة ، وتعددت اللقاءات ، وامام كل جديد ومستحدث كانت هناك اتصالات ومشاورات ، وقرارات وتوصيات ، وانتصر

الخط الذي اتخذته عمان لنفسها ، وعادت مصر لجامعة الدول العربية ، وعادت اليها الجامعة ، كما رجعت العلاقات مع كل اعضائها وبلدانها . . ما كان احرى الجميع ان يعـرفوا كيف ادار البلدان بينهما حوارا دائما ومستمرا ، وصل بهما الى الامتزاج والتطابق احيانا ، وربما توافقا ، وحتى ان اختلفا ، فإن الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية . . هل يبتسم البعض اشفاقا ، اذاً نحن رفعنا اكف الضراعة الى السماء ، نسألها ان تأخذ بيدنا لنعمل معا لما فيه خير العالم الاسلامي ، والامة العربية والشعب في مصر وعمان ؟

حتى لو طالعتنا هذه البسمة ، فاننا نصر على الدعاء . . هاتفين :

اللهم أدمها اخوة وودا وحبا . . وسنناضل نحن من أجل ذلك .



المراجـــــع

اعتمدنا في كتابة هذه الدراسة على مجموعة من الكتب أوردها فيما يلي . . لكن هنـاك مجمـوعـة أخرى اثبتها ، لمن يرغب في التعرف على المزيد في تاريخ العلاقات المصرية العمانية .

١ ـ عمان ونهضتها ـ دونالد هولي

٢ ـ عمان . . الدولة العصرية ـ وزارة الاعلام ـ سلطنة عمان

٣ ـ قضية عمان والجنوب اليمني ـ سلسلة اخترنا لك ـ القاهرة

٤ ـ تاريخ دولة المماليك في مصر (١٢٦٠ ـ ١٥١٧م)
تأليف السير وليم موير (نشر عام ١٩٢٤)
دكتور حسين مؤنس

٥ ـ مصـــر ورســـالتها

٦ ـ دولة اليعاربة ـ عمان وشرق افريقيا (من ٦٢٤ الى ١٧٤١)
عائشة السيار

٧ ـ كتابة تاريخ الخليج العربي في العصرالحديث
محاضرة للاستاذ الدكتور محمد مرسي عبدالله مدير مركز الوثائق والدراسات ـ ابوظبي (نشرتها إدارة الفنون والثقافة ـ دولة قطر)



مصادر أخرى

١ ـ ابن حزم الظاهري الاندلسي
الفصل في الملك والاهواء والنحل ـ القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م
٢ ـ أبو الفتح محمد بن عبدالكريم
الشهرستاني (متوفى ٥٤٨هـ) ـ كتاب الملك والنحل (القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م)
٣ ـ ابو محمد بن علي سعيد بن حزم
جمهرة انساب العرب ـ تحقيق ليفن بروفتسال ـ باريس ١٦٤٨ ـ نشر دار المعارف بمصر
٤ ـ ابو الحسن علي بن الحسين (المسعودي) ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ جزء أول ـ دار الرّجاء ـ القاهرة
٥ ـ ابو العباس احمد بن سعيد بن (الشماخي) ـ كتاب السير ـ القاهرة ١٩٣٨م
٦ ـ احمد قاسم البوريني
الامارات السبع على الساحل الاخضر ـ بيروت ١٩٥٣م
٧ ـ د. أحمد مصطفى ابو حاكمه ـ محاضرات في تاريخ شرق الجزيرة العربية في العصور الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٨م
٨ ـ أمين سعيد
الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ـ دار الكتب . د.ت .
٩ ـ توماس ارنولد الدعوة الى الاسلام
ترجمة وتعليق : حسن ابراهيم حسن ، ود. عبدالمجيد عابدين ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٥٧م .

١٠ ـ جـان جـاك بـيرى
١) الخليج العربي ـ تعريب نجدة هاجر ـ سعيد الفز ـ (الطبعة الأولى) بيروت ١٩٥٩م .
١١ ـ د. جمال زكريا قاسم :
١) دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا (١٧٤١ ـ ١٨٦١م) القاهرة ١٩٦٢م .
٢) الاصـول التاريخية لقضية عمان ـ مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ المجلد ١٢ـ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ .
٣) الخليج العربي ، دراسة تاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ ـ ١٩١٤م ـ القاهرة ١٩٦٦م .
٤) المصـادر العربية لتاريخ شرق افريقيا ـ مستخرج من المجلة التاريخية المصرية ـ العدد ١٤ ـ القاهرة ١٩٦٦ـ١٩٦٧م .
٥) استقرار العرب في ساحل شرق افريقيا ـ مستخرج من حوليات كلية الآداب ـ عين شمس ـ العدد ١٠ مايو ١٩٦٧م .
٦) الخليج العربي ١٩١٤ ـ ١٩١٩م ـ القاهرة ١٩٧٣م .
١٢ جورج فاضلو حوراني ـ العرب والملاحة في المحيط الهندي
ترجمة (يعقوب بكر) ـ تصدير د. يحيى الخشاب ـ القاهرة ١٩٥٨م .



تعقيـــــب

الدكتور محمد صابر ابراهيم عرب

استاذ تاريخ العرب الحديث المساعد ـ جامعة السلطان قابوس

علـــى بحـــث

الاستاذ عبد التواب يوسف

بعنــــوان

مصر وعمان علاقة متميزة عبر التاريخ

من خلال عنوان البحث : مصر وعمان علاقة متميزة عبر التاريخ . يشعر القارىء بثقل المسئولية ، التي أرادها الباحث لنفسه ، فالعنوان بهذا الشكل يمكن أن يكون موضوعا لدراسة طويلة .

والموضوع على الرغم من شموليته الا انه كان من الممكن تتبع المعالم البارزة في تاريخ العلاقات العمانية المصرية والخروج بدراسة وصفية تجسد طبيعة تلك العلاقة وخصوصا وان اتساع الموضوع قد أتاح قدرا لا بأس به من حيث التنوع والاهمية .

الا ان الباحث قد أتى على الموضوع بشكل سريع لدرجة انه عالج تلك العلاقة المتميزة بما لا يزيد على عشر صفحات ولعل الباحث الاستاذ عبدالتواب يوسف قد حاول ابراز شكل من أشكال الحوار المتواصل بهدف ايجاد وحدة عضوية للموضوع وهو شرط أساسي لأي عمل جاد .

وأعتقد أن اختيار الموضوع بهذا الشكل يصلح لكي يكون دراسة لا بأس بها تصلح للنشر في صحيفة يومية أو مجلة ثقافية اسبوعية ومن هنا فقد جاء المقال الطويل نسبيا ولا أقول البحث عبارة عن محاولة لا بأس بها وخصوصا وان الاستاذ عبدالتواب قد تناول عدة موضوعات كان كل موضوع منها يصلح للتوقف والدراسة .

ولعل من المناسب أن أتناول نماذج فقط مر عليها الباحث مرورا عابرا ، وعلى سبيل المثال فقد حاول الباحث تطبيق ما يعرف في علم الجغرافيا باسم النظائر الجغرافية واستشهد بمقولة الجغرافي العربي الشهير الدكتور جمال حمدان فيما يعرف باسم عبقرية المكان ، في محاولة لابراز السمات المشتركة للموقع الجغرافي

لكل من مصر وعمان ، على اعتبار ان موقعهما الجغرافي قد أوجد هوية حضارية متميزة ساهمت بشكل لافت في ابراز دورهما الحضاري والانساني عبر حركة التاريخ .

لعل الاستاذ عبدالتواب قد أراد الوصول الى حتمية أن تكون بينهما علاقة كنتاج طبيعي لعبقرية المكان . وعلى الرغم من ذلك فلم يتمكن الباحث من ابراز هذه العلاقة وتجسيدها بشكل علمي ولذا فقد جاءت معظم الاحكام انشائية .

ولـو أن الباحث قد اكتفى في معالجته لتلك القضية بابراز ملامح التماثل الجغـرافي ، الذي نجم عن عبقرية المكان ، تلك العبقرية ، التي فرضت مبدأ التحدي ، ومن ثم كان العطاء والتواصل لكان ذلك أفضل بكثير .

وتحت عنـوان : التاريخ الوسيط يتحدث الباحث عن دخول أهل عمان ومصر الى الاسلام ولعلها كانت قضية مناسبة للربط بين أهل مصر وأهل عمان ، على الرغم من الاختلاف الزمني الا أن الباحث هذه المرة أيضا قد مر على تلك القضية مرورا عابرا .

ولعل من المناسب أن نشير الى قضية منهجية يبدو ان الباحث لم ينتبه اليها .

فما يعـرف بالتـاريخ الـوسيط لا وجود له في تاريخنا العربي والاسلامي ، فالمقصود بالعصور الوسطى هي العصور الاوربية ، ويقصد بها تلك الحقبة الزمنية التي امتدت منذ اواخر القرن الخامس الميلادي وحتى اواخر القرن الخامس عشر الميلادي أيضا .

فلقد شهدت تلك الحقبة عدة أحداث تاريخية أهمها سقوط الامبراطورية

الرومانية في الغرب في اواخر القرن الخامس ، اضافة الى انتشار المسيحية انتشارا سريعا ، بحيث ما كاد ينبثق نور الاسلام الا وكانت الكنيسة قد وصلت الى قوة روحية وسياسية واقتصادية لها وزنها الرهيب وخاصة في حوض البحر المتوسط ، اضافة الى ما تعرضت له أراضي العالم الروماني من غزوات الجرمان وغيرها من الشعوب ، الذين أطلق عليهم الرومان اسم البرابرة .

اضافة الى ما شهده العالم في تلك الفترة من صراع عنيف بين دولتي الروم والفرس ويقابل فترة العصور الوسطى في التاريخ الأوربي ما يطلق عليه بالعصر الاسلامي المزدهر ، حيث عم نور الاسلام وازدهرت الحضارة الاسلامية بشكل أهلها لكي تكون جديرة بعظمة الاسلام وسماحته .

يستشهد الباحث ببعض الأحاديث النبوية ، حيث أوردها كدليل على ما لقيته عمان ومصر من تكريم الرسول لهما . واعتقد أن الاحاديث التي استشهد بها الباحث كانت في حاجة الى تخريج والا ما كان هناك داع لاتمام سنة الرسول عليه الصلاة والسلام .

ثم ينتقل الباحث الى الحديث عن العلاقات المصرية العمانية خلال فترة التاريخ الحديث وسوف أنقل فقرة تحمل دلالة تتعارض مع بدهيات الحقائق التاريخية :

يقول الباحث : « لقد كان البحارة والتجار العرب يحتكرون احتكارا يكاد يكون كاملا تجارة التوابل التي كانت تجد رواجا متزايدا في أوربا وقد جنى العمانيون الارباح الكبيرة وازدهرت مدنهم وكان ازدهار عمان يعني ازدهار مصر » . (انتهت فقرة الباحث) .

ومن المناسب أن نشير الى ان العرب ، قبل مجيء البرتغاليين خلال العصور الاسلامية المزدهرة قد مارسوا التجارة بحرية مطلقة ، سواء لهم أو لغيرهم دون الادعاء بحق احتكارها وكانت السفن الآسيوية تمخر عباب المحيط الهندي والخليج العربي ولم يزعم العرب بأن لهم حق الاحتكار ولم يدع العرب بحق السيادة المطلقة على المياه التي كانت وسيلة مشاعة لكل السفن ، من كل الجنسيات ، حيث لم يكن قد ظهر ما يعرف في القانون الدولي باسم المياه الاقليمية ، حتى الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط فقط كان حرما مباحا لسفن البنادقة ، الذين كانوا وسطاء بين العرب والاوربيين وشهدت موانىء مصر والشام حركة نشطة من خلال اسطول بندقي راح ينقل منتجات آسيا ومع التجارة ظهرت تجارة هامشية في بدايتها الا انها كانت خطيرة في دلالتها حيث صاحب تجارة الشرق ، نقل أعداد هائلة من المعارف العربية والاسلامية مما أهل ايطاليا لدور حضاري هائل شهدته ايطاليا خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين فيما عرف بعصر النهضة الايطالية .

أما سياسة الاحتكار فهي اختراع برتغالي استهدف حرمان العالم الاسلامي من أهم مقوماته ولا نستطيع أن نسلم بما يعتقده الباحث من ان ازدهار عمان يعني ازدهار مصر والعكس وهو قول دبلوماسي أكثر من تاريخي أو علمي .

يشير الباحث الى ان البرتغاليين قد ضاعفوا من قوتهم في البحر الاحمر . . ومن المعروف ان العثمانيين قد أولوا أهمية خاصة بالبحر الاحمر واصروا على جعله بحرا اسلاميا مغلقا في وجه السفن البرتغالية ثم جعلوه مغلقا في وجه السفن المسيحية عموما بحجة أن أهم الاماكن المقدسة تقع في الحجاز ، الذي يطل على مياه البحر الاحمر ولذا فقد منعت السفن المسيحية من الابحار شمالي ثغر المخا في

اليمن ، وكان عليها ان تفرغ شحناتها في هذا الميناء ، ثم يعاد شحنها على سفن اسلامية يعمل عليها قباطنة وبحارة مسلمون ، وظل هذا المبدأ قائما حتى القرن الثامن عشر الميلادي .

ثم يتناول الباحث بشكل سريع ما يؤكد مسئولية احمد بن ماجد السعدي بقوله « لعل من سخريات القدر أن يكون البحار العماني الشهير أحمد بن ماجد هو الذي قاد سفن البرتغاليين من ماليندي في شرق افريقيا عبر المحيط الهندي الى كلكتا » .

لقد وردت هذه المقولة بنصها في كثير من الكتب العربية ولعل من المناسب أن نشير الى عدة اعتبارات :

أولها : من الضروري أن نناقش القضايا التاريخية وفقا لظروف العصر ، الذي وقعت فيه فمن غير المعقول أن نحكم على أحمد بن ماجد بمقاييس القرن العشرين مع أن بدهيات التحليل العلمي تقضي بارجاع الموضوع الى الظروف الموضوعية مع نهاية القرن الخامس عشر ولعل هذه القضية تدخلنا الى القضية التالية .

ثانيها : لقد اتسمت سلوكيات البحارة بقدر كبير من التعاون وظهور فسكودي جاما في سواحل شرق افريقيا لم يكن يحمل ما يشير الى دوافعه الاستعمارية ولم يتصور المسلمون ان منطقة رأس العواصف (رأس الرجاء الصالح) سوف تكون طريقا لطلائع الاستعمار الاوربي الى الشرق الاسلامي

ثالثها : لم يدع العرب بحقهم فيما يعرف باسم المياه الاقليمية ، سواء في البحار المفتوحة أو المغلقة ولم يكن هناك ما يدفع ابن ماجد الى التثبت من حقيقة

فاسكودي جاما ، ولم يكن مطلوبا من ابن ماجذ أن يقرأ الغيب حتى يقف على دوافع البرتغال . اضافة الى ان البرتغال مع نهاية القرن الخامس عشر ، لم يكن هناك ما يشير الى خطورتها بسبب ظروفها الاقتصادية الصعبة وبسبب قلة امكاناتها البشرية ، حيث لم يكن يتعدى عدد سكانها أكثر من مليون وهو رقم لا يتناسب وطموحاتها .

ومن الثابت ان فاسكودي جاما كان يعرف طريقه الى غرب الهند ، حيث سبقت رحلته بعشر سنوات على الاقل جهود علمية مضنية ، حيث اقيمت المراصد البحرية وما صاحبها من تقدم كبير في علم الخرائط والمفاهيم البحرية والمناخية اضافة الى المعلومات التي استقاها عدد من الجواسيس اليهود الذين كانوا يعرفون اللغة العربية وقدموا الى بلاد الشرق الاسلامي عبر الحوض الشرقي للبحر المتوسط وعبر فريق منهم بلاد الشام الى العراق ثم هرمز ثم عمان الى الهند وفريق آخر عبر مصر الى السويس فاليمن فعمان ثم هرمز ثم عادوا جميعا عبر بلاد الشام .

لقد وقفت البرتغال على كل دقائق الشرق الاسلامي وأنسب الشهور لعبور السفن وكافة الظروف المناخية ومن الثابت أن رحلة فاسكودي جاما قد سبقتها رحلة بارتلمودياز الذي ثبت انه اجتاز طريق رأس العواصف ووصل الى شرق افريقيا وحاول الاستمرار في محاولة اتسمت بالمغامرة الا انه لم يكن مكلفا من حكومته بأكثر من ذلك ولذا فقد عاد مقدما تحليلا وافيا اعتمد عليه دي جاما كما اعتمد على كل البيانات والمعلومات التي قدمتها له حكومته .

ومن أجل هذا كله فإن كل الدلائل تشير الى عدم مسئولية أحمد بن ماجد اضافة الى ان دي جاما كان يعرف طريقه الى غرب الهند واذا كانت الاقدار قد هيأت لاحمد بن ماجد فرصة تقديم معلومات أو حتى قيادة السفينة البرتغالية فإن

هذا لا يحمل ابن ماجد تبعة هذا الموضوع .

يقول الباحث نقلا عن احدى الدراسات التي تناولت دولة المماليك . . « في عام ١٥٠٨ انتقم البرتغاليون لهزيمتهم من الجيش المصري انتقاما مروعا اذ احتل البوكيرك عدن وعمان وحاقت بالجيوش المصرية في اليمن كارثة كبيرة . . وعند ذلك أعد الغوري من جديد أسطولا لمعاقبة الاعداء وتحرير الارض التي احتلت ولحماية تجارة الشرق ، لكن الوقت لم يسعفه ، اذ فقدت مصر سيطرتها على البحر الاحمر واراضي الجزيرة واليمن » . (انتهت الفقرة) .

يبدو عدم الترابط وعدم وضوح المعنى الذي يقصده الباحث والحقيقة ان دولة المماليك في مصر والشام قد أضيرت ضررا كبيرا بسبب كشف طريق رأس الرجاء الصالح وما ترتب عليه من تحويل التجارة الى الطريق الجديد مما أضر بشكل لافت معظم القوى الاسلامية وخصوصا في الخليج العربي وبلاد الشام ومصر ، اضافة الى الضرر الذي أجهز على دولة البنادقة ، التي كانت تقوم بنقل التجارة من سواحل الشام ومصر الى ايطاليا مما أهلها لكي تلعب دورا فاعلا في حركة النهضة الايطالية ، لقد ادركت البندقية حجم الضرر الذي شاركتها فيه دولة المماليك .

واللافت للنظر أن قنصوه الغوري لم يحاول التنسيق مع أي من القوى الاسلامية ، سواء في الخليج أو في المحيط الهندي ، بل راح يتضامن مع البنادقة ، الذين اكتفوا بارسال كمية من الاخشاب التي استخدمها قنصوة الغوري لبناء عدد من السفن وكذا بعض الاسلحة التي شاركت في الحملة المملوكية على ديو ١٥٠٩ (غرب الهند) .

لقد كان من بدهيات الأمور أن يحاول قنصوة الغوري التنسيق مع القوى

الاسلامية في الخليج على اعتبار انها قد أضيرت بشكل كبير . الا أن حملة ديو قد فشلت تماما ولعلها كانت المحاولة الأخيرة من قبل المماليك ولم تتكرر ثانية حتى انتهت دولتهم تماما ١٥١٦ .

ثم يشير الباحث بشكل سريع الى جهاد أهل عمان زمن اليعاربة ضد الوجود البرتغالي من خلال سطرين أو ثلاثة ويعتقد بأن العمانيين في سنة ١٧٤٣ قد استعادوا هرمز ؟

ان هرمز ، التي أشاد بها الرحالون العرب والأجانب والتي كانت مملكة صغيرة تشبه الى حد كبير المدن التي تمارس التجارة الحرة وقد وصلت الى درجة من التقدم والرفاهية ولذا كانت مطمعا للبرتغاليين الى ان بدأت سياسة الوفاق الانجليزي الفارسي فيما عرف باتفاقية ميناب سنة ١٦٢٢ حيث تمخض الاتفاق عن ابادة كل معالم الحياة على الجزيرة الصغيرة ، بعد ان هجرها أهلها ثم وجهت اليها المدافع التي أتت على كل معالمها الاساسية .

لقد كانت فارس تهدف الى ابراز ما عرف بعد ذلك بمدينة بندر عباس التي انشئت كبديل عن مملكة هرمز ومن ثم لعبت المدينة الجديدة دورا هاما في مسرح أحداث الخليج بعد ذلك .

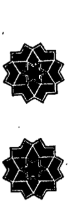
لقد وقعت عمان في براثن البرتغاليين ووقعت مصر في مخالب العثمانيين ، هكذا يقول الباحث دون أي تعليق مع انه لو أراد المقارنة لاسعفه التاريخ بالعديد من عناصر المقارنة اتفاقا أو اختلافا واذا تجاوزنا عن تشبيه العثمانيين بالبرتغاليين فلن نتجاوز على الحكم بأن مصر فقدت استقلالها ، حيث وقعت تحت الحكم العثماني مع أن العصر العثماني كان امتدادا طبيعيا للعصر المملوكي .

في النهـاية طرح البـاحث سؤالا عن العلاقات المصرية العمانية ١٩٧٩ - ١٩٨٩ لماذا استمرت هذه العلاقة ؟ ما السر ؟

وعلى الرغم من أهمية السؤال الا ان الباحث راح يقطع بأحكام تتسم بكلام انشائي حماسي لا يتفق وطبيعة البحث العلمي .

والحقيقة ان الحديث عن فترة السبعينات أو الثمانينات لا يدخل في اطار الدراسات التاريخية وانما هو أقرب الى التحليل السياسي والصحفي لان التاريخ برهان ودليل والقول الذي لا يستند الى وثائق ومصادر لا يمكن أن نعول عليه وحتما سنكشف النقاب عن مصادر تكون أكثر تأصيلا .

وعلى العموم فهذه الدراسة على الرغم من كثرة ملاحظاتي عليها الا ان أي عمل يقرب العرب ويجمع شملهم هو عمل جدير بالاحترام .



المناقشات والمداخلات

● **مداخلة الاستاذ الدكتور عبدالرحمن الصالحي**

جاءت مداخلة الاستاذ الدكتور عبدالرحمن الصالحي رئيس قسم الاقتصاد بجامعة الزقازيق لتعطي بعدا عميقا لبعض المفاهيم ، ومما جاء في هذه المداخلة قوله نصا « ان الفكر الانساني وكذا المعرفة ليس حكرا على طائفة دون أخرى ، وليس لهما محددات وقوالب جامدة ، وانما هما ملك لكل البشرية متى أهل صاحبهما بالقول ، فلا حكر لفكر ، ولا سلطان على عقل » .

وأضاف في مداخلته « في الواقع ، انني لست بموقع الدفاع عن الباحث ، وانما أقف محاولا استجلاء الحقيقة وتبيان الواقع ، فالرجل (الباحث) منذ البداية ، وقبل أن يدخل في مضمون بحثه يقول : (أنا لست مؤرخا) ، ولم يكن ، ولا يصح أن يكون » .

وقال : « هناك شروط لمن يدلي بدلوه في ندوتنا الكريمة هذه ، بمعارفها الراقية ، وقد رأينا منذ بداية الندوة أن هناك متحدثين في كل التخصصات من الجانبين المصري والعماني ، ولا غضاضة في ذلك ، حيث لم يشترط أن يكون الباحث مؤرخا » .

وأضاف الى ما تقدم قوله : « ان المفكر عبدالتواب يوسف أدلى بدلوه بأسلوب علمي ، وبفكر مبتكر ، وثقافة عالية ، وأدب جميل مشوق ، وانني أرى أن هناك فرقا بين المؤرخ المتخصص وبين الكاتب المفكر ، ولابد أن نراعي مثل ذلك في الندوات والمؤتمرات العلمية » .

وفي مداخلته حاول الاستاذ الدكتور عبدالرحمن الصالحي ان يبلور مفهومه للتعقيب والتقييم فقال : « ان التعقيب يأتي عقب القاء ورقة البحث ، أما التقييم

فإنه يدخل في اطار آخر تماما ، وأعتقد أن زميلي المعقب قد نصب نفسه فكريا ، مقيما ، وهو حر في ذلك كمقيّم ، الا انه تنظيميا أرى أن المسألة تحتاج الى وقت » .

وقال : « أنا مثلا لست مؤرخا ، ولكني أسأل أساتذة وجهابذة التاريخ ، وهم كثر ـ والحمد لله ـ في ندوتنا هذه ، إذا كانت فترة السبعينات والثمانينات ـ وهي فترة خصبة حقا بتفاعلات بين الجانبين العماني والمصري ، بل انها كانت من أخصب الفترات المرتهنة بالظروف التي تمر بها الأمة العربية وبأحداث متلاحقة ـ أقول : إذا كانت هذه الفترة لا تدخل في اطار الدراسات التاريخية ، فأين تقع ؟ وما هو مفهوم التاريخ المعاصر ؟ » .

وتابع في مداخلته قائلا : « التحليل السياسي في فترتنا المعاصرة هو لبنة للتاريخ المعاصر ، وأهم مرتكزات كتابة هذا التاريخ ، وانه لا انقصام بين السياسة والتاريخ ، وهذا ما نعرفه في ابجديات العلوم السياسية » .

واختتم مداخلته بالقول : « لقد أردت توضيحا واستجلاء للحقيقة فقط ، وليس دفاعا عن الباحث ، فإن كنت قد اصبت فالحمد لله ، وان كان غير ذلك ، فأرجو توجيهي ، ففي كل توجيه استفادة وخبرة وعلم ومعرفة » .

● **د. عايد ناصف**

يتوقف الدكتور عايد ناصف في مداخلته عند (حتشبسوت) مشيرا الى « أنها كانت ترسل سفنها الى منطقة ظفار لحمل البخور واللبان والمر للمعابد المصرية » ، وانها « حاولت بمساعدة مزارعين من ظفار زراعة اللبان ولكنها لم تنجح نظرا لاختلاف البيئة » ، مستنتجا بأن « ذلك تعبير عن العلاقات الوطيدة

بين مصر وعمان » ، مقترحا « تصوير اللوحات التي تعبر عن تلك الرحلات والموجودة حاليا في المعابد المصرية القديمة والمتاحف » .

● **سعيد الهاشمي**

الباحث سعيد الهاشمي من جامعة السلطان قابوس أثار في مداخلته العديد من الملاحظات يمكن ايجازها في النقاط التالية :

١ ـ الملاحظة الأولى جاءت تعقيبا على ما أورده الاستاذ عبدالتواب يوسف في (ص ٥) من بحثه ، مفاده أن (جنود اليونان وصلوا الى مصر وعمان واستعمروها) حيث يشك المعقب في مداخلته بهذه المعلومة ويقول : « ولا أظن ان اليونان احتلوا عمان ولا الرومان » .

٢ ـ والملاحظة الثانية جاءت تعقيبا على ما أورده الاستاذ الباحث في (ص ٦) في ورقة البحث حيث ذكر الباحث بأن (جيفر وعباد بني الجلندى بن المستكبر) مشيرا بأن الصواب هو (جيفر وعبد ابنا الجلندى بن المستكبر) .

٣ ـ ذكر الباحث (ان الخليفة المستنصر الفاطمي سنة ١٤٦٩ ، أمر المكرم بن علي بن محمد الصليحي بتولي شؤون ولاية عمان) وقال في مداخلته معقبا على ذلك : (وفي هذا ما يوهم بأن عمان كانت ولاية تابعة للفاطميين مباشرة) .

٤ ـ وجاءت الملاحظة الرابعة تصحيحا للمعلومة التي وردت في (ص ٧) في ورقة البحث مفادها أنه (في عهد العباسيين سيطر العمانيون لفترة على البصرة خلال قيادة المهلب بن أبي صفرة) والصواب من وجهة نظر المعقب (أن ذلك كان

في عهد الامويين لا العباسيين) .

٥ ـ وجاءت الملاحظة الخامسة تعقيبا على المعلومة الواردة في (ص ٩) من ورقة البحث انه (في العام السابق على قدوم نابليون بونابرت الى مصر أي في عام ١٧٩٧ ، نجح البرتغاليون في عقد معاهدة صداقة مع مسقط) والصواب من وجهة نظر الهاشمي أنه في عام (١٧٩٨) معقبا « ولعل الباحث يقصد (الفرنسيين) وليس البرتغاليين لأن عهدهم قد ولى » ثم قال الاستاذ الباحث (وفي العام التالي أكد الانجليز اتفاقيتهم مع سلطان بن أحمد سنة ١٨٠٠) وهذا من وجهة نظر الهاشمي (يعني انه ليس في العام التالي) .

● **عبد التواب يوسف**

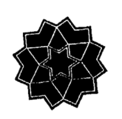
الاستاذ الباحث عبدالتواب يوسف توجه بالشكر لكل من ساهم في التعقيب والمداخلات والمناقشات متفقا مع الدكتور محمد صابر عرب من جامعة السلطان قابوس (المعقب على ورقة البحث) انه لم يكتب بحثا أو دراسة وقال : (انني كاتب وان كلا منا يلجأ إلى النبع ليشرب منه ماء) مضيفا « ان الأقوال والاحداث التاريخية تختلف ، وكل منا يحاول ان يجد ما يتفق عليه الاجماع ، وربما آثر قولا على آخر يجده منطقيا أكثر ، أو يتفق مع ما يريد أن يؤكده ، وان ما كتبته هنا رجعت فيه الى الكتب والمراجع والدراسات التي لديّ ، ولا أدري ما مدى صحة ما قيل لي ، وما صحة ما نقلته عن هذه الكتب ، وقد تكون المراجع التي اعتمدت عليها غير سليمة ، مثل كتاب (وليم موير) وحسب معرفتي انه واحد من أهم المراجع التي تحدثت عن تاريخ المماليك ، وكما قلت : فقد حاولت الا أخرج عن الحقائق التاريخية ، وفي تصوري ان الاحاديث النبوية الشريفة التي استشهدت بها ، وفيها يثني الرسول عليه الصلاة والسلام على عمان ومصر

باعتبارها وشيجة ، ولا أظن أن هذا حدث مع غيرهما من البلدان ، فحاولت مجتهدا أن أربط بينهما بشكل أو بآخر ، وحينها تحدثت عن احتكار للتجارة يكاد يكون كاملا للعرب في البحر الأحمر ، فاني أعتقد أن ذلك أخف كثيرا مما أورده زميلي المعقب ومفاده (ان العثمانيين جعلوا البحر الأحمر بحرا مغلقا) » .

وأضاف « واني لا أحمّل ابن ماجد مسئولية على الاطلاق ، وكل ما قلته : (انها سخرية القدر) ثم اني لم أوجه اليه عيبا ، ولم أقل انه أذنب » .

وقال معقبا على ما ورد في مداخلة الاستاذ الدكتور عبدالرحمن الصالحي « نحاول ولكل منا مساهماته ومحاولاته الخاصة ، وهذا يثري عملنا حين يدلي كل منا بدلوه في المجال الذي يتخصص فيه ، أو يجد فيه نفسه » .

وعلق على ما جاء في مداخلة الباحث سعيد الهاشمي من جامعة السلطان قابوس وقال « ما أشار اليه الباحث سعيد الهاشمي سأعيد النظر فيه ، وارجو ذلك ، لعله فاتني الكثير لدى كتابة ورقة البحث » .

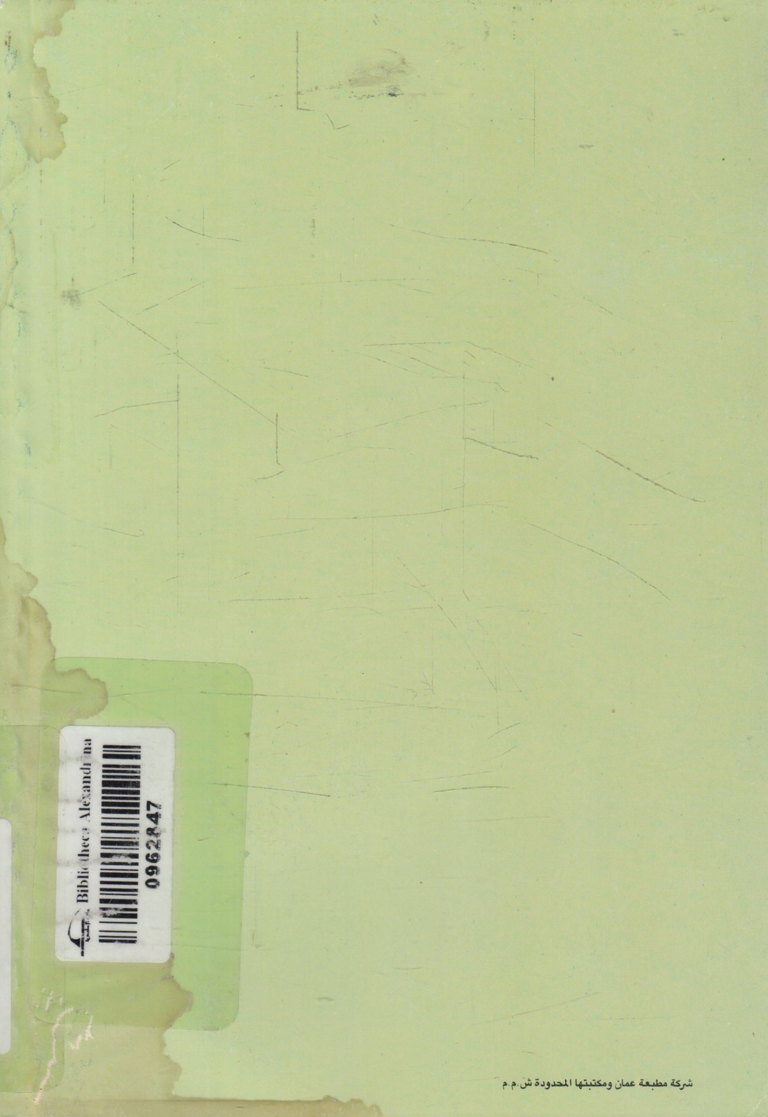


الفهرســـت

صفحة

رقم الايداع ٩١/١٦٩





شركة مطبعة عمان ومكتبتها المحدودة ش.م.م